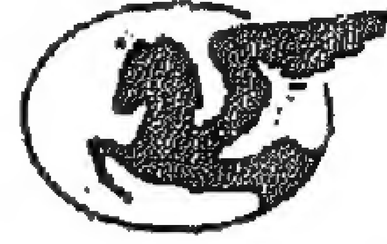
سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢ – ذو القعدة ١٤٠٢

المختار



من ريدرز دايجست

٥ براهين على الحب الحقيقي

(ص ٢١)

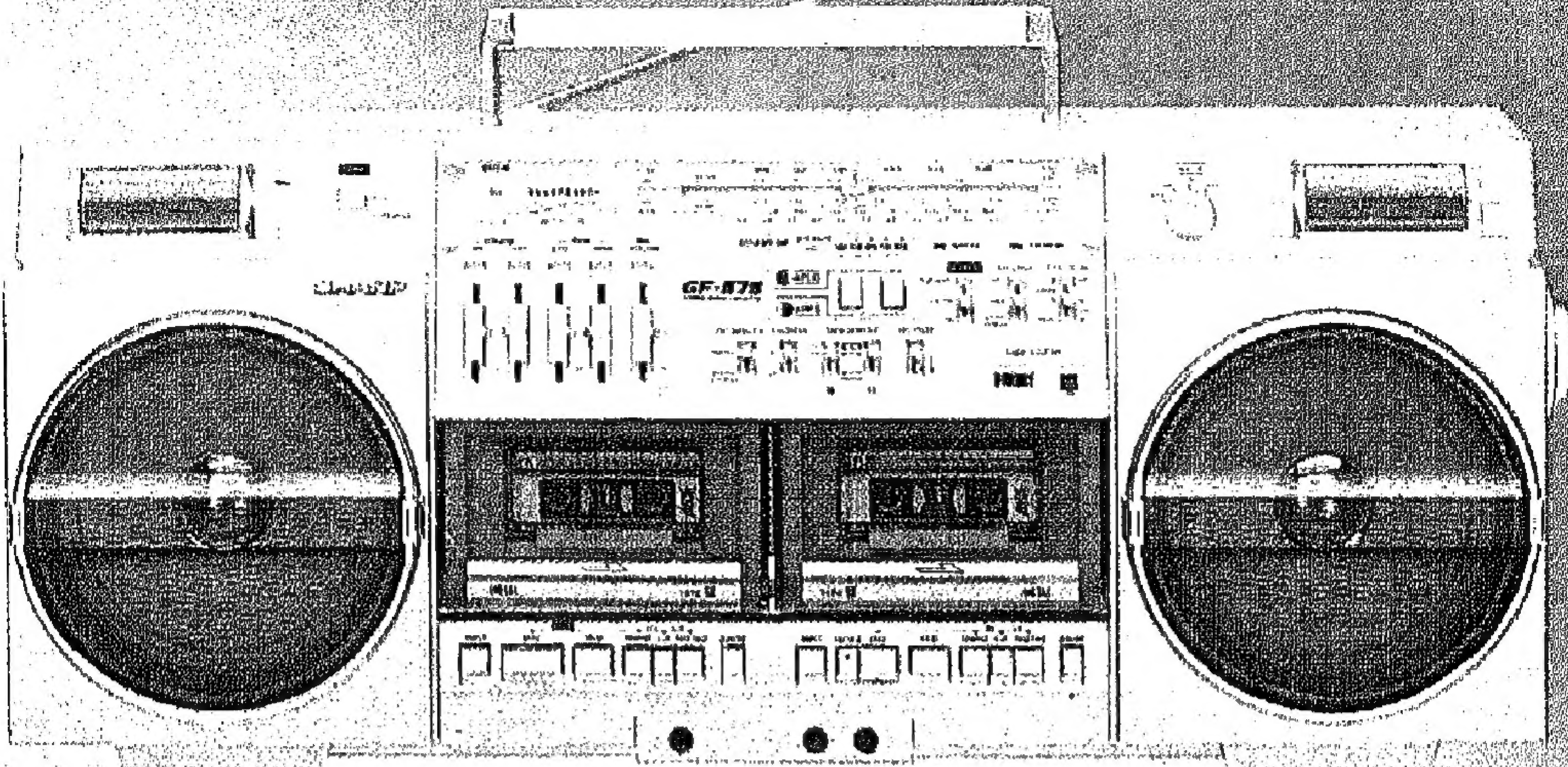
معركة ستالينغراد غيّرت مجرى التاريخ

(ص ١١٣)

خوليو: في حياته معجزة؟

(ص ٨٩)

نان ٥٠٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٧د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٧ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٧٠٠م – ليبيا ٧٠٠د – اليمن ٧ر – مسقط ٦٠٠ب – العراق ٦٠٠ف – نس ٥٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – أنكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥٠د



إقتسم وقت دبلجتك إلى النصف.
ضاعف متعتك الموسيقية.

دبلجة شارب فائقة السرعة تجعلك مهندس التسجيل بنفسك.

لاعطائك متعة اكبر من موسيقاك ووقتا اكثر للاستمتاع بها انتجت شارب اول راديوكاسيت اوحد بدبلجة فائقة السرعة.
يمكنك الآن الدبلجة من شريط واحد لآخر واضافة او قطع موسيقاك المفضلة او الصوت من شريط مسجل سلفا. فان GF-575Z من شارب لا يقوم بجميع هذه العمليات فحسب بل يفعل ذلك فى نصف الوقت !
مزيدا من الوقت للاستماع، والتحرير والاستمتاع ـــ «شيء اضافى» من شارب يعمل لاجلك.

• طاقة ذروة موسيقية ٣٢ وات • تشغيل الشريط ناعم اللمس • نظام ٤ مكبرات للصوت باتجاهين ١٦ سم • ضابطة منفصلة للنغم العميق/عالى الطبقة

ملحوظة :
قد تتالف المادة السمعية ـ البصرية من النتاج محفوظة حقوقة لا يجوز ان تسجل بدون تفويض من مالك الحقوق، يرجى الرجوع الى القانون المتصل فى بلادك.

GF-575Z

32W (PMPO) · Double Cassette · APLD Auto Program Locate Device · Soft-Touch Operation · High-Speed Dubbing · METAL · APPS Auto Program Pause System

شارب SHARP

SHARP CORPORATION Osaka, Japan



اكتب واربح

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية.

الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين. على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

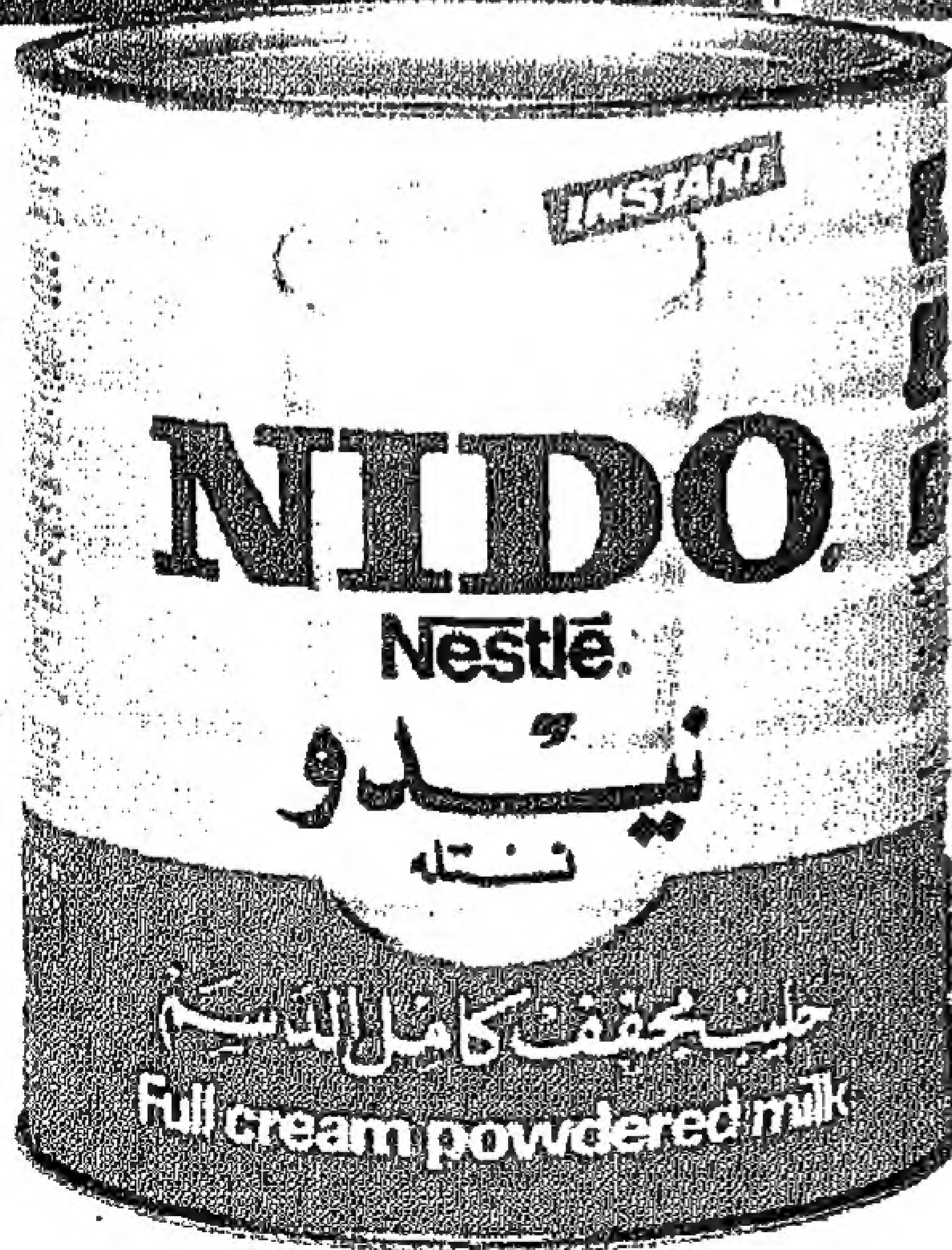
● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي
بناية الشرتوني ـ ص ب: ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

أمِّنوا لأولادِكُم نُمُوًّا صَحيحًا





نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًّا متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية.

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أي وقت من النهار.

نيدو السريع الذوبان

لينمو اولادكم وينعموا بالعافية

Nestlé. تقدمه نستله



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ« ريدرز دايجست »:
رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون، مدير التحرير: آلان دوليرو، المدير العام: جون أ. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، ص.ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (الموقت) ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، بيروت. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

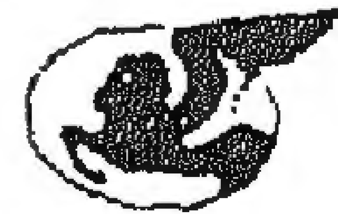
تنشر « ريدرز دايجست » في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: بتولا خريفية (ادوين ماثيوس ـ كندا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
September 1982 N°46 (New Series) Vol 4.



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون « ريدرز دايجست » في ١٨٠ بلداً بـ ١٧ لغة.

صَبَاح الخَيْر!




نسكافه

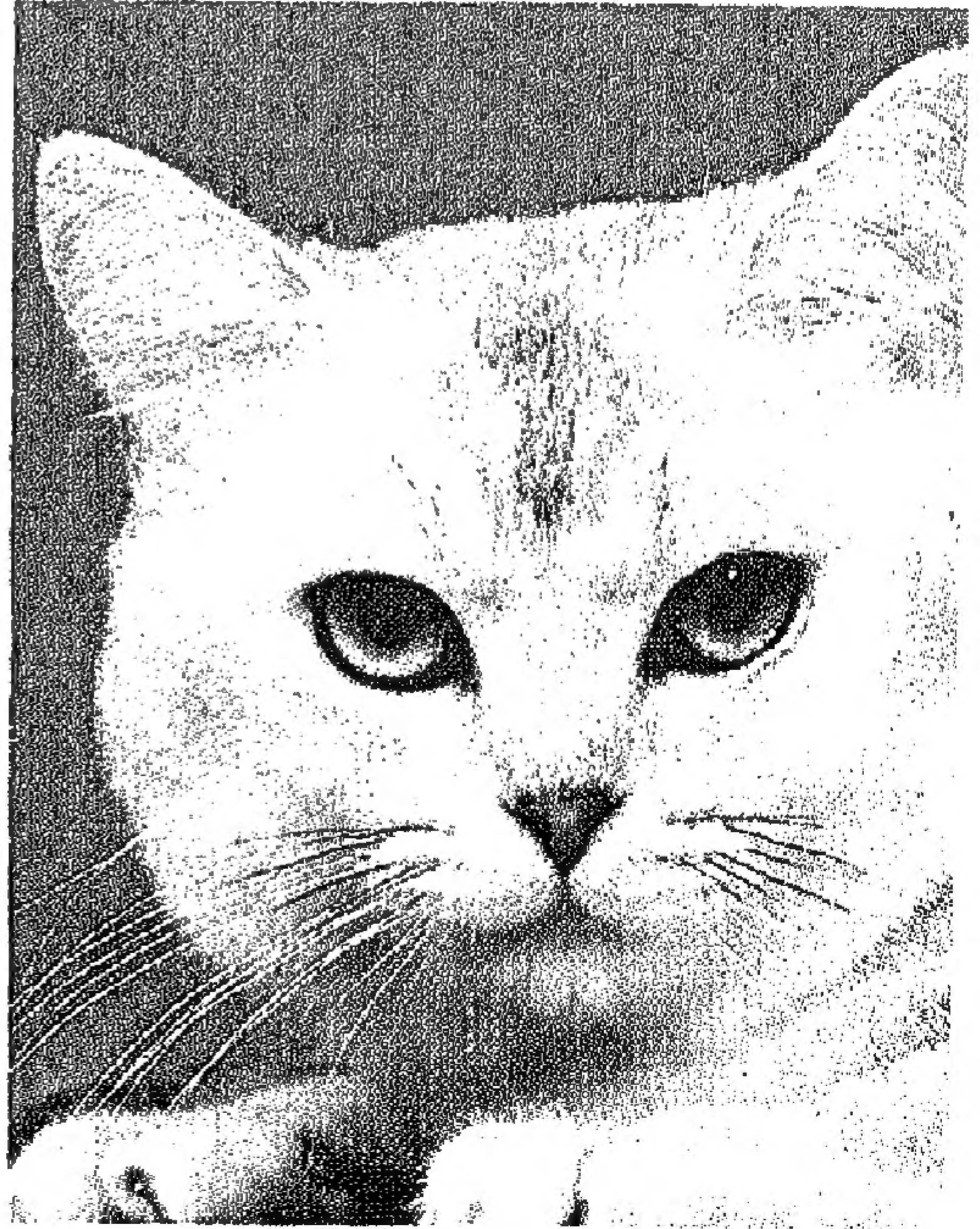
كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أي وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيويّة ونشاطاً.
نسْكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

PI 2959

نسبت اليها الخرافات ونسجت حولها الاساطير.
هذه الحيوانات الصغيرة تغزو اليوم بيوت العالم

عشق القطط



قيل ان النبي محمدا (صلعم) قطع مرة كم عباءته كي لا يوقظ هرا نام عليه. وكان صموئيل جونسون يدلل قططه باطعامها المحار الفاخر. وروي ان نابوليون تفصد عرقا ذات مرة حين رأى قطة، وان آلبرت شفايتزر كان يلوذ بطريقتين هربا من البؤس البشري، اولاهما العزف على الارغن والثانية ملاعبة قططه ومراقبة حركاتها.

وكانت اقوام وثنية تؤله القطط واخرى تعتبرها فصيلة شيطانية. غير ان نظرة الناس الى هذه الحيوانات ظلت دائما مشوشة ومتناقضة. لقد خصص لها الفن المصري القديم كثيرا من نقوشه، وقدرها المزارعون لمطاردتها الجرذان، ودللها الكبار والصغار. هذه المخلوقات حظيت بافضل معاملة واسوأها طوال ٣٥٠٠ سنة منذ ما تدجنت والفت بني البشر.

خيرات الطبيعة على مائدتك



لتحضير الحساء بالخضار، تختار ماجي أجود أصناف الخضار الطازجة المزروعة في حقول سويسرة الخصبة ثم تجففها وتستخلص منها العناصر الغذائية وتغلفها على أحدث الطرق الحديثة، في عبوات لا تمسها الأيدي ولا ينفذ إليها التلوث.

طبق كله عافية ماجي

ولكن سواء اكنت تحبها ام تكرهها، فتربية القطط باتت ولعا جنونيا يجتاح العالم اليوم. وتقتني العائلات الامريكية وحدها ٣٤ مليون قط، اي بزيادة ٥٥ في المئة عما اقتنته في العقد الماضي. اصحاب هذه القطط سنفقون هذه السنة مليارا و٦٠٠ مليون دولار لشراء الطعام المخصص لها، و٢٠٠ مليون دولار اخرى لشراء الرمل للصناديق التي تطمر فيها برازها والتي لا غنى عنها في البيوت. وتعرض الان في الاسواق سلع مميزة من ملاءات ومناشف واحواض زهر وتقاويم وآنية وساعات ومظلات وقمصان وقرطاسية طبعت عليها صور قطط، وتباع هذه في محلات اطلقت عليها اسماء مثل "القطة السحرية" في لوس انجلس. وهناك فندق خاص بالقطط في "براري فيو" في ولاية ايلينوي تتلى فيه على القطط رسائل من اصحابها المسافرين. وتتباهى ولاية كاليفورنيا اليوم بمنتجع ودار نقاهة للقطط ووكالة لتأجيرها واخرى لتنظيم لقاءات بين محبيها، وفيها اطباء نفسانيون للقطط وتعقد مباراة سنوية خاصة لاختيار صاحب اجمل مواء بين القطط المتبارية.

وتتوافر للقطط المحظوظة خدمات كمالية كمدرب متخصص يعنى بتعليمها استخدام المرحاض وسرير يطوى وحصان هزاز تلهو به حين تكون مضطربة الاعصاب وفراش معبأ بالماء.وتعرض دور النشر في المكتبات اكثر من ٢٥٠ كتابا عن القطط، وصانعو الرسوم المتحركة (الكارتون) والكاريكاتورية يجنون ملايين الدولارات من اشرطة وكتيبات تتناول هذا الولع الجنوني بالقطط. ويقول جيم ديفيس مبدع القط "غارفيلد" الشهير: "ان في اعماق نفوسنا جميعا الرغبات عينها، لكن القطط تمتلك الشجاعة لتحيا وفق هذه الرغبات."

حاسة سادسة - هذا الاهتمام يغدقه الناس على حيوان غير عادي حقا. فالقطة العادية تزن نحو ٤،٥ كيلوغرامات ولها عمود فقري مرن الى حد بعيد. فاذا امسكت قطة مقلوبة على ظهرها واسقطتها من ارتفاع ٦٠ سنتيمترا فقط، فانها تستقيم عائدة الى وضعها الصحيح خلال برهة لا تصدق، هي ثمن (١/٨) الثانية فقط، ثم تصل الى الارض واقفة على قوائمها. شعرات شاربيها تنقل الى مجمعات للاعصاب تحت الجلد معلومات معقدة عن طرائدها والظروف المحيطة بها. ويقول عالم نفساني ان القطة تنعم بنوع من الحدس او بحاسة سادسة تتجاوز نطاق الحس العادي. ويروى ان قطا يدعى "بوه" تركه اصحابه وانتقلوا الى منزل جديد في مدينة اخرى تبعد ٣٠٠ كيلومتر. فلحق بهم وجاء يطرق باب بيتهم الجديد بعد مضي سنة كاملة.

اذنا القطة مرهفتا الحساسية. وهي

من اكثر الحيوانات المفترسة تطورا، وفي وسعها القضاء على اكثر من عشرة فئران في معركة قصيرة. والمثير انها تنزع الى تعذيب طريدتها بالتلاعب بها قبل قتلها. وربما كان ذلك من اجل تدريب صغارها على الصيد او لاظهار ضراوتها.

والقطط بحكم غريزتها تعتبر ظواهر الخوف او الكراهية اشارة عداء من الزوار الغرباء. حتى اشد المولعين بالقطط تدهشهم - واحيانا تريعهم - تصرفات غريبة لحيواناتهم المحببة. فقد تقفز قطة فجأة الى كتف صاحبها من فوق الثلاجة تعبيرا له عن حبها، او ترفض تناول اي طعام الا اذا طها لها مزيجا من اللحم والجبن قدمه اليها قبل اسبوع.

وما زال المعجبون بالقطط، منذ عهد كليوباترا، يمجدون القطط لجمالها وذكائها وجلدها واعتمادها على نفسها اضافة الى طباعها المتعنتة. فعلى نقيض الكلاب والبشر لا تشكل القطط جماعات ذات مصالح مشتركة وليست لها بنى هرمية يقودها فرد لتحقيق اهداف وغايات معينة. وهي قد تنتقي قائدا، لكنها لا تشعر بحاجة الى التزام رتبي عندما تعيش معا.

ويعتقد كثيرون ان القطط لا يمكن تدريبها. لكن الخبراء يؤكدون خلاف ذلك. فباستخدام الطعام والعاطفة - مع التشديد على العاطفة - يمكن تعليم معظم القطط المنزلية ان تقعد حين تؤمر او ان تنبطح ارضا او تتدحرج.

المصريون القدماء كانوا يرفضون اعتبار القطط مجرد حيوانات من هذا العالم، ولذا كانوا يدفنونها في احتفال مهيب ويدفنون معها فئرانا محنطة لتأكلها في "العالم الاخر". وبحلول القرن العاشر استقر الرأي على اعتبار القطط مطاردة للفئران فحسب. ولكن في بداية القرن الثالث عشر اخذ الناس يطاردون القطط ويعذبونها باعتبارها تجسيدا للشيطان الرجيم. وتروي المؤلفة موريبيل بيدل في كتابها "القطة" انه في العام ١٦٩٩ اتهم ٣٠٠ طفل في مدينة مورا في اسوج (السويد) باستخدام القطط الشيطانية لسرقة الزبدة والجبن واللحوم. واعدم ١٥ طفلا منهم وظل ٣٦ آخرون طوال سنة كاملة يجلدون بالسياط كل يوم احد. وفي اواسط القرن الثامن عشر عادت القطط لتحظى بالرعاية، وجعلها فريدريك الاكبر حارسة لمخازن جيشه. وادت الثورة الصناعية الى التعجيل في القبول الاجتماعي بالقطط فعهد اليها في مهمات مفيدة مثل مطاردة القوارض في المدن.

الفروع التسعة لتسجيل القطط في أمريكا الشمالية تتضمن معلومات عن ٥٠٠ الف قطة اصيلة، معظمها متحدر من سلالات غريبة. وقد يبلغ ثمن الجرو من النوع الحبشي الممتاز او من

٣٤ فصيلة اخرى نحو ٣٠٠٠ دولار. وقد نظم نحو ٤٠٠ عرض للقطط في الولايات المتحدة وكندا عام ١٩٨١. وفي فبراير (شباط) ١٩٨٤ حضر "المعرض الامبراطوري للقطط" الذي اجري فيحديقة ماديسون سكوير في نيويورك ١١،٢٠٥ مشاهدين.

دمى كبيرة - قبل عقد كان معظم الاطباء البيطريين يخصصون للقطط ٢٠ فيالمئة فقط من وقتهم. لكن هذه النسبة ارتفعت الان الى نحو ٥٠ في المئة. كما تحسنت العناية بالقطط على نحو ملحوظ خلال السنوات الثلاثين المنصرمة، حتى ان متوسط عمر القطة المنزلية قفز الى ما بين ١٦ و١٨ سنة، اي بزيادة تراوح بين ٦و ٨ سنوات.

وهناك اطباء مختصون بمعالجة القطط المنحرفة المزاج. وينصح مايكل فوكس، وهو طبيب بيطري مقيم في واشنطن، باجراء تدليك للقط على الطريقتين الشرقية والسويدية.

جنجر هاملتون هي احدى ستة اطباء نفسانيين للقطط في الولايات المتحدة، وهي تقول ان اكثر المشاكل العاطفية التي تصيب القطط ناشئة عن الغيرة. ولدى هاملتون بضع زبائن من نساء تزوجن حديثا ويتذمرن من ان القطةالمدللةلا تطيق ان يقاسمها الزوج الجديد عاطفة صاحبتها. وقد عمدت قطة ناقمة الى التبويل يوميا على جانب الفراش المخصص للزوج،



ندما تطيرون على متن الخطوط الجوية
ية تجدون استقبالاً عائلياً بانتظاركم في
، مضيفات ومضيفو الارض من جنسياتكم
ن بكم بلغتكم الأم ويزودونكم بكل المعلومات
تاجون اليها ليتأكدوا من أن بقاءكم

أو مروركم هو غاية في المتعة وقلة المشاكل.
ماذا بعد، ستحطون في إحدى المحطات
الجوية الاكثر عصرية في العالم، كل شيء في
شارل ديغول ـ ٢، محطة الاكسبريس، مصمم
ليوصلكم الى وجهتكم بطريقة أسرع وأكثر

راحة من أي وقت سابق.
الاستقبال العائلي ومحطة الإكسبريس الجديدة
يجعلان من سفركم مع الخطوط الجوية الفرنسية
سفراً ممتعاً على الأرض كما في الجو.
في سفركم المقبل ـ إذن ـ طيروا عبر باريس.

AIR FRANCE

الخطوط الجوية الفرنسية ـ الاستقبال الحسن.

بينما لجأت أخرى الى التبرز على كرسي فطور العريس. ولذا تحاول هاملتون - فرويد القطط - المعالجة بطريقة المعلم الرائد ذاته في مقابل ٥٠ دولارا للساعة. وتقول : "احاول اولا ان اكتشف اذا كانت القطة نشأت في منزل تبقى فيه صحاف طعام الجراء نظيفة، واذا كانت الام اتقنت تدريب جرائها، وما هي الطباع الشخصية للقطين الابوين."

ويرى بعض الخبراء في ولع الامريكيين الطاغي بالقطط تحولا في النفسية الوطنية. ويقول روبرت بربر وهو طبيب بيطري يعمل في المركز الصحي للفصيلة السنورية في نيويورك : "قبل ثلاث سنوات كان ٥ في المئة من زبائني من الرجال، واليوم اصبحت النسبة ٢٥ في المئة. فهم تعلموا ان الرجل يمكن ان يقتني قطا ويبقى رجلا."

وتضيف دونا دانلاب وهي صاحبة محل لبيع الحيوانات الاليفة : "لم يعد اقتناء القطط وقفا على الاولاد والكهول، بل اصبح الشبان المثقفون يقتنونها ايضا."

ان صعوبة اقتناء كلاب في المدن، حيث حجم الشقق يضيق والانظمة البلدية تلزم صاحب الكلب تنظيف اقذار كلبه، ربما كانت السبب في تحول الناس الى القطط التي لا تتطلب سوى صندوق لطمر برازها.

كما يحتمل ان تكون القطة، بطباعها الرصينة ونزعتها الى الوحدة وعدم الاختلاط، تمثل حال ٢٣ في المئة من البيوت الامريكية حيث يعيش بالغون منفردين. حتى في السجون يبدو ان وجود القطط يخفف عذاب الحياة وراء القضبان. فبعض السجناء في اصلاحية "لورتون" في فرجينيا يقتنون خمسة قطط معا. ويقول تشارلز ريتشاردسون الذي يقضي عقوبة بالسجن من ١٠ سنين الى ٤٠ سنة لارتكابه جريمة سطو : تعلمك القطط ما لا يمكن رفاقك هنا ان يفهموه. انها تمحضك الحب ولا تصرخ في وجهك ولا تسرقك."

وسواء اكانت القطط تمثل انقلابا نفسانيا ام تجتذب اهتمامنا لانها مفيدة وتجمل المنزل، فانها بلا ريب محببة. ووحشية القطة، اي طبعها الفريزي العملي حتى في مظهرها المحور، يستحوذ على الاعجاب. ففي حين ينسب اليها عدد من الحوافز الطبيعية المتطورة، فهي يسحرها الانسان فقط لانه يستثير فيها طبعا طفوليا مكبوتا. فنحن نبقى بالنسبة اليها دمى كبيرة تلاعبها او مربية ترعاها وتملك بعض الالات المدهشة كمفتاح العلب والورق المخشخش والحرامات الدافئة.

ترى هل يمكننا ان تغري هؤلاء الناس بأن يفتحوا لها بيوتهم وقلوبهم وثلاجاتهم؟ يبدو انه امتحان ستفوز القطة فيه.

■ ج. ريد



العملة التي يحملها كل رحالة خبير

المسافرون الخبيرون الذين يجوبون العالم هم أدرى من ان يحملوا عملة عادية . انهم يفضلون عملة عالمية : شيكات بنك اميريكا السياحية . فهذه الشيكات قابلة للصرف في اكثر من ١٦٠ بلدا وللاسترداد في اكثر من ٤٠,٠٠٠ مكان حول العالم . وهي الآن متوفرة بعملات العالم الرئيسية : الدولار الامريكي ، المارك الالماني ، الجنيه الاسترليني . وشيكات بنك اميريكا السياحية تدعمها مؤسسة بنك اميريكا كوربوريشن التي تبلغ اصولها اكثر من ١٠٠ بليون دولار امريكي . فلا عجب اذن أن المسافرين الذين يعرفون طريقهم يحملون شيكات بنك اميريكا السياحية حيثما ذهبوا .

BankAmerica Travelers Cheques. World Money.

BA CHEQUE CORPORATION

الغذاء

السلاح السري في الحرب الباردة

تسلط اضواء منذ سنوات على الغذاء، خصوصاً الحبوب، كمادة استراتيجية في عمليات التبادل الاقتصادي والتأثير السياسي في العالم. وعلى غرار النفط الذي يعتبر مادة معرضة للنفاد والنضوب، اذا ما ابقت الدول المنتجة على وتيرة انتاجها والدول المستهلكة على مستوى استخدامها لهذه المادة، فان انتاج الغذاء معرض للتناقص. وهناك من يطرح فكرة منظمة تعرف باسم "فوبيك" تضم الدول الرئيسية المنتجة للغذاء في العالم ويكون هدفها النهائي خلق توازن في انتاج الاغذية واستهلاكها من جهة، والمحافظة على خصوبة الاراضي الزراعية من جهة اخرى.



يوم ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ استخدمت الولايات المتحدة، للمرة الاولى، الغذاء سلاحاً ضد الاتحاد السوفييتي. وقبل ذلك بأسبوعين كانت القوات السوفييتية دخلت افغانستان. وأعلن الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر ان ذلك لن يمر "من دون عقاب."

"العقاب" كان حظر بيع الحبوب للاتحاد السوفييتي.

في البداية أيد المزارعون الامريكيون ومواطنوهم سياسة الرئيس الحازمة، على رغم ان الحظر أوجد فائضاً مفاجئاً من الحبوب جعل اسعارها تتدهور بسرعة. ولكن اتضح للحال ان هناك دولا اخرى كانت متشوقة لبيع الحبوب، فتضررت

الولايات المتحدة ومزارعوها من الحظر بمقدار ما تضرر الاتحاد السوفييتي. وفي ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٨١ رفع الرئيس الجديد رونالد ريغان الحظر.

قال وزير الزراعة الامريكي جون بلوك: "من وجهة نظر المزارعين كان الحظر على الاتحاد السوفييتي كارثة شاملة." وعلى رغم ذلك فما زال بلوك يعتقد ان على الولايات المتحدة ان تكون مستعدة وراغبة في استخدام الغذاء سلاحاً.

هل ان بلوك على حق؟ وهل في امكان الولايات المتحدة استخدام صادرات الغذاء كسيف ديبلوماسي؟

الولايات المتحدة تتحكم بما يزيد على ٥٧ في المئة من صادرات الحبوب العالمية. ومن بين دول العالم الـ١٧٣ هناك ٨ فقط تنتج من الغذاء اكثر مما تستهلك، وهي: الولايات المتحدة وكندا واوستراليا ونيوزيلنده والارجنتين وجنوب افريقيا وفرنسا وتايلاند. وبين هذه الدول الثماني، وحدها الولايات المتحدة تتمتع بالقدرة على احتكار صادرات المواد الغذائية الى مدى يفوق قدرة منظمة الدول المصدرة للنفط "اوبيك" على التحكم بصادرات النفط.

اذاً، ماذا كان وجه الخطأ في حظر بيع الحبوب الذي فرضه الرئيس كارتر؟ الاجوبة عن هذا السؤال معقدة. لكن العبر التي يمكن استخلاصها حيوية جداً. فلكي يكون اي حظر فاعلا يجب الا يُخرق، والخروق كانت وافرة في الحظر الذي فرضه كارتر. لننظر الى هذه الوقائع:

● التزم كارتر الاتفاقات السابقة لتسليم الحبوب الى الاتحاد السوفييتي. ونتيجة لذلك تلقى الاتحاد السوفييتي من الولايات المتحدة مباشرة، خلال سنة التسويق ١٩٧٩/ ١٩٨٠، خمسة عشر مليون طن من اصل ثلاثين مليوناً كان اشتراها من دول مختلفة (معظم هذه الكمية وردت قبل تطبيق الحظر).

● كانت دول اوروبا الشرقية قبل الحظر طلبت ١٦ مليون طن من الحبوب الامريكية. وعندما طبق الحظر رفعت طلباتها فجأة الى اكثر من ١٨ مليون طن، وبيعت الحبوب من دون ابطاء. قال رئيس مجمع ساسكاتشوان للقمح في كندا ربيع ١٩٨٠: "يجب ان يكون المرء على جانب كبير من السذاجة ليصدق ان الصادرات الاضافية الى تلك المنطقة لم تجد طريقها الى الاتحاد السوفييتي."

● على رغم ان الدول المنتجة للغذاء والصديقة للولايات المتحدة وافقت على ابقاء صادراتها الى الاتحاد السوفييتي على المستويات "العادية التاريخية"، فأن هذه الدول في الواقع باعت الاتحاد السوفييتي من الحبوب ضعف ما كانت باعته في السنة السابقة.

بعض الحقائق – عدد سكان العالم ارتفع بسرعة خلال العقود الاخيرة، لكن انتاج الاغذية ارتفع كذلك. والحقيقة ان مقدار المواد الغذائية المتوافرة للفرد ازداد فعلياً خلال العقدين المنصرمين. وتقدر منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة انه، حتى خلال السنوات الاخيرة حين بدا ان المجاعة اوشكت

ان تدهم العالم، كان اكثر من ثلاثة بين كل اربعة اشخاص "يقطنون في بلدان مكتفية ذاتياً من حيث تأمين الطاقة الغذائية بنسبة ٩٥ في المئة او اكثر." وفي حالات كثيرة انتجت أشد الامم فقراً محاصيل (على اساس الهكتار) لا تتجاوز نصف معدل الانتاج الامريكي. هذه الحقيقة، اضافة الى وجود مساحات واسعة من الارض الصالحة للزراعة غير مستغلة في الدول النامية، تبشر بأن هذه الامكنة نفسها قد توفر اعظم الفرص لزيادة انتاج الطعام في السنوات المقبلة.

اولئك الذين يزعمون ان في وسع الولايات المتحدة بمفردها ان تستخدم "سلاح الغذاء" كما تستخدم دول منظمة اوبيك "سلاح النفط" يتناسون بعض الحقائق. ففي العالم دول قليلة يمكنها ان تقيم منصة حفر وتظفر ببئر نفط، لكن دول العالم كلها تستطيع ان تزرع وتنتج طعاماً أوفر. اما القول ان الولايات المتحدة تتحكم بـ٥٧ في المئة من صادرات الحبوب في العالم فيبدو امراً خطيراً الى ان يدرك المرء ان مجموع ما يتم استيراده وتصديره لا يتجاوز ثُمْن (١/٨) ما في العالم من حبوب. وهذا يعني ان الولايات المتحدة تتحكم بـ٨ في المئة فحسب من مجموع المحصول العالمي من الحبوب.

بالمقارنة مع هذا الوضع تتحكم منظمة اوبيك باكثر من نصف مقادير النفط المتوافرة للاستهلاك العالمي. ومع ذلك فان المنظمة، في مواجهة تدابير الاحتراز والتحول الى مصادر بديلة للطاقة في الدول المتطورة، تجد من العسير استخدام سلاح نفطها. فالاسعار الحقيقية للنفط في اسواق العالم، بعد تعديلها لمقاومة التضخم، اخذت الآن تتدنى. ولا يتوقع ان تعود الى الارتفاع في المستقبل القريب الا في حال انقطاع الامدادات من الخليج العربي على نحو خطير.

المبادرة الحرة – ولكن اذا تسنى لدول عدة ان تتجه نحو الاكتفاء الذاتي في انتاج الغذاء فان هناك دولة كبرى واحدة ما زالت تعاني عجزاً مزمناً في هذا المضمار على رغم كل محاولاتها الجادة، وهي الاتحاد السوفييتي.

احدى المعضلات التي يواجهها الاتحاد السوفييتي هي الطبيعة. وبما ان ثلثي الاراضي الزراعية الممتازة في تلك البلاد تقع ضمن المنطقة الباردة الى شمال خط العرض ٤٩، فأن المحاصيل السوفييتية مبتلية بأحد اسوأ مناخات العالم. لكن المناخ هو واحد من المشاكل التي يعانيها السوفييت. فالمشكلة الاخرى هي السياسة الاقتصادية. وقد عمد الرئيس ليونيد بريجنيف، اخيراً، وببعض تردد، الى ارخاء الزمام قليلا والسماح للمواطنين الريفيين بزرع حدائقهم الخاصة وبيع محصولها. غير ان هذه "المبادرة الحرة" لا تستغل سوى واحد في المئة من الارض المزروعة. ولكن حسبما جاء في الصحيفة الاقتصادية الروسية "ايكونوميشسكايا غازيتا" ساهم هؤلاء المنتجون الفرديون عام ١٩٨٠ في ٣١ في المئة من منتجات اللحوم و٣٠ في المئة من الالبان و٣٤ في المئة من البيض و٣٥ في المئة من

البقول و٦٤ في المئة من البطاطا و٥٨ في المئة من الفاكهة.

اما في الولايات المتحدة فان نحو ستة ملايين مزارع ينتجون من الغذاء ما يكفي حاجة البلاد كلها وحاجة جزء غير يسير من العالم. غير ان هذه الوفرة خلقت مشاكل جديدة. فقد ظلت المزارع الامريكية تنتج اكثر من الحاجة، وأدى فائض المحصول من الحبوب، عبر السنين، الى ابقاء الاسعار متدنية الى درجة مهلكة بالنسبة الى ملايين المزارعين. وفي اثناء الحرب العالمية الثانية اكتشفت الولايات المتحدة طريقة لمعالجة هذه الازمة المزمنة. فبدلا من اتلاف المواد الغذائية غير المرغوب فيها، اخذت تهبها دولا اخرى او تبيعها بأرخص الاسعار. وهذه السياسة أدت عام ١٩٥٤ الى سن القانون العام الرقم ٤٨٠ الذي يعرف ايضاً بقانون "الغذاء من اجل السلام."

وهذا القانون الذي انطلق بأكثر الدوافع واقعية وانسانية، أخذ الآن يتعرض للانتقاد اللاذع من الاحرار والمحافظين على السواء. فهذا البرنامج الخيري الشامل وفر الغذاء للجائعين، لكنه أدى الى ازدياد السكان في البلدان الفقيرة بسرعة كبيرة. ثم ان توافر الطعام المجاني او الرخيص كان يعني ان الفلاحين في هذه البلدان سيتعذر عليهم ان ينتجوا من أرضهم ما يكفي لتحسين أساليب حياتهم. وهذا حدا الملايين منهم على هجر الزراعة مما جعل بلدانهم أعجز من ان تقوم بأود سكانها من دون مساعدة خارجية.

وفي السنوات الاخيرة ادركت هذه البلدان ان الاسعار المرتفعة للغذاء تعني انتاج مقادير اكبر منه. وهذا الادراك ساعد الهند في التقدم نحو الاكتفاء الذاتي في المواد الغذائية. كما انه في السنة المنصرمة ادى ارتفاع الاسعار الى انتاج محصول قيّاسي في زيمبابوي الدولة الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال. حتى جمهورية الصين الشعبية وجدت ان حوافز الانتاج الحر المتوافرة الآن في ٤٠ في المئة من مزارعها الجماعية شجعت على انتاج الاطعمة. واذا عم هذا التصور الجديد، فأن العالم يكون في الطريق الى حل مشاكل التغذية.

لكن الاتحاد السوفييتي، الذي يقاسي غالباً اخفاقات حادة في المحاصيل، سار في اتجاه آخر للحصول على الغذاء، وهو الاتجاه نفسه الذي خلخل اقتصاد الحبوب في العالم.

المجاعة المفاجئة ــ عام ١٩٧٢ دخل السوفييت السوق الامريكية واشتروا، عن طريق طلبات مع شركات مختلفة، نحو ربع محصول الحبوب في الولايات المتحدة. تصرف السوفييت سراً لأن انتشار اخبار مشترياتهم الضخمة كان سيوحي بأن الطلب على الحبوب يفوق العرض المتوافر، وبالتالي ترتفع الاسعار فجأة على نحو مثير. كما ان الوكلاء السوفييت في أماكن اخرى اشتروا حصة كبيرة من محاصيل بلدان اخرى بلغت نحو ٣٠ مليون طن من الامدادات المتوافرة في العالم تلك السنة.

بالنسبة الى المستهلكين الامريكيين كانت لهذه العملية السوفييتية عواقب مؤلمة. فضآلة

المحاصيل الامريكية خلال سنوات التضخم التي أعقبت المشتريات السوفييتية ادت الى ارتفاع الاسعار بحدة. كذلك ارتفعت اسعار اللحوم والبيض والالبان وسواها من منتجات المواشي والدواجن التي تقتات بالحبوب.

غير ان ما كان مؤلماً في امريكا كان مهلكاً في اماكن اخرى من العالم. فمع تناقص امدادات الحبوب دهمت المجاعة الناس. وقد كتب لستر براون رئيس معهد "وورلد ووتش" في واشنطن انه خلال العامين ١٩٧٢ و١٩٧٣ "اكتشفت الحكومة الهندية ان الاتحاد السوفييتي حجز معظم امدادات القمح المعدة للتصدير في العالم." ويضيف براون انه، في ثلاث مناطق هي الافقر في الهند، سجلت زيادة ٨٢٩ الف وفاة على ما شهدته السنوات السابقة. وبين ١٩٧١ و١٩٧٥ قضى جوعاً نحو ٧٦٠ الف نسمة في بنغلادش، الدولة الثامنة في العالم من حيث كثرة السكان. واسفر الجوع عن ٢٠٠ الف وفاة في اثيوبيا، كما قضى عدد مماثل من جراء المجاعة التي عمت البلدان الفقيرة على الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى في افريقيا.

الحبوب في مقابل النفط؟ – ان الهزة التي احدثتها المشتريات السوفييتية عام ١٩٧٢ لم تقتصر على المجاعة. فالمشتريات التي زاد حدتها ضعف المواسم في انحاء العالم، تسببت في ارتفاع مذهل في اسعار الحبوب حين أخذت الدول تتسابق للحصول بأي ثمن على اي نوع متيسر من الغذاء. وأدركت الدول المنتجة للنفط ان قيمة نفطها آخذة في التدني بالنسبة الى اسعار الاغذية التي تحتاج الى استيرادها. وقال شاه ايران السابق ان هذا كان الدافع الحقيقي الى فرض الحظر النفطي عام ١٩٧٣ الذي ما زالت اصداء التضخم والفوضى الناشئة عنه تتردد بعد مضي تسع سنوات.

عندما تضاعفت اسعار النفط اربع مرات في اسواق العالم، بعدما اثبت سلاح اوبيك النفطي فاعليته، نشأت في الولايات المتحدة حاجة الى العثور على طريق ما لتوفير المبلغ الهائل المطلوب لشراء النفط الاجنبي. ووجدت البلاد جزءاً كبيراً من هذا المال في الغذاء. وفي ١٩٧٣، حين بلغت اسعار الحبوب أعلى مستوى عرفته في اي وقت، باعت الولايات المتحدة دول العالم ما قيمته ٩ مليارات دولار من الاغذية. وفي ١٩٧٤، في اعقاب الحظر النفطي، باعت الولايات المتحدة ما قيمته ٢١ مليار دولار من المواد الغذائية وبحلول ١٩٨١ كانت الولايات المتحدة تبيع العالم ما قيمته ٤٦ مليار دولار، وبعوائد هذه المبيعات سددت نصف قيمة فواتير النفط المستورد.

وهكذا أصبح فائض الحبوب في امريكا اكثر الصادرات نفعاً وعاملا جوهرياً في ابطاء عملية النزف النقدي الامريكي في اتجاه الدول الاجنبية المنتجة للنفط. وبالتالي اصبحت الحبوب الذهبية السلعة الوحيدة التي تؤمن لامريكا حاجتها من الذهب الاسود.

المخزونات المتناقصة – ولدى

التفكير في أمر استخدام امريكا سلاح الغذاء كما تستخدم دول اوبيك سلاح النفط، بدأ المحللون يكتشفون أوجه شبه مهمة بين الغذاء والنفط.

ذات مرة كان النفط رخيص الثمن. وكانت بحيرات طبيعية ضخمة من هذا السائل الثمين ترقد على عمق امتار قليلة تحت رمال المملكة العربية السعودية. وكان ضخ برميل نفط من جوف الارض يكلف أقل من عشرة سنتات. وبدا للسعوديين ان دولاراً واحداً ثمناً للبرميل هو سعر مربح. ولكن سرعان ما اتضح لهم انه مهما بلغت ضخامة المخزونات النفطية الطبيعية في ارضهم فأنها ستنضب يوماً. وعندما يحين ذلك اليوم سيغدو النفط سلعة ثمينة جداً. لهذا بدا لهم انه ليس من الحكمة بيع مخزونهم المحدود بهذا السعر الزهيد.

معظم الامريكيين لا يرون وجه الشبه بين سهول القمح الذهبية التي تمتد فوق اراضيهم والنفط المتدفق من آبار السعودية. انهم يعتبرون الغذاء مورداً يتجدد ابداً سنة بعد سنة. لكنهم مخطئون. فالطعام في امريكا، كالنفط في السعودية، سينفد يوماً. النفط والقمح كلاهما نتاج مخزونات طبيعية ثمينة ومحدودة، وحين تستنفد فانها لا تعود.

ماذا يحدث عندما تنمو سنبلة القمح او عرناس الذرة؟ مِمَّ تتركب هذه الحبوب الثمينة التي ترسل الى ما وراء البحار؟ الجواب هو ان هذه الحبوب تتركب من التراب والماء. وهذان مصدران يتناقصان باستمرار.

تحتاج الطبيعة الى مدة تراوح بين ١٠٠ و ١٠٠٠ سنة لتهيىء سماكة ٢٥ مليمتراً من الطبقة العليا الخصبة في التربة، وهي التي تحوي المواد الحيوية التي تستمد منها النباتات غذاءها. ولكن في تزاحم الامريكيين على استدرار اقصى ما يمكن من طعام من ارضهم، فانهم يستهلكون ما معدله ٢٥ مليمتراً من الطبقة العليا الخصبة في ارضهم كل ٤٥ سنة.

أين تذهب هذه الطبقة الغنية؟

انها تصدر الى اماكن في الخارج اهمها الاتحاد السوفييتي. فعندما تبيع الولايات المتحدة كميات هائلة من الحبوب، فانما هي تصدر تربتها الخصبة، تماماً كما تفعل السعودية حين تصدر نفطها.

كان في وسع المزارعين الامريكيين سابقاً ان يحافظوا على خصب ارضهم ويمنعوا استنفادها على هذا النحو. فقد كانت محاصيلهم معتدلة، وبعد سنوات من ارهاق التربة بزراعة الحبوب كانوا يتركونها لترتاح او يزرعونها بالخضر وسواها من النباتات التي تعيد الى التربة النيتروجين والمغذيات الجوهرية. لكن الامريكيين ينزعون الآن الى استغلال حقولهم دونما انقطاع، فينتجون مواسم مربحة من الحبوب ويغذون أرضهم قسراً بالاسمدة بمعدل ٢٢٥ كيلوغراماً سنوياً لكل هكتار من الارض المنتجة.

ويقدر مسح اجرته وزارة الزراعة في الولايات المتحدة ان فقدان الطبقة العليا الخصبة بالمعدل الحالي، مع تضافر عوامل اخرى، سيخفض محصول المزارع الامريكية بمقدار ٨ في المئة خلال ٥٠ سنة اذا لم تتخذ اجراءات جذرية لحماية الطبقة

الخصبة في الارض. معظم المزارعين يدركون هذا الواقع .ولكن، يقول لستر براون، على اساس المدخول الحاضر سيكلف حفظ التربة ثلاثة اضعاف ما يمكن المزارع ان يسترده من تحسين محاصيله باتخاذ الاجراءات المطلوبة .ولذا فانه يواجه الخيار بين ان يفلس الآن، عن طريق انفاق مبالغ ضخمة لتنشيط تربته، او ان يفلس بعد سنوات عندما تستنفد طاقة أرضه وتصبح عاجزة عن انتاج الغذاء.

اذا كانت المواسم الامريكية الحاضرة تعتمد كثيراً على الوقود المتحجر في جوف الارض (النفط والفحم الحجري) لصنع الاسمدة التي تغذي التربة المستهلكة، فأنها تعتمد الى مدى مذهل ايضاً على المياه الكامنة في جوف الارض.

ان خزانات مائية ضخمة ترقد في جوف الارض، مثل خزان أوغالالا الذي يمتد من ولاية داكوتا الجنوبية الى ولايتي تكساس ونيو مكسيكو. ومن كل ٣٨٠ ليتراً من الماء تستعمل في الولايات المتحدة يذهب ٣٠٧ ليترات الى ري المحاصيل. و٤٠ في المئة من ماء الري هذا يستخرج من آبار تضخ من خزانات جوفية.

والمشكلة هنا هي انه من كل ١٥ ليتراً من الماء الذي يضخ من خزان اوغالالا، لا تعوض الطبيعة الا ١،٥ ليتراً. لذا فأن مستوى المياه في هذا الخزان الجوفي ينخفض بما يراوح بين ٣٠ و٩٠ سنتيمتراً كل سنة. ومن المحتمل انه بعد ٤٠ سنة سيقصر هذا الخزان عن توفير مياه الري. وعلى غرار نفط السعودية، فأن هذا المخزون الثمين من الماء وقد ينضب.

حافز قوي – هذه الحقائق تقودنا الى استنتاج مذهل، وهو ان الولايات المتحدة تبيع حبوبها بسعر أقل من كلفته الحقيقية على المدى الطويل. انها تهدر مخزوناتها المحدودة من اجل استخراج الحبوب من ارضها الزراعية بأسرع ما يمكن ومن دون الاخذ في الحسبان قيمة هذه المخزونات وتقدير الثمن الذي تتقاضاه عنها.

والولايات المتحدة ليست وحيدة في هذا الوضع العسير. فجميع الدول المنتجة للحبوب تستهلك الطبقات الخصبة في اراضيها للحصول على منافع قصيرة الاجل. والجميع يشعرون أنهم مضطرون الى استدرار أقصى ما تنتجه أرضهم بهدف تسديد كلفة مستورداتهم النفطية.

ولكن الا يمكن اقناع الدول الرئيسية المنتجة للحبوب بأن تحذو حذو دول منظمة اوبيك، فيجلس مندوبوها معاً ويؤلفون منظمة للدول المنتجة للغذاء يدعونها "فوبيك" (★)، ويتفقون على طلب مقدار اكبر من الدولارات في مقابل مقادير أقل من الحبوب، فتحافظ بلدانهم على خصب أراضيها.

وعلى غرار منظمة اوبيك، ستسدي منظمة فوبيك هذه خدمة طويلة الاجل الى العالم أجمع. ان منظمة اوبيك اسدت الى امريكا، مثلا، خدمة كبرى، اذ أرغمتها هي ودولا اخرى مستوردة للنفط على الاقتصاد في استهلاك الوقود كما لم يحدث من

(★) حرف "الفاء" هو اول كلمة food الانكليزية التي تعني "الغذاء".

قبل، وعلى اثبات استقلالها الاقتصادي باعتماد مصادر بديلة للطاقة.

وكما تضاءلت سلطة منظمة اوبيك تجاه العالم الذي اصبح أقل اعتماداً على النفط المستورد، فأن منظمة فوبيك ستوفر للدول الاخرى حافزاً قوياً على الاهتمام بأنتاج حاجتها من الغذاء وبالتالي تؤكد استقلالها في هذا المجال. وهكذا، وعلى رغم ان منظمة فوبيك سترفع اسعار الغذاء لفترة قصيرة، فأن أثر ذلك على المدى البعيد سيكون زيادة انتاج الغذاء في العالم مما يدرأ خطر المجاعة عن كل الامم.

وفي القمة الاقتصادية التي عقدت في كانكون (المكسيك) عام ١٩٨١، عرض الرئيس الامريكي رونالد ريغان ايفاد خبراء زراعيين امريكيين الى اي دولة ترغب في تحسين وسائل انتاج الغذاء لديها. لكنه في الوقت نفسه عبر عن اعتقاده أنه اذا لم تبادر الدول الى تحمل مسؤولياتها لتطوير مواردها بنفسها، فسيتعذر انجاز اي تقدم حقيقي لاجتناب خطر المجاعة. ويقول حديث مأثور يحب ريغان ترديده: اذا أعطيت رجلا سمكة، فأنك تقيته ليوم واحد. اما اذا علمته صيد السمك، فأنك تقيته طوال الحياة.

هل تلجأ الولايات المتحدة الى استخدام الغذاء سلاحاً؟

انه قوة وضعتها الطبيعة في يدها. وعلى المسؤولين فيها ان يفكروا في افضل الطرق واحكمها لحث امم العالم على التطور والتعاون وثنيها عن العدوان. وكما تصور توماس جفرسون، الرئيس الثالث للولايات المتحدة (١٨٠١ - ١٨٠٩)، فان امريكا باستخدام حكيم للقوة التي حبتها بها الطبيعة يمكنها ان تجد في الطعام بديلا من السيف ووسيلة للحفاظ على السلام العالمي.

■ لويل بونتي

خروف بالمزاد العلني

في سوق ريفية حيث تباع رؤوس الماشية بالمزاد العلني، تقدمت فتاة صغيرة لبيع خروفها. ولما وصل الرقم الى عشرة دولارات للكيلوغرام الواحد، وقفت الطفلة بجانب خروفها تبكي. واشتد بكاؤها عندما ارتفع الرقم الى عشرين دولاراً. وأخيراً شق رجل أعمال محلي طريقه بين الجمع، واشترى الخروف بألف دولار، قائلا انه يفعل ذلك تعزية للطفلة التي آلمها التخلي عن خروفها، ثم تركه لها. وحيا الناس بادرته الكريمة بالهتاف والتصفيق.

وبعد بضعة أشهر، كتبت الفتاة موضوع انشاء قالت فيه: "ما أن بلغ الرقم عشرة دولارات للكيلوغرام حتى رحت أبكي فرحاً. وكان فرحي يتضاعف مع تضاعف الارقام. وعندما دفع ذلك الرجل الطيب الألف دولار وأعاد الخروف الي، لم أعرف كيف وجدت طريقي الى البيت. وهناك نحر أبي الخروف وأكلناه ونحن نتهلل فرحاً".

ج.ر.

كلّ متزوّج يهمه أن يقيس مقدار حبه لشريك حياته. وهنا خمس طرق لتحقيق هذا الامر، من خبير ومؤلف في مسائل الحبّ والزواج

٥ براهين على الحُبّ

بصفتي خبيراً في شؤون الحياة الزوجية، أتلقى آلاف الرسائل من الذين قرأوا كتبي أو استمعوا الى محاضراتي. ومن أسئلتهم المتكررة ما يأتي: "كيف يعرف المرء أن حبه حقيقي ؟" وهنا نماذج مما يكتبون: "انه عظيم في جوانب كثيرة، ولكن..." "كنتُ أظن أن هذا هو الحب الحقيقي. غير أني في ما بعد..." "هل هناك طريقة تجعلني أتأكد مئة في المئة من الامر؟" أما أنا فأشك في هذا المقدار من اليقين. ويكون رائعاً لو انطلق المرء من ٥١ في المئة من اليقين في مسائل الحب، وبنى على ذلك.

الحب يعني اموراً كثيرة: الصداقة، المرح والضحك معاً، الجنس، الاستمتاع برفقة الآخر... ولكن ليس من السهل أن يقرر المرء ما اذا كان يحب شريكه حقاً. ولقد ابتكرتُ اختباراً من خمسة أسئلة يعين على الاجابة عن هذا التساؤل. فأذا كان الشخص المعني مزمعاً على الزواج، ففي امكانه قياس قوة العلاقة وصلاح الواحد للآخر. واذا كان متزوجاً، فهذا الاختبار يفتح له طرقاً جديدة لتنمية الحب .

١. الحرية

أيشجع أحدكما الآخر على الانصراف الى بعض النشاطات

Condensed from «How to Know if You're Really in Love», Copyright (C) 1978 by Charlie Shedd and the Abundance Foundation, Published by Andrews and McMeel, Inc., Fairway, Kan.

الشخصية أو اقامة صداقات خاصة أو تقوية فرديته؟ الزواج الصالح يفسح أمام كل زوج استقلالية خالية من الشوائب.

في بدء عهدهما بالزواج، كان سعيد ناديا يستأثر أحدهما بالآخر حتى استحال حبهما سجناً. أما اليوم وقد أسس كلٌّ منهما صداقاته الشخصية، فقد تحسنت علاقتهما.

وهناك صلاح الذي بلغت حماسته أشدها لملاحقة أسواق الاسهم المالية، في حين أن زوجته هدى يُضجرها ذلك الامر كثيراً. لكنهما توصلا الى تدبير هو عين الحكمة. وبات صلاح يرتاد البورصة عندما تخرج هدى لممارسة الرياضة.

الازواج الحكماء هم الذين توصلوا الى القناعة الآتية: نحن لا نتزوج كي يُصلح أحدنا الآخر أو يقيم له سياجاً. ونعتقد أنه خير لنا، في حياتنا الخاصة والمشتركة، أن نقتدي بكلمات المفكر اللبناني الكبير جبران خليل جبران: "اتركا فسحات في حياتكما المشتركة".

٠٢ نكران الذات

ثمة عبارات وأفعال يقولها أو يقدمها الشخص لشريكه بحيث تضفي رقة وجمالا على العلاقة. هذه الامور التي يحسن بالمرء التنبه اليها، وان لم يكن مرغماً عليها، هل حققتها في حياتك؟ ان الروح التي تسود الزواج الناجح لا تقوم على: "ماذا ستفعل من أجلي؟" بل على: "ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟" الحب غير الاناني يرتكز على الآتي: "أحبك لانك هناك، لأنك موجود".

طوال السنوات الاثنتين والاربعين التي انقضت على حياتنا الزوجية، حرصتُ وزوجتي على أن يقول أحدنا للآخر مرة على الاقل في الاسبوع: "احبك لأنك..." الا أن الكلمات ليست السبيل الوحيد لتحقيق الحب غير الاناني. وقد أخبرني رجل ما يأتي: "خابرتني زوجتي في مكتبي وسألتني اذا كنتُ مرتبطاً في الغداء. ولما قلتُ لها أني حر، أجابت: سأُعد غداء سريعاً وأوافيك الى الحديقة العمومية، لقد اشتقتُ اليك واريد أن أكون معك. أليسَ هذا رائعاً؟"

وكتبت امرأة اليّ: "لا يمكنني أن أصف غبطتي عندما يأتي زوجي باكراً ويقول: "ادخلي الحمام وخذي وقتك، وأنا سآخذ الاولاد الى الحديقة للعب".

ان تعابير الحب الصغيرة التي تصدر عن روح غير أنانية هي كبيرة فعلا ولا نهاية لها. فلا تدع هذه التعابير تفوتك.

٠٣ الاعتذار

هل تتجنب الانتقاد المفرط وتحاول الاعتراف بأخطائك؟ الحب الباقي لا يستغني عن عبارات من النوع الآتي: "سامحني"، "سامحيني"، "متأسف"، "لقد أخطأت".

وما الاعتذار سوى استعداد المرء للاعتراف بخطأه. واذا كانت هذه الميزة جزءاً من الحب فلا يبقى لدى المرء ما يخشاه أو يخبئه عن شريكه. والحب الحقيقي يقتضي كثيراً من الصفح والرحمة.

٤٠ الجنس

هل تعي حاجات شريكك الجنسية؟ لا شيء يضاهي الجنس من حيث اللذة والبهجة والمعنى، هذا اذا كان الجنس سليماً. أما اذا لم يكن، وفي حال قيام صعوبات، فالحب يقتضي التفهّم والمساومة.

أن الروح التي تسود أفضل العلاقات الزوجية هي الآتية: "لنبحث في كل ما تحتاج الى الكلام عنه من أجل سلامك الداخلي". هذه الحال من الود، وان تكن نادرة، يجب أن تغدو هدفاً.

الرسائل التي تأتيني تدلّ على أنّ السعي الى الجماع وعدد المرات التي يحصل فيها جماع هما من الاسباب الرئيسية المؤدية الى الخلافات الزوجية. وتقول احداهن: "إنني أستمتع بالجنس معظم الاحيان، لكنه يريده أكثر مني. فهل هذا طبيعي؟" أجل، انه طبيعي. ومن الفوارق الكبرى بين الازواج أن الرجال، بما يخص الجنس، يسعون الى الكمية، فيما تسعى النساء الى النوعية. والحب الناضج يبدأ عندما يتحرك هذان المسعيان كل في اتجاه الآخر.

٠٥ المال

هل توصّلتما الى مفهوم مشترك حول تحصيل المال وادخاره واعطائه وصرفه؟ المال يمكن أن يقرّب شخصين أو يباعد بينهما. وعلى الطرفين المعنيّين ان يعالجا المسائل التي يمكن الاختلاف حولها، وأن يطرحا أسئلة كالآتية: "هل نريد الاشياء نفسها؟ هل نحن متفقان حول معنى النجاح؟ ما هي أهدافك؟ ما هي أهدافي؟" والمؤسف أن هذه الاسئلة، والكثير مثلها، لا تُطرح.

ويشكو أحد الازواج قائلا: "ان مصاريف زوجتي لا تنقطع، وأحياناً لا أعرف مغزى فواتيرها ومعنى ما تشتريه. أني أعدّ زواجنا جيداً. لكنني أتساءل أحياناً عما اذا كان في امكاني أن أُسدد حساباتها على الدوام".

أني أعرف امرأة اخرى كهذه، لكنها اتفقت وزوجها على أن يضع لها حدوداً لا يمكن أن تتخطاها. كما أعرف زوجاً مبذراً سلم زوجته دفتر الشيكات، طالباً اليها أن تمده بالمال كلما وجدت ذلك مناسباً.

والآن، ماذا؟

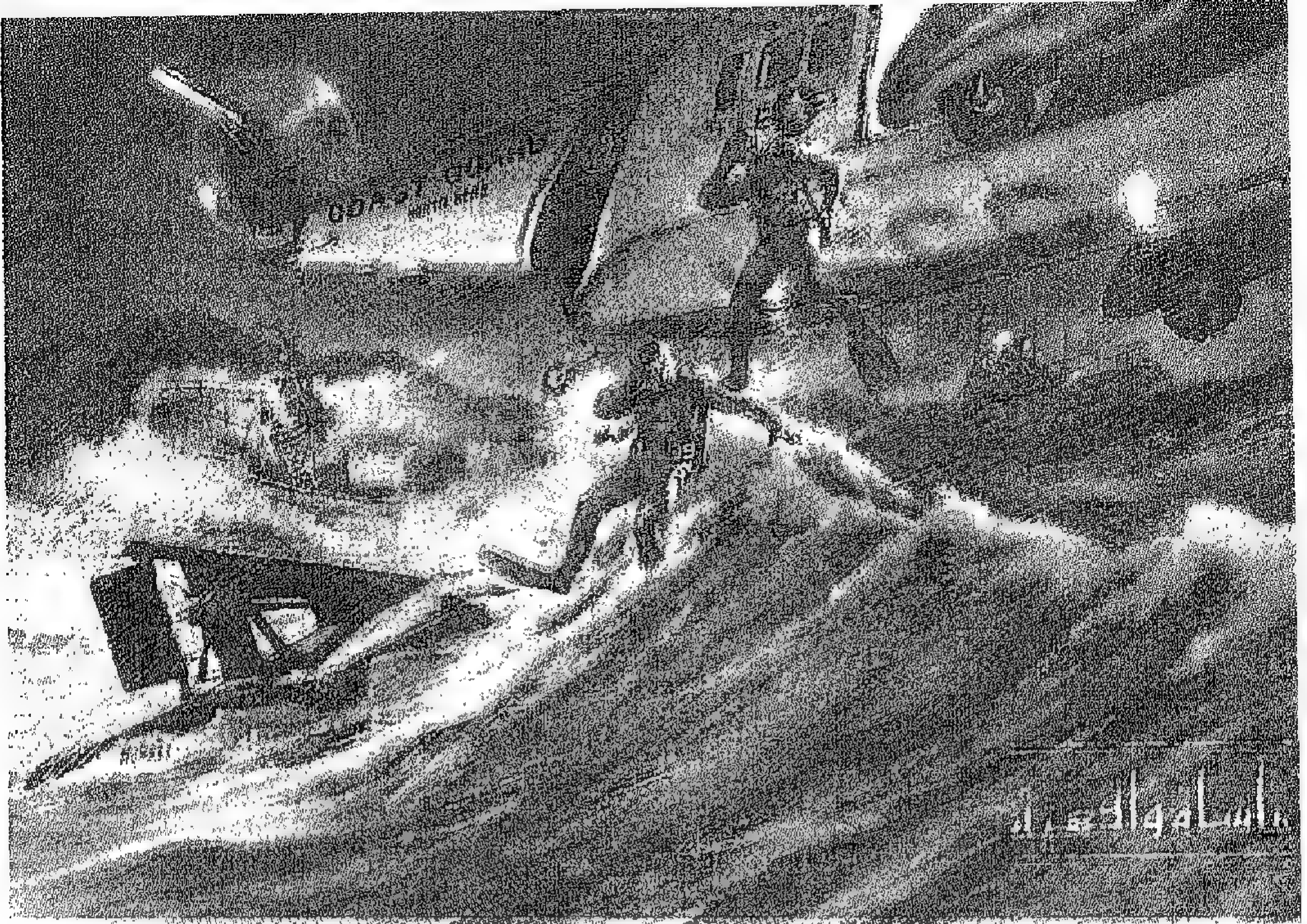
اذا كان جوابك "نعم" عن الاسئلة الخمسة كلها، فأنت على طريق العلاقة الناضجة. واذا لم تستطع أن تقول "نعم" لبعض الاسئلة، فهذا يعني أنها متعلقة بمجالات تلزمها عناية خاصة. ولكن ثق بأن عملك على تحقيق هذه الاهداف يقوي علاقتك. وتذكر أن سرّ الزواج الناجح ليس أن تجد الشخص الملائم، بل أن تكون انت الشخص الملائم.

■ تشارلي شد

الوتر الحساس

قال رجل لزوجته التي كانت تقيس معاطف الفرو، بعدما لبست معطفاً ثميناً جداً: "كدت الا أعرفك يا عزيزتي! فإنك تبدين سمينة جداً في هذا المعطف".

ك.و.



فجأة انقلب مركب الصيد في الامواج العاتية، وعلق البحاران في غرفة المحرك يتهددهما الموت من الصقيع أو الغرق أو نفاد الهواء

الجحيم البارد

حاول غاري كاتينغ، بكل ما اوتي من خبرة، أن يسيطر على مركب الصيد الذي يقوده والذي يبلغ طوله نحو ١٥ متراً عبر مياه المحيط الهادىء السوداء. كانت الساعة الثانية عصر السابع من يونيو (حزيران) (١٩٨١، و"الاوديسة" - وهذا اسم المركب - على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوب غرب قاعدتها في بلدة نيوبورت من أعمال ولاية اوريغون الامريكية. وارتفعت قوة الريح الى ٣٥ عقدة ولاح على الافق نذير عاصفة. وأدرك الربان المحنك ذو السنوات الست والثلاثين أن تلك العاصفة التي تهب من الجنوب الغربي قد تكون مهلكة.

"لنرفع الشباك ونعد من حيث أتينا، "قال كاتينغ لزميليه تود

ماسون (٣١ سنة) وأخيه تيري ماسون (٣٥ سنة)٠

وشقت الاوديسة طريقها وسط امواج ترتفع مترين ونصف متر، والريح تسوطها بسرعة ٣٠ عقدة وترشش نافذة حجرة القيادة بالرذاذ٠ وقال تود ماسون لنفسه وهو على عجلة القيادة: "ليس هناك سبب للخوف٠" وكان تود عانى أهوالا بحرية عدة في مراكب أقل جدارة من الاوديسة٠

ولكن ما هو الا قليل حتى أتت موجة عاتية على مؤخر المركب وأمالته الى جانب واحد، ثم رفعته فوق جبل من الزبد٠ وتمتم تود غير مصدق: "يا إلهي!" ومن النافذة الجانبية أمكنه أن يرى الامتار الثمانية التي تفصله عن المياه الجامحة تحته٠ وبذعر قبض على عجلة القيادة والخانق في آن٠

وانقلب غاري وتيري ناحية تود قبل أن ترتفع موجة اخرى وتضرب جانب المركب البارز فوق الماء٠ وانقلبت الاوديسة وأخذ الماء يتدفق عند الباب المؤدي الى سطحها الخلفي٠ وصرخ غاري: "اننا نقف على السقف! يجب أن نخرج من هنا بسرعة٠" وألقى الرجال الثلاثة ثقلهم على الباب، لكن ضغط الماء في الخارج منعه من الانفتاح٠

تحت الماء ـ ظل الماء يرتفع باطراد بعدما غمر النصف الاسفل من البحارة الثلاثة٠ وشق غاري طريقه نحو الباب وقال: "هذا أملنا الوحيد٠ لنحاول مرة اخرى٠"

وفي خمس دقائق كان تيري، وهو أقصر الثلاثة (١٦٨ سنتيمتراً)، يحاول جاهداً ان يُبقي ذقنه فوق الماء٠ وراح تود يفكر بسرعة في ما ينبغي فعله٠ واستقرت أفكاره على الفتحة المؤدية الى المحرك٠ انها الآن فوق رأس تيري مباشرة٠ وما أن أشار تود اليها حتى سحب تيري المقبض وجر نفسه الى غرفة المحرك٠ وصرخ تود: "تعالَ يا غاري! دعنا نذهب نحن أيضاً٠"

إلا أن الربان لم ترقه فكرة تود، وصاح: "كلا٠ اذا دخلنا غرفة المحرك، ربما علقنا فيها٠ والافضل ان نثابر على فتح الباب٠" وأخذ غاري نفساً عميقاً واختفى تحت الماء٠

وفيما سحب تيري أخاه الى غرفة المحرك، سمع هدير الماء في الجزء الاسفل٠ وبقي الصوت قليلا ثم أخذ يتلاشى٠ ويبدو أن غاري كاتينغ فتح الباب وخرج من حجرة القيادة٠

ونظر تود حوله في غرفة المحرك التي يبلغ طولها خمسة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار ونصف متر٠ وكان الماء عند مستوى الركب وقد علته طبقة من زيت الديزل٠ وسأل تود أخاه: "ماذا تقول عن امكان نجاتنا؟"

وأجاب تيري: "ان حظنا في النجاة يكون أفضل لو أمكننا بث رسالة عبر جهاز الارسال٠ فنحن لا ندري كم يصمد هذا الجيب الهوائي٠ ولا بد من هلاكنا في حال انقلاب المركب جانبياً٠"

فقال تود: "حسناً٠ واذا شئنا الصمود الى أن تأتي النجدة، فعلينا الخلاص من هذا الماء الجليدي٠"

وراح الاثنان يعملان سريعاً، قبل هبوط الظلام، على اقامة منصة فوق المحرك من خشب الارضية الرقيق، تفصلها عن سقف الغرفة مسافة متر٠

وبُعيد السادسة والنصف مساء

تلقت محطة خليج ياكينا لخفر الساحل، ومركزها نيوبورت، نداء استغاثة من قائد مركب صغير شاهد الاوديسة تحت رحمة الانواء على بعد عشرين كيلومتراً. وانطلقت طائرة الانقاذ المروحية ١٣٥٣ من قاعدة خليج كوس الجوية للتحقق من الامر.

"لقد وجدونا" - في غرفتهما الصغيرة كان تود وتيري يلتقطان أنفاسهما كلما تكسرت موجة على المركب. ومع كل موجة كانت المياه ترتفع في غرفة المحرك حتى مسافة متر واحد تحت مجثمهما قبل أن تنحسر. وقال تيري لنفسه: "وحده الرجاء يحفظنا، والاستسلام يقهرنا."

وبينما هما كذلك سمعا قعقعة طائرة مروحية. وشهق تيري: "هليكوبتر! لقد وجدونا."

ومع الغسق، في السابعة والربع مساء، شاهد الملازم آل سيدل، قائد الطائرة ١٣٥٣، الاوديسة وسط الامواج العارمة. وبث معاونه غلين غان رسالة بالراديو الى محطة خليج ياكينا يعلمها بالعثور على المركب. وبعد دقائق كان زورقا انقاذ آليان يبحران نحو المركب المنقلب.

وكان الظلام الحالك أطبق على المكان وازدادت حدة العاصفة عند وصول الزورقين بعد ساعة. وعبر جهاز الارسال، خاطب الملازم غان ربان أحد الزورقين قائلا: "ليس من علامة على نجاة أحد. وأظن أنه علينا انزال رجل على المركب للتأكد من ذلك."

وفي الثامنة والربع دلّي حبل من الطائرة الى أحد الزورقين. وتمسك الضابط البحار كريغ وايت بالحبل، فرفعته الطائرة ثم أنزلته فوق الاوديسة. وراح يدب فوق بدن المركب الزلق ثم تشبث بعارضة ناتئة منه.

وسمع تيري وتود طرقاً على بدن المركب. وحمل كل منهما ماسورة طرق بها. وتنهد تيري قائلا: "الحمدلله! لقد وصلت النجدة."

وراح مسؤولو فريق الانقاذ يعملون بسرعة، علماً أن العاصفة كانت ستبلغ ذروتها بعد ثلاث ساعات. وتطوع غواصان مجليان للعمل، وحملتهما الطائرة نحو المركب. وفي تلك الاثناء اتصل مدير العمليات في قاعدة خليج كوس الجوية، وهو الضابط باتريك وندت، بصاحب شركة غوص تجارية في المنطقة اسمه بيل شايرز (٣٦ سنة)، وقال له: "هناك مركب صيد انقلب وداخله بعض الناجين الذين نحاول انقاذهم، لذلك نريد أن تأتي مع شريكك الى المكان، إذ ربما احتجنا اليكما."

وفي العاشرة والدقيقة الاربعين ليلا كان شايرز وشريكه بات ميلر (٤٩ سنة) يرتديان ثياب الغوص في غرفة الارسال التابعة للمحطة الجوية، عندما تبلغا رسالة ثانية من وندت تدعوهما الى التوجه حالا الى مكان الحادث بعد انسحاب الغواصين اللذين أنزلا أولا.

وقال وندت: "أما تزالان على استعداد للغوص؟"

فأجابه شايرز: "بكل تأكيد... أو لسنا هنا لهذه الغاية؟".

"نكاد نقضي هنا" - مضى أكثر من ساعتين على سماع تود وتيري صوت

الهليكوبتر. وكان الصقيع ملأ غرفة المحرك وزاد ارتفاع الماء ١٥ سنتيمتراً. وقال تود لنفسه والقلق ينهشه: "لماذا تأخذ العملية هذا الوقت كله؟ ألا يعرفون أننا نكاد نقضي هنا؟"

وفي الدقيقة الثلاثين بعد منتصف الليل كانت الطائرة التي تحمل شايرز وميلر تحلق فوق الاوديسة، فيما بلغت سرعة الريح ٤٥ عقدة وحجبت الامطار الرؤية خلف مسافة ١٥ متراً. وهبط الطيار حتى أصبح على ارتفاع متر ونصف متر فوق الامواج العاتية. وعند الاشارة نزل الغواصان وسط ذلك الاضطراب العظيم.

وتحت الماء وجدا ان الجزء الخلفي من المركب علق كله داخل شبكة الصيد. ومدا حبل نجاة وسلطا الانوار. وبقي ميلر وراء شايرز ممسكاً بالحبل، فيما شق زميله الشبكة ودخل حجرة القيادة. وهناك وجد أحد مصراعي الباب مفقوداً والمصراع الآخر ثابتاً مكانه. ففتحه ثم ربطه.

وفي حجرة القيادة علقت قدما شايرز في الركام. وأشار الى ميلر بالانضمام اليه، فدخل الحجرة وحرره من الركام. وعلى رغم أن كل ثانية كانت حاسمة، إلا أن الاثنين صرفا وقتاً لرفع الحطام من الارض كي يتركا منفذاً يعودان منه. ورجع ميلر الى مؤخر الحبل بينما تابع شايرز طريقه عبر الممر الضيق الى قسم النوم، وهو المكان الطبيعي الذي يلوذ به الملاحون للنجاة على مركب مثل الاوديسة، لأنه المكان الأعلى.

وفي طريق عودته الى حجرة القيادة نظر شايرز الى ساعة يده، فوجد أن ٤٥ دقيقة انقضت على نزوله وميلر الى الماء. وكادت قارورة الهواء أن تفرغ، فعادا الى السطح لحمل قارورة اخرى. وقال شايرز: "لا علامة لوجود ناجين." فأجابه ميلر: "علينا أن نتوجه نحو بدن المركب للتأكد من الأمر."

وسبح الاثنان الى بدن المركب الدبق. وما أن طرق شايرز حتى جاءه طرق قوي من داخل. وصرخ ميلر: "غرفة المحرك."

وعاد الاثنان الى زورق النجاة، وهناك عرفا من الربان ان الطائرة المروحية لم تتمكن من القاء العدة اللازمة كلها، بما فيها قارورة هواء صغيرة، بسبب قوة العاصفة ونقص الوقود. وأضاف الربان: "ستعود الطائرة ومعها العدة خلال نصف ساعة أو أقل."

وصرخ شايرز قائلا: "لكن الناجين في المركب قد لا يمكنهم الانتظار نصف ساعة. وعلينا ارتجال طريقة لانقاذهم."

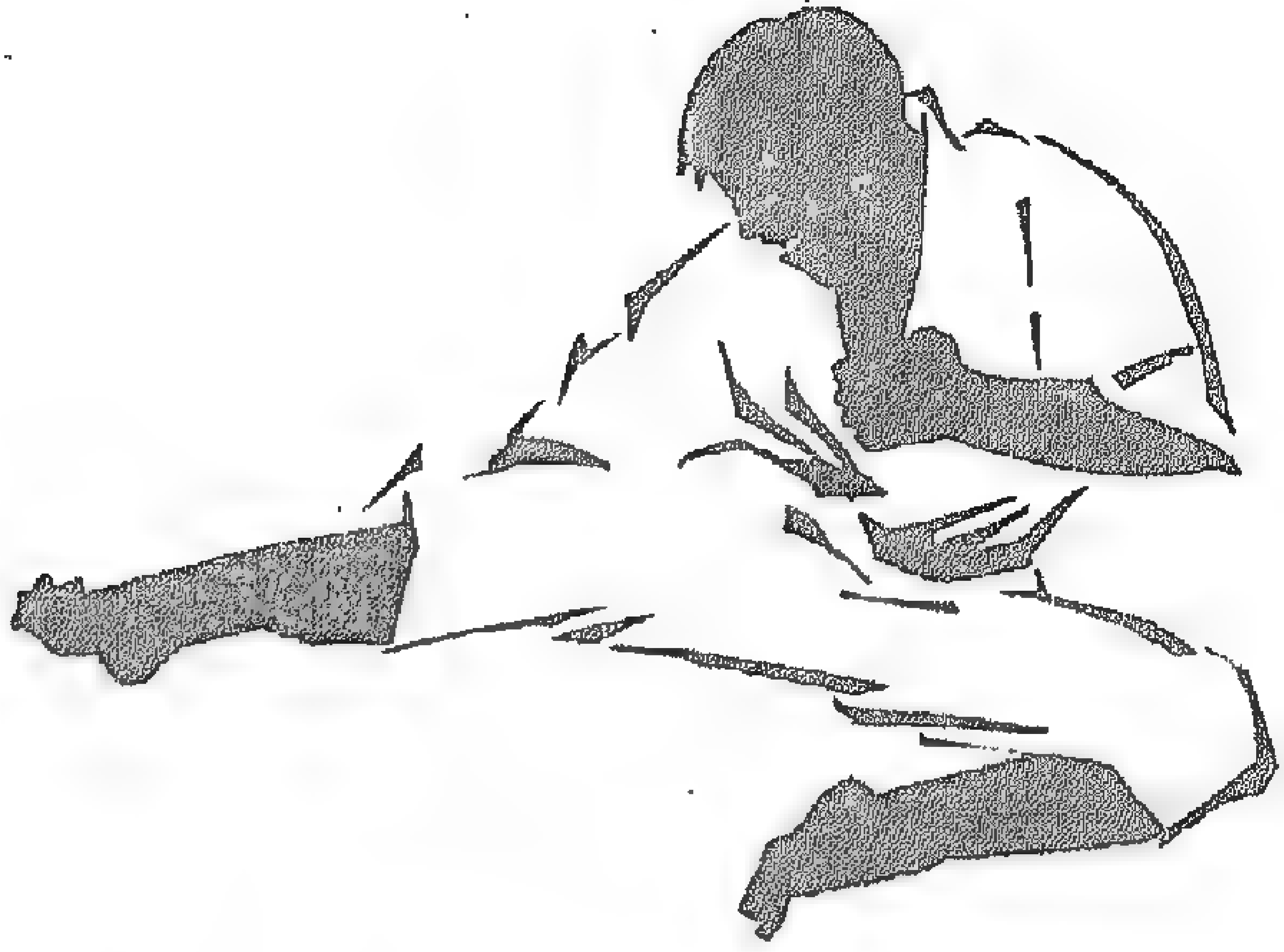
وراح شايرز يتفحص خارج الاوديسة، فيما وقف ميلر على سطحها وبقي على اتصال بزملائه في زورق النجاة. ثم وصل شايرز خرطوم الهواء بقارورة ميلر، مقدراً أنها تحوي ما يكفي من هواء، وغاص تحت الماء لينفذ الى حجرة القيادة. وإذ ذاك انحرفت الاوديسة ٤٥ درجة الى ناحية واحدة، وأخذ قلب شايرز يخفق بسرعة وهو يتساءل: "ما الذي حملني الى هنا؟ أأنا مجنون؟"

وسبح نحو الكوة التي تفتح على غرفة المحرك، باذلا كل ما اوتي من قوة لفتحها. وما أن تسلل حتى وجد

نور مصباحه اليدوي مسلطاً على وجهي تيري وتود ماسون·
وبادرهما شايرز بهدوء: "السلام عليكما! أأنتما سعيدان لرؤيتي؟"
وجاءه جواب تيري: "وهل من شك في هذا؟"
واكتشف شايرز، لهوله، أن الانبوب الذي يصله بقارورة الهواء انقطع· وهكذا أصبح الرهينة الثالثة في ذلك المكان المنعزل· إلا أنه لجم خوفه وقال لهما بما أمكنه من هدوء: "عليّ الصعود من جديد الى السطح لاحضار عدة جديدة·"
وعلماً منه أن أقل خطأ من شأنه أن يؤدي الى هلاكه، مشى شايرز بحذر نحو حجرة القيادة، ثم سبح نحو الباب وهو يمسك بحبل النجاة الذي سبق أن وضعه هناك·وعاقه التيار قليلا ، ولكن لم يلبث ان قذفه خارجاً· وصعد الى السطح وهو ممسك بحبل النجاة، وراح يلهث طالباً الهواء· وتلقاه ميلر وأعانه على الصعود الى زورق النجاة·

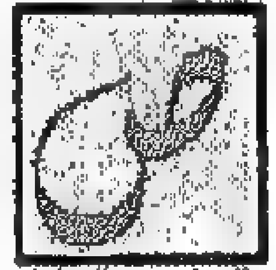
١٣ ساعة – في غرفة المحرك داخل الاوديسة كاد الهواء ان ينفد· وتشبث تيري وتود بمكانهما على المنصة وهما يخشيان غرق المركب في أي لحظة· وراح تود يصلي: "رباه، لا تمتنا الآن بعدما اقتربت نجاتنا·"
أما شايرز فابتسم وهو يرى الطائرة تنزل قوارير الهواء والعدة اللازمة· وتجاهل ارهاقه وأصر على أن يعود هو نفسه لأنه بات يعرف جيداً داخل الاوديسة، على أن يبقى ميلر في الماء منتظراً خروج الثلاثة·
وهكذا سبح شايرز للمرة الثالثة الى حجرة القيادة، ومن هناك شق طريقه نحو غرفة المحرك· وبادر تود وتيري بأعصاب باردة: "حسناً أيها الصديقان لنخرج من هنا·"
وقطع الثلاثة الطريق نفسها· وبعد وصل الخراطيم بالهواء قال لهما: "لا تنسيا أن الاقدام تحرر أولا· ولدى بلوغكما حجرة القيادة، سأصلكما بحبل النجاة الذي يجب أن تتبعاه حتى الباب، ومن هناك عبر الشبكة الى الخارج·"
وهز تود رأسه والخوف في عينيه· وخاض في ماء الغرفة نحو الكوة، ثم عاد الى المنصة· وتبعه شايرز وهو يقول: "لا داعي الى الخوف إلا من امكان غرق هذا المركب في أي لحظة· لذلك أرجوكما أن تتبعا تعليماتي·"
وشق تود طريقه على مضض· وبعد دقيقتين برز على سطح الماء، وأعانه ميلر في الصعود الى قارب النجاة· وعاد شايرز الى غرفة المحرك، والارهاق يهده، لاخراج تيري الذي ضل طريقه قليلا قبل وصوله الى سطح الماء· وكانت الساعة الثالثة والدقيقة الثانية والاربعين فجراً· وسُحب تيري الى قارب النجاة ثم تبعه شايرز· وهكذا انتهت محنة الاوديسة بعد ١٣ ساعة من بدئها·
إلا أن جثة غاري كاتينغ لم تظهر أبداً·
وفي الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ أقيم احتفال سُلم فيه بيل شايرز وبات ميلر ميداليتين ذهبيتين هما أرفع وسام تقدمه ادارة خفر السواحل تقديراً للشجاعة في انقاذ حياة الآخرين·

■ غلين جوينر



صرخة الروح في الكاراتيه والكونغ فو

صرخة غامضة مركزة تنعكس صاعقة من الطاقة الصرفة، وحركة هادئة وثابتة تتحول ضربة خارقة تكسر الصخور



صيف ١٩٦٧، كنت طالباً زائراً في جامعة لينينغراد في الاتحاد السوفييتي، وذات مساء اديت عرضاً لبعض ألعاب الكاراتيه إمام جمهور من الطلاب والاساتذة. وكنت تعلمت هذه الرياضة في الولايات المتحدة طوال سنوات واكتسبت مقداراً وافياً من البراعة فيها.

في ذروة العرض كان علي ان اهشم قطعة آجر بيدي العارية. وأحضر اصدقائي السوفييت آجرة تزيد على ضعفي حجم القطع التي اعتدت تحطيمها. ومن دون وجل اخذت نفساً عميقاً ورفعت يدي اليمنى، ثم زعقت وهويت بقبضتي المشدودة على القطعة بكل ما في جسدي من قوة. لكن شيئاً لم يحدث. وضربت مرة بعد اخرى بيدي اليمنى حتى تمزق اللحم وسال الدم. عندئذ اخذت أضرب بيدي اليسرى بقوة بدت لي كافية لاختراق الفولاذ، لكن الآجرة لم تتهشم: فاستسلمت وتواريت في ظلام الليل.

رأيت عبر الشارع ورشة بناء تكومت فيها قطع من الآجر شبيهة بتلك التي أعجزتني. فرفعت واحدة ورميتها على الارض، واذا بها تتهشم لدى اصطدامها بحافة قطعة

اخرى. حملت بضع قطع وهرعت عائداً ادراجي الى القاعة واعتليت المسرح. اخذت نفساً عميقاً ورفعت قبضتي وهويت عليها بزعقة مفعمة بالثقة، لكن القطعة لم تتحطم.

ذهلت واعتراني شعور بالخزي، فأغمضت عيني وتنفست عميقاً واسترخيت. نسيت قطع الآجر والألم في يدي وتراءت لي غيوم بيضاء تعبر السماء الارجوانية التي ارتسمت في مخيلتي وأحسست الهواء يملأ صدري. فتحت عيني، وبلا جهد هويت بيمناي على القطعة فاخترقتها من غير أن أحس اطلاقاً بوقع الصدمة. وهب السوفييت واقفين يهتفون لي بصخب. ذلك ان شعباً يدرك مغزى المعاناة والتسامي الروحي فوق المادة، يقدر قيمة انتصار الروح على المادة الخامدة.

بدأت اتعلم اصول الفنون القتالية الآسيوية عام ١٩٦٠ في مانهاتن، نيويورك. وكنت يافعاً بديناً اضع نظارة طبية. وطالما كرهت عجزي عن الدفاع عن نفسي ازاء الفتيان الاشداء في المدرسة فعكفت بشغف على تعلم الجودو طوال ثلاث سنوات ثم انصرفت الى الكاراتيه بالحماسة نفسها.

وخلال عقدين واصلت تعلم الايكيدو(١) والملاكمة والمبارزة بالسيف والكونغ فو(٢) والمصارعة والتاي ـ تشي تشوان(٣). ولهذا فاني اذا نزعت الى التفلسف فلأن تلك فلسفة اكتسبتها بالكد وعرق الجبين. فالفنون القتالية بالنسبة الي كانت المدخل الذي عبرت من خلاله الى ميادين من الخبرة، حيث الافتراضات المألوفة عن الصراع والخوف والجهد والطاقة وحتى طبيعة الحقيقة الجسدية ذاتها يمكن ان تقلب ويعاد تقويمها.

في السنوات الاولى من التدرب كانت الفنون القتالية "الخارجية" مثل الجودو والكاراتيه تركز على المهارات الجسدية كالضرب والركل والعرقلة والقذف. والمؤسف ان معظم الطلاب يقصرون عن بلوغ المستويات العليا حيث تتضاءل أهمية الحركات البدنية ازاء التحولات النفسية كقهر الخوف.

التسامي الى الكمال ـ انا لم أعبر الى الجهة الاخرى من حاجز الخوف الا بعد سنة من نيلي "الحزام الاسود". وكنت ادرس الكاراتيه في كلية نيوهامشير، فسألني خبير كاراتيه ياباني زائر اذا كنت ارغب في التباري معه فقبلت التحدي. كان جلياً انه يبزني براعة، واستشعر هو خوفي من اي ضربة تصيب محيط عيني اذ كنت مصاباً بقصر النظر وأضع نظارة طبية، فاخذ يرهبني متظاهراً بأنه يهاجم عيني ثم يوجه الي ضربة في مكان آخر.

وفيما نحن نتبارى تحسن ادائي. قفزت مرة في الهواء وسددت ضربة قوية الى عنقه فاستدار حانقاً ورد بضربة على جانب رأسي رمتني أرضاً. انقضضت عليه ثانية، وهذه المرة دار على نفسه دورة كاملة وسدد ركلة بعقب قدمه اصابتني فوق عيني

---

(١) رياضة يابانية تعتمد حركات دائرية تجعل قوة الخصم ووزنه عاملين ضده.

(٢) رياضة صينية للدفاع عن النفس.

(٣) فن صيني يعتمد التأمل والحركة ويشكل في الوقت نفسه اسلوباً قتالياً بارزاً.

اليمنى فتحطمت نظارتي واخترق اطارها البلاستيكي حاجبي.

فجأة، بعدما أصبت في النقطة التي تثير خوفي، أحسست ان فقاعة وجلي انفقأت. فوقفت وقد تحولت رجلا آخر. الروح الجديدة التي انبعثت في ذاتي كانت اكثر من ند لخصمي، وادركت اني قادر على قهره. تراجعت الى وسط الحلبة، لكنه امتنع عن مواصلة المباراة. ودعوته الى العودة في الاسبوع التالي، غير انه لم يحضر ابداً.

التباينات الرئيسية بين الفنون القتالية الخارجية وتلك التي تسمى "الداخلية"، كالايكيدو والتاي - تشي تشوان، هي ان هذه تعتمد منذ البداية حالا فكرية واحدة. وقد واجهت هذا السحر للمرة الاولى في شخصية المعلم ت.ت. ليانغ وهو صيني في الثانية والثمانين منعمره. ألقى ليانغ في طلابي محاضرة عن مبادىء التاي - تشي القديمة، قال: "ركزوا الـ"تشي" (الطاقة الحيوية) في أسفل البطن ثم استرخوا. كل الحركات عندئذ يجب ان يسيرها العقل بدلا من العضلات. تأمل في العمل وعمل في التأمل".

دعاني ليانغ الى اعتلاء المسرح ليريني التطبيق العملي لهذه الفلسفة. رفع احدى ذراعيه. وأهاب بي ان ادفعه. وما ان لامست يدي معصمه حتى أغرق في الضحك فأخذت أضحك انا ايضاً من دون ان ادري السبب.

قال: "ادفع". فدفعته متوقعاً ان ألقى منه مقاومة، لكنه بدلا من ذلك انفتل جانباً بتناسق تام مع حركة يدي، فتعثرت وكدت ان اقع على وجهي. وضحكنا ثانية، فقد كان ليانغ يريني مبدأ "المحايدة" او الانصياع.

وذات مساء فيما نحن نتحدث بدأ ليانغ يتلاعب بسيفين، واذا به محاط بطوق من الفولاذ المتحرك. كان السيفان يدوران حوله في شكل حلقتين متلامستين (على صورة الرقم 8) بتعاقب وسرعة مذهلين. وعلى رغم ذلك لم تظهر على وجهه دلائل اي عناء. كان في مثل غيبوبة ويتحرك في اقصى حالات الصفاء النفسي. وفي برهة لا يحدها زمن كان قريباً من الكمال على نحو لم أره في حياتي.

يسمي الصينيون هذه الحال "واي وو - واي" اي "العمل من دون عمل" وتحقيق أمر ما من دون اي جهد. وهذا يأتي من التناغم مع "تاو" وهو المبدأ الاكبر في الطبيعة. اما نحن فيمكننا ان نسمي هذه الحالة "التسامي" او التجلي الروحي.

صرخة الروح - بين العامين ١٩٧٥ و١٩٧٧ تتلمذت للمعلم كوتشي توهاي في اليابان، وهو أعظم دعاة الفنون القتالية في العالم. انه في الثانية والستين من العمر لكنه يتحرك بقوة رياضي قدير وبخفة راقصة باليه. معظم تعليمه يتناول تطوير الـ"كاي" اي تنمية القوة الحياتية في كل فرد. وباستخدامه قوة الـ"كاي" يحقق توهاي اعمالا مذهلة. ان طوله ١٦٠ سنتيمتراً ووزنه ٧٥ كيلوغراماً، غير ان في وسعه ان يجعل نفسه ثقيلا الى حد يعجز معه أربعة رجال عن رفعه عن الارض.

طلب مني توهاي ذات مرة ان امسك بمعصميه وأمنعه من جمعهما. توترت عضلاته في مقاومة ذراعي، لكنه لم يستطع ان يحرك يديه. ابتسم وقال: "جرب ثانية من فضلك". هذه المرة استرخى عندما امكست بمعصميه، وفجأة شعرت كأني احاول صد شلالين من الماء المتدفق، وبسهولة تامة قرب يديه ببطء وجمعهما ثم قال: "هذا هو التنسيق بين العقل والجسد".

أحد أبدع مظاهر طريقة توهاي هو "كياي" او "صرخة الروح الموحدة". وعلى نقيض صيحات رافعي الاثقال وزعقات لاعبي الكاراتيه، فان صرخة توهاي التي يدعوها "كياي" هي صيحة موسيقية ثاقبة. انها ترتفع من نغمة غامضة منخفضة الى صوت حاد ومركز كبؤرة أشعة اللايزر، انها صاعقة من الطاقة الشخصية الصرفة.

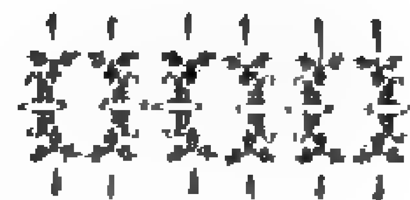
ومع مضي السنوات تعلمت ان قدرة العقل البشري على تنسيق الطاقة الجسدية وتوحيدها هي اعظم كثيراً مما نتعلمه في دروس الفيزياء وعلم الحياة. واني مقتنع بان هناك قوة حيوية تظهر على نحو مميز في كل مخلوق حي ويمكن تنيمتها وتعزيزها.

عندما احاول الآن تهشيم جسم ما، فاني آخذ نفساً عميقاً واتصور ان خطاً من القوة يخرج من الارض ويمتد عبر ساقي الى جسدي ثم يهبط في احدى ذراعي لينتشر في راحة يدي ومن ثم يعبر الى اللوح الحجري الذي استهدفه واخيراً يتغلغل في الارض ثانية. ان حقيقة الموقف تتبدل، فأنا لم أعد ذلك الكاتب الامريكي ذا الـ٣٤ سنة الذي يمارس تمارين غريبة في فناء بيته. اني الآن رحالة روحي يتهيأ لرحلة الى عالم آخر مختلف.

آخذ نفساً عميقاً واطلقه فجأة انما برفق، مركزاً على خط الطاقة هذا وتاركاً ذراعي تعبران عنه. تمر راحة يدي عبر الموقع الذي كانت تملأه الالواح الحجرية، ولكن يبدو ان هذه انشقت من تلقائها قبل ان تصل يدي اليها. لا أحس بوقع الصدمة ولا بدفع القوة المدمرة. شعوري هو تناغم مع القوى الكونية وانتماء الى القوة الخفية في الحياة نفسها.

ان القيمة الحقيقية للفنون القتالية تكمن في ما تعلمنا اياه عن انفسنا: ان لا حاجة بنا الى الخوف، وان طاقتنا ووعينا وقدرتنا على الجرأة والعطف هي أعظم كثيراً مما كنا نعتقد انها تعلمنا ان حدودنا الشخصية يمكننا تجاوزها، بدءاً بالنفس التالي ... ليكن نفساً عميقاً.

■ ايثان ميلر



البلوغ والحكمة

يوم يعرف الطفل أن البالغين جميعاً ليسوا كاملين يغدو مراهقاً، ويوم يغفر لهم سيئاتهم يغدو بالغاً. أما حين يغفر لنفسه فهو يغدو حكيماً.

ا. ن.



الضحك خير دواء

توأم لكل أسبوع

أبتهجت الصغيرة لدى عودة أمها من مستشفى التوليد ومعها صبيان توأمان، وبادرتها: "لقد أعطتني المعلمة عطلة نصف نهار للمناسبة."
وماذا قالت عن التوأمين؟
"لم أعترف الا بواحد، تاركة الآخر للاسبوع المقبل."

م.م.

وطنها في الاعالي

بعدما مكثت أمي زمناً قصيراً معنا في المهجر، حان الوقت لعودتها الى الوطن. وأوصلتها زوجتي الى المطار ومعنا أبنتنا ذات السنوات الخمس. ولما شاهدت الصغيرة الطائرة ترتفع وتضيع خلف الغيوم، سألتني والدمع يملأ عينيها: "لماذا لا تستطيع جدتي العيش على الارض كما يفعل الآخرون؟"

أ.ك.

البطون والعقول

سئل الفتى: "هل تصلي قبل كل وقعة طعام؟" فأجاب: "كلا! أن أمي طباخة ماهرة".

س.ل.

أسود وأرانب

كان أمير وخادمه يتصيدان في الغابة، فبرز لهما نمر. وكان الخادم سريع الحركة فتسلق شجرة وترك الامير لمصيره. وبعد عراك دام قضى الامير على النمر ونادى خادمه: "أنزل أيها الجبان لاقتلك بسيفي كما قتلت النمر". فقال الخادم: "يا سيدي، أني رأيت النمر يصارع الاسد، ومتى تصارع الاثنان وقفت الارانب على الحياد".

مها برنية، دمشق ـ سوريا

لوحة بيكاسو

كان الرسام الراحل بابلو بيكاسو مستلقياً على رمال الشاطيء في أحدى مناطق الجنوب الفرنسي، وفجأة تقدم منه صبي صغير، يبدو أن والديه أرسلاه، وأعطاه ورقة طالباً اليه أن يرسم عليها. وفكر الرسام قليلاً، ثم مزق الورقة وحمل بعض أقلامه الملونة ورسم بها أشكالا على صدر الفتى وظهره، موقعاً "اللوحة" بعد أنجازها. وقال الرسام وعلى وجهه أبتسامة ماكرة: "ترى هل يجرؤ ذوو الغلام على غسله بعد اليوم؟"

وكالة "جانيك" الصحافية

المأزق الألماني

تشهد المانيا الغربية حركة شعبية عارمة تتناول القضايا الوطنية والسياسية الداخلية والخارجية
ويتخوف الالمان من حرب عالمية ثالثة
يكون فيها بلدهم كبش محرقة

تبدو المانيا الغربية اليوم في حال معاناة وقلق وتضعضع. واهم من ذلك انها تبدو ضعيفة هشة. ولا بد من ان تغيراً ما طرأ على تلك البلاد التي بقيت زمناً طويلاً اصلب حلفاء الولايات المتحدة. وتعكس هذا التغير لهجة الخطباء في التجمعات الشعبية الذين يطالبون بوضع حد لعلاقة "السيد والعبد" مع الامريكيين، كما تعكسه تظاهرات الاحتجاج ضد انتشار صواريخ حلف شمال الاطلسي والقنبلة النيوترونية، والاستطلاعات التي تبين ان نسبة الشبان الذين يفضلون الحياد تزيد على انصار التحالف العسكري مع الولايات المتحدة، والاحصاءات التي تشير ليس فقط الى ان المانيا تمر بركود اقتصادي بل كذلك الى ان نسبة البطالة فيها سوف تتفاقم وان عهد الاستقرار الاقتصادي ولى.

هذه العناصر كلها خلقت نوعاً من الاعتلال وفراغاً من الخيبة والنقمة

Condensed from New York Times Magazine (November 15, 1981) (C) 1981 by the New York Times Co. New York.

يمكن ادراك مداهما من خلال نظرة الالمان اليوم الى واقع بلادهم. خلال السبعينات كان كثيرون منهم يفترضون ان الوفاق الدولي امر لا رجعة فيه وان قوة المانيا الغربية ستتنامى حتى تصبح قادرة على تخطي خلافات القوتين العظميين في العالم، وان المستقبل لا بد وان يأتي بما تنص عليه مقدمة الدستور الالماني: اعادة توحيد المانيا.

ولكن في ضوء ما جرى في بولونيا وافغانستان اخذ هذا الامل يتراءى كأنه اضغاث احلام. لكن رد الفعل لدى جانب كبير من الشعب الالماني كان ميلا اقل الى التكيف مع الحقائق الجديدة وتعلقا اقوى بالاوهام التي سادت في السنين العشر الاخيرة.

وليس سراً ان ما يبدو انحرافاً للبلاد عن خطها التقليدي والاصوات الداعية الى الحياد والمشاعر الوطنية اليسارية الجديدة، كلها اقلقت الولايات المتحدة والبلدان الاوروبية الصديقة، مثل فرنسا وايطاليا، التي اعتمدت على صلابة المانيا الغربية كعنصر اساسي في امنها القومي. انها لبادرة غير مألوفة ان يعلن المسؤولون في حكومة الرئيس فرنسوا ميتران الاشتراكية ان فرنسا هي الشريك الاوروبي الذي تعتمد عليه واشنطن اكثر من سواه في اي مواجهة بين الشرق والغرب.

وتبرز ظواهر التبدل والتدهور لدى مراقبة وسائل الاعلام الالمانية. وفي هذه تكوّن تياران خفيان، احدهما يلمح الى مؤامرة مخططة ضد الشعب الالماني والآخر يشدد على ان الالمان لم تعد لهم يد في اتخاذ القرارات. وقد ظهر اميرال امريكي متقاعد على شاشة التلفزيون الالماني في ليلتين متعاقبتين ليعلن ان الولايات المتحدة الامريكية تفضل ان تخوض الحرب العالمية الثالثة في اوروبا، ويفهم من هذا انه يعني المانيا. ونشرت احدى الصحف ان المواطنين عارضوا خطوة سلطات مطار فرنكفورت انشاء مدرج جديد عبر منطقة مكسوة بالغابات، لانهم رأوا في ذلك مؤامرة حاكتها الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي. والمزاج الشعبي ظهر في تحذير ذي مغزى، كأنما كلماته استخرجت من كبسولة زمنية من عهد هتلر، وقد الصق على شجرة في الغابة التي كانت موضوع النزاع. يقول التحذير: "ارتعد امام هذه الشجرة، فهي كانت مقدسة لدى اجدادك، ان ايقاع اي اذى بها دلالة على شعب وضيع واخلاقية فردية سافلة."

الاعتداد الالماني — ان المشاعر المتأججة حالت دون تحديد صريح وواضح لما هو مطلوب، باستثناء الرغبة في اعباء اخف واخطار اقل. وربما كانت هذه ازمة هوية وطنية لانها تعبر عن الخوف والغضب من تورط الامة في ازمتين: فقدان وحدتها وضياع استقلالها الكامل نتيجة الحرب العالمية الثانية.

اصبح الاستياء نهجاً في المانيا. وهناك عريضة سميت "دعوة كريفيلد" ترعاها منظمات يسارية بينها الحزب الشيوعي، وتعتبر ان الولايات المتحدة هي المسبب الوحيد لاختلال الامن فيالعالم كله. وتشير العريضة الى الحديث المتزايد عن "الترتيبات الامنية البديلة،" وهي العبارة الرائجة الداعية الى تبديل اساسي في وضع المانيا الغربية بالنسبة الى توازن القوى بين الشرق والغرب. وقد وقع هذه العريضة اكثر من مليون ونصف مليون شخص، وهؤلاء ليسوا اغرارا يافعين بل هم من قادة الرأي البارزين.

ويبرز بعض الاستطلاعات صورة ابعد مدى لعدم الاستقرار. ففي مايو (ايار) ١٩٨١ اجرت مؤسسة "النسباك"، وهي احدى كبرى مؤسسات استطلاعات الرأي العام، استفتاء واسعا اظهر ان اكثر من ٧٠ في المئة من الالمان ينظرون الى السنين العشر المقبلة بخوف وقلق. وفي مدى سنتين فقط تضاعف عدد المتخوفين. كما ان التشاؤم في شأن مستقبل الاقتصاد وصل اليوم الى اعلى مستوى خلال ١٧ سنة.

وتظهر الاستطلاعات عموماً ان معظم الالمان يعتقدون بضرورة تحالف بلادهم مع الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي، الا ان ٥٦ في المئة ممن تراوح اعمارهم بين الـ١٦ والـ٢٩ سنة يريدون تجنب حرب جديدة بأي ثمن، وان يكن ذلك يعني العيش في ظل نظام شيوعي. وبين هؤلاء يرى ٢٥ في المئة فقط انهم اذا خيروا بين الحياة في ظل نظام شيوعي او نظام ديموقراطي، فان الديموقراطية تستحق ان يجازف المرء من اجلها بخوض حرب نووية.

هذا المزاج المتسم بالمرارة والنقمة يمكن ان يفسر عبر عدد من الطروحات التي التأمت في خليط غريب. فهناك الاقتصاد المنتكس والصدمات التي اصابت الوفاق الدولي وارتباط كل هذا بالاعتداد الالماني الذي نما خلال السبعينات والثقة بان المانيا تمسك بزمام الاحداث.

هذه التيارات انصهرت في نهج فكري لجيل نشأ في جو القضايا التي شهدتها السبعينات، كالحركات النسائية وتطور العالم الثالث ومشاكل البيئة وحملات مناهضة للاسلحة النووية وسواها من القضايا التي تعاقبت في المانيا الغربية كموئل للمثالية، واحيانا للراديكالية المشوشة. فالحركة المناهضة للاسلحة النووية افرزت فئة "دعاة السلام."

وبين كل هذه الطروحات اكتسبت الحقائق الاقتصادية اهمية خاصة. فالتخضم يزيد الان على ٦ في المئة، وهو رقم معتدل بالمقاييس الدولية لكنه يمثل زيادة نحو ٣٠ في المئة خلال سنتين في المانيا. ونسبة البطالة في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ كانت الاعلى في ٣٠ سنة. ولم يتحقق

اي نحو اقتصادي عام ١٩٨١، بل كان هناك تراجع بنسبة ٠٫٣ في المئة.

سوء تقدير - الاقتصاد المنتكس شل الوسائل الاساسية لتنفيذ مشاريع الائتلاف الحكومي الذي يقوده الحزب الاشتراكي الديموقراطي الموجود في السلطة منذ العام ١٩٧٩، وهذه السياسة استهدفت ارضاء اليسار عن طريق الاصلاحات الاجتماعية، بدءاً بتقديم المساعدات الى دول العالم الثالث وانتهاء بتعزيز حقوق المرأة. واذ لم يتوافر المال للحكومة من اجل اعادة تنظيم الحياة في المانيا الغربية، على نحو دائم فقد يتهيأ مخزون هائل من الطاقة الشعبية لتقبل الانفعالات الغاضبة.

وهذه الانفعالات ترتبط، الى مدى بعيد، بالقناعة القائلة بقدرة المانيا الغربية على الصمود خارج نطاق الصراعات بين القوتين العظميين. وقوي التعلق بهذه الفكرة وتعزز في اوائل ١٩٨٠ عندما قاوم المستشار الالماني هلموت شميت ضغط واشنطن لفرض عقوبات على الاتحاد السوفييتي بسبب دخوله افغانستان. وتردد الالمان الغربيون في الاقدام على اي عمل من شأنه الاضرار بالمكاسب التي جنوها من الوفاق الدولي.

ثم برزت ازمة بولونيا. وادرك شميت الواقعي جوهر المشكلة، وهو استحالة تحويل مشكلة نقابة "التضامن" قضية مجردة لا علاقة لاوروبا بها، كما حصل مع افغانستان. فالاتحاد السوفييتي يمكن ان يهدد بولونيا مما يبقي اسس الوفاق الدولي رهينة احتمال التدخل السوفييتي. وحدس شميت كذلك بان سياسة بلاده تجاه موسكو لم تعد عملية وبان على المانيا ان تنظر الى الاتحاد السوفييتي بعين صارمة.

لكن المستشار شميت اخطأ في ثلاثة امور، فهو لم يدرك كيف افلحت سياسات حكومته خلال السنوات الثماني السابقة في افراغ الخطر السوفييتي من اي معنى بالنسبة الى فئات واسعة من الشعب، خصوصا الشباب. هذا الاتجاه غدا رد فعل قويا الى حد انه في "ندوة السلام" التي عقدها الحزب الاشتراكي الديموقراطي في اغسطس (آب) ١٩٨١، وكانت تهدف اساسا الى تحويل الرأي العام عن الاعتقاد بأن الامريكيين هم وحدهم مثيرو المشاكل في العالم، اشاد وزير الدفاع هانس آبل بما اظهره الاتحاد السوفييتي من دراية وتعقل. اما المستشار السابق فيلي برانت الحائز جائزة نوبل للسلام فقال لاحد المراسلين الصحافيين في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧١: "ان ما نحتاج اليه في مواجهة التهديدات السوفييتية هو مقدار اكبر من الوفاق وليس مقدارا اقل".

وسوء التقدير الثاني الذي وقع فيه شميت كان يتعلق بنفوذه في الحزب

الاشتراكي. فهو تعرض لانتقادات من شخصيات مثل برانت ادت الى اضعاف موقفه وجعل مناهضة سياسته عملا مشروعا ومدعاة للاعجاب، بل عملا وطنيا. وقد اضطر شميت في احد اجتماعات حزبه السنة الماضية الى رفع صوته في المجتمعين : "كفوا عن التصرف وكأن الامريكيين اعداؤكم والسوفييت اصدقاؤكم".

اما سوء التقدير الثالث فكان يتصل بخطة حلف شمال الاطلسي المتعلقة بنشر الصواريخ الامريكية النووية الجديدة المتوسطة المدى في اوروبا الغربية. وكان شميت الداعي الاساسي الى الخطة لانه كان قلقا في شأن احتمال لجوء الاتحاد السوفييتي الى صواريخه الجديدة للضغط على اوروبا الغربية، كما كان قلقا في شأن احتمال تخلي الولايات المتحدة عن التزاماتها في مجال الدفاع عن حلفائها في شمال الاطلسي.

عمق المشكلة - وفي الوقت الذي اخذ الوفاق يضعف والاقتصاد يتعثر، وجد المستشار نفسه في مواجهة تحديات الصواريخ وهو يفتقر الى وسائل الارضاء السياسي لتهدئة القلق الذي ثار حولها. كثيرون جزموا بأن رونالد ريغان وشبكة صواريخه سيدفعان العالم الى حرب باردة جديدة ويقضيان على تحكم المانيا الغربية بشؤونها الخاصة ويعيدانها الى وضعها السابق كقاعدة امريكية امامية في اي مواجهة عسكرية مع الاتحاد السوفييتي.

قال برانت : "اذا اخفق السلام فسنكون نحن الالمان اول من سيتعرض للابادة." وقال ارهارد ابلر احد الوزراء السابقين في حكومات برانت وشميت : "اذا شاء الامريكيون ان يفهموا المانيا الغربية، فلا بد من مقارنة النهج المطبق هنا بما هو قائم بين البولونيين والسوفييت." بالنسبة الى ابلر تبدو الشكاوى السوفييتية من الخطة القاضية بنشر الصواريخ الجديدة "مفهومة تماما كما كانت مفهومة مقاومة الامريكيين لنصب الصواريخ السوفييتية في كوبا عام ١٩٦٢".

وكتب بيتر بندر احد انصار برانت : "ما دام حلف شمال الاطلسي هو مقياس كل شيء بالنسبة الى اوروبا الغربية، فسوف تتمسك موسكو بما لديها بكل قوتها. ان اوروبا الشرقية لا يمكنها ان تتحرر من الاتحاد السوفييتي ما لم تتحرر اوروبا الغربية من الولايات المتحدة."

وفي كتاب "نهاية العصر العقائدي" الذي اثار صدوره نقاشا واسعا، يقول بندر ان الوجود العسكري الامريكي في اوروبا الغربية يجب ان يستمر حتى تؤمن اوروبا لنفسها مقدارا اعظم من الاستقلالية الذاتية وتقنع الاتحاد السوفييتي، عن طريق المداراة المتواصلة، بأن لا مبرر للخوف من قيام قوة اوروبية

ثالثة. والطرح الرئيسي في الكتاب هو: "هناك امل في ان يسمح الكرملين للديموقراطية بالدنو من حدود الاتحاد السوفييتي عندما لا تعود اوروبا الغربية، ظاهراً او فعلا، قاعدة امريكية ضد الاتحاد السوفييتي، وعندما لا يعود يسمح للصواريخ ومحطات الاذاعة بالوصول الى الاتحاد السوفييتي والدعوات الى حقوق الانسان او الحقوق المدنية بأن تستخدم كأسلحة سياسية."

الصحيفة السويسرية "نيو زورخر تسايتونغ" التي تعد اكثر صحف العالم استقلالية وجرأة، اعتبرت ان الكتاب يستحق افتتاحية. قالت الصحيفة ان الكتاب يتألف اساساً من تصورات واهمة بأن الاتحاد السوفييتي جار امين لا خطر منه، كما يتضمن جرأة متعالية في زعمه ان المصالح الالمانية الصرفة هي مصالح بقية بلدان اوروبا الغربية. واضافت الصحيفة، من دون ان تسمي المانيا صراحة، ان الكتاب يشير بوضوح الى البلد الذي "سوف يمسك بزمام القيادة اذا خلا الميدان من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة."

وفي الاشهر المقبلة سيحاول شميت ان يظهر قدرة بلاده على التحكم بمستقبلها وتخفيف التوتر في العالم. واجتماعاته عام ١٩٨١ مع الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف وزعيم المانيا الشرقية اريك هونيكر كانت في هذا المنحى. ولكن يبدو ان الخطة تفتقر الى بعد نظر وانها تهمل عمق المشكلة، اي علاقة بلاده بالولايات المتحدة والحلف الاطلسي والتزاماتها تجاه الغرب ومواقفها ازاء اعادة توحيد الامة الالمانية.

ان هذه القضايا تنطوي على محرمات ضخمة. فعلى رغم كل ما حققته المانيا الغربية من نجاح في مجال الديموقراطية، لا يزال متعذرا على زعمائها الاقرار علنا بأن العالم كله راض عن انقسام الامة الالمانية. فالمشكلة لم تحل، وهي ما زالت مصدر القلق والاستياء لدى الشعب الالماني. وفي غياب البحث الجدي الحازم عن الموقع الحقيقي لالمانيا الغربية في العالم، ستتفاقم التوترات والمخاوف التي يصر الالمان على انهم يرغبون بصدق في تجنبها.

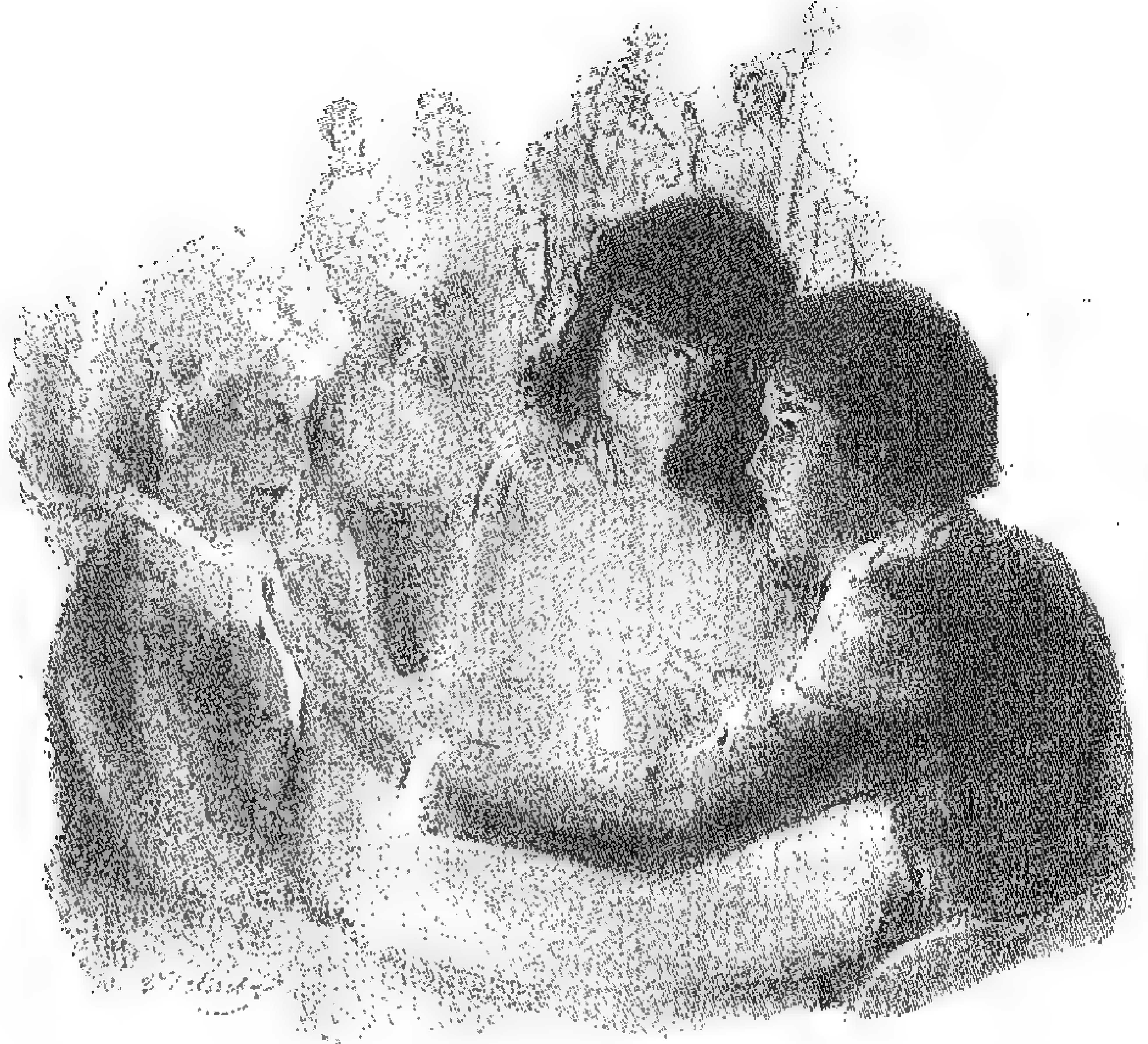
■ جون فينوكو.



منطق الرؤساء

وصل رئيس احدى الشركات متأخراً الى اجتماع لمجلس ادارة الشركة. وجلس على اقرب مقعد خال. فقال له أحد الاعضاء: "تفضل، يا سيدي، الى رأس الطاولة". فأجاب: "ألا تدري، يا عزيزي، أنه حيثما أجلس يكون رأس الطاولة؟"

ج.ل.



انبلاج فجر
وصوت موسيقى
ولمسة يد...
تلك وغيرها اعاجيب صغيرة
نمجد امامها عظمة الخالق

كانت امسية ربيعية هادئة في اثينا ، وبعد تناول العشاء توجهت ورفاقي في السفر الى سطح الفندق ورحنا نتأمل الجمال حولنا ، وصرخ احدهم : "انظروا !" واذ التفتنا الى حيث اشار ساد صمت جليل .

كان القمر يتصدر صفحة السماء فوق المدينة وقد حول ضوؤه الضباب سديما ذهبيا ، وتمطت تحتنا العاصمة القديمة النرجسية البياض ، ويبدو ان القمر التقط من بعيد غموض هيكل "البارتينون" المتربع فوق عرش تلة شامخة ، وامتدت خيوط نوره لتعانق اغصان شجرة زيتون قريبة .

وللحظة بدت المدينة كأنها حجرة تفتح ابوابها على الابدية ، واصغينا كأننا نسمع موسيقى الهية تنبعث من

خلف الاشياء. وهمس صديق وقف قربي : "يا لها من ليلة قدسية !"

في كتابها "هدية من البحر" تحدثنا آن مورو ليندبرغ عن تجربة مماثلة عاشتها خلال عطلة قضتها في كوخ على شاطىء منعزل. وقد اقتصرت رفقتها على طيور البجع والنورس وزمار الرمل. وشعرت كأنها "تلاشت في الكون وضاعت فيه فلا تسمع سوى كلمات تقول : ليتمجد اسمك ايها الرب !"

ما ان تتبادر الى ذهني اعمال العبادة العفوية حتى اتذكر موسيقيا كان يعيش في مدينتي. ففي يوم صيف مشرق زار وزوجته البرج الذي شيد على اعلى قمم ولاية مساتشوستس. وامتدت امامهما ثلاث ولايات هي كونيتيكت ومساتشوستس ونيويورك، وتوهج نور الشمس في الاودية والغابات والبحيرات.

عظمة هذا المشهد حركت مشاعر الرجل، فاسرع الى السيارة وتناول بوقه ثم عاد الى البرج. وهناك عزف كل ما فاض به قلبه من احاسيس، تمجيدا للخالق وبعثا للفرح في نفسه.

ولا تحصر العبادة ضمن جدران معبد، لانها توجه وموقف في الحياة واستجابة للعالم حولنا، وجوهر كل عبادة هو الدهشة. وقد وصفها الفيلسوف جيرالد هيرد بانها "ذاك المزيج من رهبة عميقة وفرح غامر غير اناني. انها التطهر الحقيقي والخلاص الوحيد للروح."

والعبادة العفوية قديمة.ولا شك في ان الانسان، قبل ظهور الاديان، توقف برهبة وتوق امام توهج شمس المغيب على اعالي الاشجار او تلألؤ النجوم في السماء. وقد كتب لورين ايسلي عالم الطبيعة : "عندما اخذ الانسان يرسم الحيوانات في الكهوف المظلمة، بدأ يعبر عن استجابته للقداسة والروحانية وسر الكينونة والصيرورة."

الله قريب منا - ولا تقتصر تجربة العبادة العفوية على المؤمنين. فقد حدث ذات يوم ان كنت اقلب كتابا مصورا مع طالب طب عرفته لسنين. واسترسلنا في تأمل صورة زهرة شفافة في وسطها شموس ذهبية صغيرة. وتمتم صديقي ابياتا للشاعر وليم بلايك :

"تلمح سماء في زهرة برية
"وتقبض في باطن يدك على اللانهاية."

ودهشت، فالسماء لم يكن لها مكان في تفكير صديقي. وهو لاحظ تعابير وجهي فقال : "لا تعجب. ان نظرتي الى الحياة تغيرت عندما وقفت يوما اراقب جراحة اجريت لشاب كان يعاني ورما في دماغه. وبدا لي الدماغ كونا حيا. وما ان غادرت غرفة العمليات حتى تملكتني رغبة في الصلاة لم اشعر بها يوما. عندما انظر الى شيء حي تحت المجهر، كخلية بشرية او كهذه الزهرة، فانني ارى فيها اعجوبة الخلق."

وقد يأتي حافز العبادة من قدرتنا الذاتية على حب الاخرين. واذكر ليلة، بعد موت ابني باشهر، كيف ان ومضة حب انساني اشعرتني بان الله قريب مني. فقد دعتني حفيدتي الجامعية وصديقها الى مرافقتهما لمشاهدة حفلة غنائية، عل ذلك يبعث في نفسي بعض السلوى.

وكنت شاكرة لهما، وحاولت ان اتمتع بوقتي. ولكن خلال اغنية حنونة عابقة بالذكريات انتابتني نوبة بكاء. فامسكا بكلتا يدي في بادرة عفوية تضمنت معاني الاهتمام والحنان. وهذا اشعرني اني محاطة بدائرة من الامان والحب.

ليس مستغربا ان تنزل السماء لتلمسنا عندما نجد انفسنا آمنين في قلب شخص آخر. فالحب الانساني هو كبريق الذهب في كف المنقب، شديد الاختلاف عن كل ما يحيطه حتى ليبدو كأننا وجدناه في عالم افضل. وكتب الفيلسوف الهندي رابندرانات طاغور الى ضيف عزيز: "بعد ان ذهبت، وجدت آثار خطوات الله على الارض."

ولا شيء يحثنا على الاجلال اكثر من اعمال الانسان الخلاقة التي توقع الرهبة في النفس: فن العمارة والرسم والشعر والموسيقى. وكثيرا ما نلمح في هذه الفنون وجودا آخر اعظم.

العبادة العفوية - والفن العظيم هو لغة الرموز، ويقول العالم بول تيليك: "اهتمامات الانسان المطلقة لا يعبر عنها الا بالرمز. فاللغة الرمزية هي وحدها القادرة على التعبير عن المطلق."

لي صديقة نحاتة كانت تطوع قطعة حجر، فسألتها عما تظن انها تفعل، اجابت: "اني احول المادة روحا."

وفي حياتنا اليومية ندرك ان العبادة العفوية هي جزء من معنى الوجود وسر كوننا بشرا. نحن نحتاج الى الشعور بالرهبة من وجود تكتنفه الاسرار وبالعرفان الذي يضرم في داخلنا شعورا متجددا بالحياة ويعلمنا تقدير عجائب الكون.

وقد بورك الشاعر براد فورد شميث بلحظة فرح، وكان يدرك ان موته اضحى وشيكا بسبب داء السرطان، عندما راقب انبلاغ الفجر وانشد:

"يا الهي ما اجمل النور
"الذي تضيء به عالمك!
"واي لطافة سامية
تبعث النور في الفلك!"

وبعد وفاته رثاه الشاعر مارك فان دورين فقال انه كان يعيش يوما بعد يوم "كي لا يفوته سر مفرح من اسرار الوجود".

ذاك هو مفتاح العبادة.

■ اديس ويتمان

من الاوقات التي يكون الصمت مزعجاً عندما يعجز محرك السيارة عن الدوزان.
ج.غ.

خيط اسود مذهل يحل مكان الاربطة والاوتار ويعيد الحركة والراحة الى المفاصل المعطوبة

خَيْطُ الكربُون

توفيق الجزائري
وفيصل الأوسطاح

في شهر فبراير (شباط) ١٩٨٠ اجريت جراحة زرع لسيدة من كارديف (مقاطعة ويلز البريطانية) عمرها ٣٨ سنة وقد اقعدها شلل الاطفال. وكانت تلك الجراحة ثورة في عالم الطب، اذ ان اربطة(١) رسغها المشوهة ابدلت بخيوط من الكربون. ومع حلول شهر يونيو (حزيران) كانت السيدة تسير على قدميها من دون عون، وذلك للمرة الاولى منذ طفولتها. وهي اليوم تعمل سائقة حافلة بطبقتين.

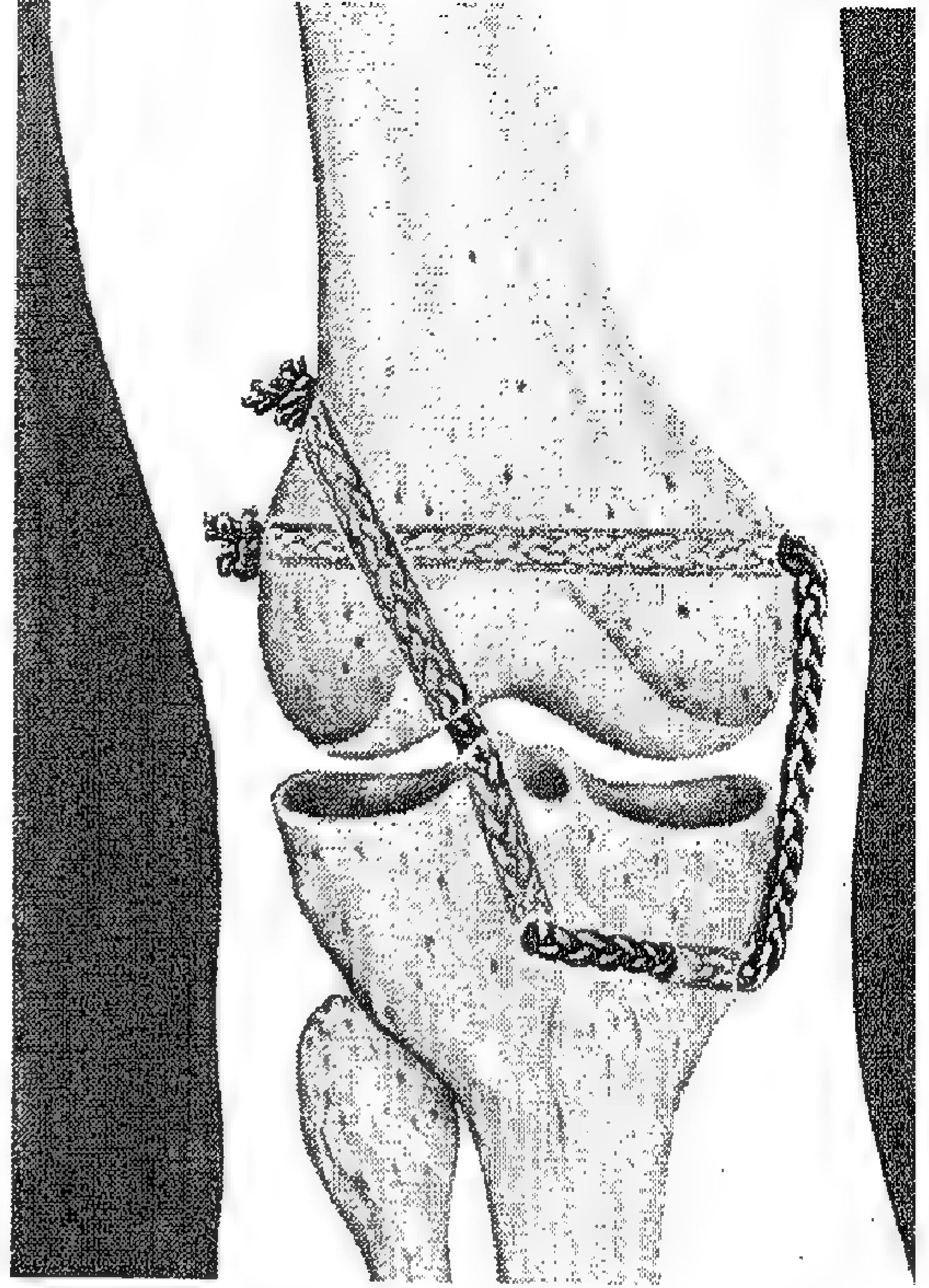
وفي يوليو (تموز) ١٩٨٠ كان النجم الايرلندي العالمي في لعبة الركبي، كولين باترسون، يلعب في جنوب افريقيا عندما التوى النصف الاسفل من احدى ساقيه الى حد ان تلك الساق انثنت الى الامام بزاوية مستقيمة عند الركبة. ويتذكر كولين: "كنت في الخامسة والعشرين، وخشيت ان يكون مستقبلي مع الركبي انتهى." على انه في اليوم التالي، في احد مستشفيات جوهانسبرغ، زرعت له خيوط الكربون عوضاً عن رباطي ركبته. وفي نهاية تلك السنة عاد باترسون الى الملعب.

وفي اغسطس (آب) ١٩٨٠ اجريت الجراحة نفسها لشابة من غلوستر (بريطانيا) عمرها ٢٢ سنة ومقعدة من اثر وقعة خطرة. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨١ ارسلت تلك الشابة بطاقة بريدية الى بريطانيا من جبال حملايا حيث كانت تشترك في حملة تسلق. وكانت البطاقة موجهة الى طبيبها ديفيد جنكنز، وهو جراح عظم ومحاضر شرف في مستشفى جامعة ويلز في كارديف.

وجنكنز رجل في التاسعة والثلاثين، متحمس ورقيق الجانب، وهو رائد ما يعرف الآن بتقنية "رباط جنكنز". وتنطوي هذه التقنية على تبديل الاربطة والاوتار(٢) بخيوط الكربون، وهي خيوط مصنعة اقوى من الفولاذ وادق من شعر الانسان. وقد اجرى هذا الجراح - المعترف بأنه الابرع عالمياً في هذه الجراحة - اكثر من ٢٠٠ جراحة على الرجال والنساء بمن فيهم ضحايا التهاب المفاصل الروماتيزمي الذين التوت ايديهم وتشوهت من جراء شلل اوتارها. وقد

(١) الرباط عصبة من نسيج لين تشد العظام.

(٢) انسجة تصل العضل بالعظم.



خيط الكربون يشد مفاصل ركبة يمنى.

اجريت حتى الان ٤٠٠ جراحة بخيوط الكربون في فرنسا واكثر من ١٥٠ في جنوب افريقيا ومئات في المانيا واوستراليا وكندا والبرازيل.

هذه الزراعة ليست مأمونة فحسب - اذ يقول جنكنز ان الدراسات الدقيقة اثبتت انها لا تسفر عن اورام سرطانية - بل انها تتجاوز كونها عملية ترميم. فالعجيب ان الخيوط الكربونية تحفز تجدد الاربطة والاوتار، فلا تمر بضعة اشهر حتى يصبح اعتماد المريض على الانسجة الجديدة النامية اقوى من اعتماده على الخيوط المزروعة.

رباط اصطناعي - المثل النموذجي لهذه الزراعة هو ايمير بيرس، احد مرضى ديفيد جنكنز الاوائل الذي كان بمثابة حقل تجربة. وكان طالب حقوق في الحادية والعشرين، طوله ١٨٨ سنتيمتراً ووزنه ٧٦ كيلوغراماً. وكان رياضياً بارعاً. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧ مزق بيرس رباطاً في ركبته اليمنى وهو يلعب كرة القدم. ويقول: "رحت اعرج لبضعة اشهر تعيسة. وكانت ساقي تنهار تحتي كلما خطوت". واخيراً اقترح عليه بعض اصدقائه من الاطباء ان يراجع جنكنز الذي عُرف عنه انه يجري تجارب على نوع جديد من المعالجة

قال له جنكنز بصراحة: "امامك ثلاثة خيارات. الاول الا تفعل شيئاً فتعيش كما انت. والثاني ان اخيط لك الرباط، لكن هذا سيكون كالجمع بين خيوط فرشاتي حلاقة اذ ان الرباط لن يرجع قوياً على الاطلاق. والثالث ان ازرع لك خيوط الكربون."

ومن دون تردد اختار بيرس الزرع.

شركة كورتولدز لصناعة النسيج تتولى صنع الخيوط في شكل حبال يضم الواحد منها ١٠ آلاف شعيرة. وعشية اجراء الجراحة في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٨ جدل جنكنز، وهو يشاهد التلفزيون في بيته قرب كارديف، اربعة خيوط بطول متر تقريبا. وجعل في احد طرفيها عقدة وفي الطرف الآخر انشوطة.

واجريت الجراحة في اليوم التالي واستغرقت ٤٠ دقيقة كان بيرس خلالها تحت تأثير البنج العمومي. احدث جنكنز شقاً عمودياً طوله ١٣ سنتيمتراً في ركبة بيرس،

ثم جعل ثقباً قطره ثلث سنتيمتر في عظم الفخذ فوق الركبة تماماً· وادخل عبر الثقب ابرة معقودة بانشوطة الخيط وشدها حتى ثبتت عقدة الطرف الآخر في عظم الفخذ· بعد ذلك جعل ثقباً مماثلا في الظنبوب (عظم الساق) تحت الركبة تماماً· ومرر الخيط تحت الجلد عبر الثقب واداره الى فوق ـ تحت الجلد ايضا ـ وادخله ثقباً آخر فتحه في عظم الفخذ على علو خمسة سنتيمترات فوق الثقب الاول· وهكذا ارتبطت العظام العليا والسفلى لساق بيرس برباط اصطناعي·

وهنا وصل جنكنز الى الذروة الحساسة في عمليته· وهو يقول: "اذا كان خيط الكربون شديد الاحكام، فقد مرونته· واذا كان رخواً، فلن يوفر الدعم الضروري·" ولذا راح جنكنز يجرب تحريك الساق تكراراً، وعندما ارتاح الى النتيجة ربط الخيط وقصه قبل ان يخيط العضل والجلد·

وبعد ثلاثة ايام كان بيرس يسير على عكازتين وساقه في الجص من الفخذ الى الرسغ لتثبيت خيط الكربون ومنع تحركه حتى الشفاء· وبعد اسبوعين اجري له فحص اثبت نجاح الجراحة، وبعد ستة اسابيع ازيل الجص· ومع ان بعض المرضى يفقدون نحو عشرة في المئة من حركة المفصل لكثافة الرباط او الوتر الذي ينمو من جديد بعد الزرع، الا ان بيرس لم يشكُ من اي خسارة· وهو اليوم محام ناجح يلعب البدمنتون والاسكواش وكرة القدم·

خبر مثير ـ قبل اكتشاف جنكنز الرائع كانت المعالجة التقليدية للاربطة والاوتار المتضررة تقوم على وضع المفصل المصاب في الجص وانتظار الالتئام· لكن جنكنز يقول: "ان التمدد الزائد في احد الاربطة قد يكون اخطر من كسر في العظم· فاذا التأم على نحو خاطىء، فقد يصبح المفصل ضعيفاً على الدوام·" ولقد حاول جراحون عديدون اصلاح الاربطة والاوتار بخيوط مصنعة مثل النايلون والداكرون والتيفلون، واستعمل جنكنز مرة خيوط الزجاج، لكن الاجهاد كان يحل بهذه الخيوط بعد بضع سنوات مما يؤدي الى انهيار المفصل ثانية·

وفي العام ١٩٧٧ كان جنكنز في الشرق الاقصى يحاضر عن جراحة العظم في جامعة هونغ كونغ، فالتقى ممثل شركة كورتولدز الذي حدثه عن آخر مستحدثات شركته: خيط الكربون اللين· والكربون عنصر اساسي في تركيبة جسم الانسان، وهو كان لزمن طويل يجتذب الجراحين المتخصصين بعمليات التبديل· فهو خفيف الوزن وغير فاعل حيوياً ويتناسب تماما مع دم الانسان· كما انه ينزلق تلقائياً الى حد ما· ويجدر القول ان صمامات القلب الاصطناعية مغطاة بطبقة من الكربون المبخر·

وخيوط الكربون معروفة لاكثر من قرن منذ ما نجح جوزف سوان وتوماس اديسون في كربنة خيوط السلولوز والقطن بتسخينها الى درجة عالية، وذلك لصنع اسلاك المصباح الكهربائي· لكن هذه الخيوط الاولية كانت ضعيفة، وكان لا بد من الانتظار حتى الستينات عندما استحدثت خيوط قوية جداً استعملت في صناعة

الطائرات والمركبات الفضائية. ولم يمض وقت حتى ادخلت في صنع مضارب الكرة وصنانير الصيد وعصي الغولف وهياكل القوارب، غير ان صلابتها حدت من استخدامها في حقل الطب. وقنط منها الجراحون بمن فيهم جنكنز.

وذكر ممثل شركة كورتولدز لجنكنز ان تقدماً مهما تحقق وانه متفائل بامكان استخدامه طبياً. ذلك ان تسخين الخيوط المصنعة الى ٢٥٠٠ درجة مئوية قد انتج خيوطاً من الكربون يكون الواحد منها سريع القصف منفرداً لكنها تغدو لينة واقوى من الفولاذ اذا جدلت كل ١٠ آلاف منها في حبل واحد.

اثار هذا الخبر فضول جنكنز. وهو يتذكر ذلك: "اول ما تبادر الى ذهني كان الاربطة والاوتار. لكني في تلك المرحلة لم اتصور سوى ان خيوط الكربون في حال استعمالها للزرع ستدوم فترة اطول من المواد الاخرى."

انسجة جديدة — عام ١٩٧٤ تسلم جنكنز عينات من خيوط الكربون الجديدة ارسلها اليه ديفيد كارلتون احد مديري فرع كورتولدز لانسجة الكربون في كوفنتري (بريطانيا). فراح يجري تجاربه في زرع الاربطة والاوتار على الخراف والارانب بعدما تلقى مساعدات من مجلس الابحاث الطبي ودائرة الصحة وشركة جونسون وجونسون للعناية البيتية. والذي حدث ليس فقط ان هذه الحيوانات عادت الى المشي الطبيعي بعد ثلاثة اسابيع، بل ان جنكنز ومساعديه دهشوا عندما اكتشفوا فوارق اساسية بين خيوط الكربون ومواد الزرع الاخرى.

ويقول جنكنز: "ان خيوط الكربون تجتذب الانسجة اليها. فالخيط يشبه سياجاً من الاسلاك تتجمع حوله النباتات. فالانسجة تبدأ النمو متشعبة بين الخيوط فيما السياج نفسه ينحل ببطء حتى يضمحل. وخلال مدة تراوح بين ستة اشهر وثمانية تتكون اربطة او اوتار جديدة اقوى كثيراً من الاصلية". وهكذا لم يعد ثمة قلق حول مدة فاعلية الزرع.

ويشعر جنكنز ان الجراحة التي حملت اسمه مهمة للرياضيين الشباب الذين لولاها لانتهت حياتهم العملية. وهو لا يجري جراحات للاطفال والمراهقين لان عظامهم لم يكتمل نموها بعد.

ونسبة نجاح الجراحات بخيوط الكربون عالية وتبلغ ٨٠ في المئة. ويقول جنكنز: "ان الاخفاق يرجع عادة الى خطأ تقني كأن يخفق الجراح في وضع الخيوط في المكان المناسب او ان يرجع المرضى الى مزاولة الرياضة قبل الاوان."

ونمو الانسجة من جديد بوجود خيوط الكربون يدفع الاطباء والعلماء الى التساؤل: هل يمكن ان يحدث مثل هذا في مواقع اخرى من الجسم؟

لقد استخدمت قطع صغيرة من خيوط الكربون في ترقيع الاوعية الدموية، وقطع اكبر في رتق عضلات البطن بعد جراحات الفتق. وفي الحالتين كان خيط الكربون يحفز نمو انسجة جديدة. ويقول ديفيد كارلتون: "ان الاستعمالات المستقبلية لخيط الكربون مثيرة جداً!"

■ اليز بيكيه



ذات صباح باكر

الطبيعة التي نجد فيها
التحوّل الدائم هي عينها
التي نجد فيها الثبات،
اذا اكتشفناه
في نفوسنا

ما أن رنّ المنبه عند السادسة صباحاً حتى مدّ ابني أندرو، ذو السنوات الثماني، يداً مترنحة اليّ وطوّق صدري بذراعه. وكان، وهو بين الصحو والنوم، تسلق سريري قبل ساعة ليخبرني عن حلم مزعج.

وأوقفتُ المنبه وبقيتُ هنيهة بلا

حراك. وراودتـنـي رغبة الاستسلام للنوم ثانية وغضّ النظر عن نزهتي الصباحية. ورحتُ أبحث عن جميع الاعذار التي تتيح لي البقاء في السرير بين ذراعي ولدي.

غير أنّ السماء بدت صافية. وبعد عشريـن دقيـقة ستشـرق الشمس. وكانت كلبتنا الذهبية بافي تستمتع كثيراً بتلك النزهة اليومية. وهكذا نهضتُ من تحت ذراع آندرو وارتديت ملابس الرياضة ونزلتُ الى البهو. وكانت بافي كعادتها تنتظرني عند أسفل الدرج.

وعلى الطريق في الخارج أردتُ أن أرى اذا كان البدر ظاهراً. وشاهدته في الافق الغربي أشدّ بياضاً من الليلة الفائتة وجباله أكثر وضوحاً.

وتجاوزتُ مـــزرعة مجاورة وانعطفتُ يساراً عند قمة تلة. وبعدما قطعتُ ٣٠٠ متر وقفتُ ونظرتُ غرباً. كان القمر هناك وتحته غمامة صباح طرية تغطي الوادي. وأمكنني أن أرى في الجوار مزرعة جياد تحدها بعض أشجار ويقع خلفها مرعى. وفي المرعى رأيتُ ستة غزلان أدارت آذانها في اتجاهي وقد سمعت وقع خطاي من بعيد.

في تلك اللحظة راحت بقرة بنية اللون تخور ورائي كأنها تدعو أحداً كي يحلبها. وفي الشمال صاح ديك.

وهكذا وجدتُ نفسي وسط لوحة من قمر وغمامة وغزلان وبقرة وصوت ديك، حاولتُ أن أبقيها في خيالي ما استطعتُ. وهي ذكرتني بأنّ ثمة أشياء لا تتغير البتة، وأنّ القمر والغمام والحيوانات والاشياء المادية كالحليب والبيض هي هناك منذ آلاف السنين، وانها سوف تبقى أُلوفاً من السنين أيضاً.

ولحست بافي يدي، فاستأنفتُ السير وقد انطبعت تلك اللوحة في حواسي. وآنستنـي كثيـراً بحيـث قررتُ أن أبدل طريق العودة وأرجع على الطريق ذاتها لرؤية المشهد مرة اخرى.

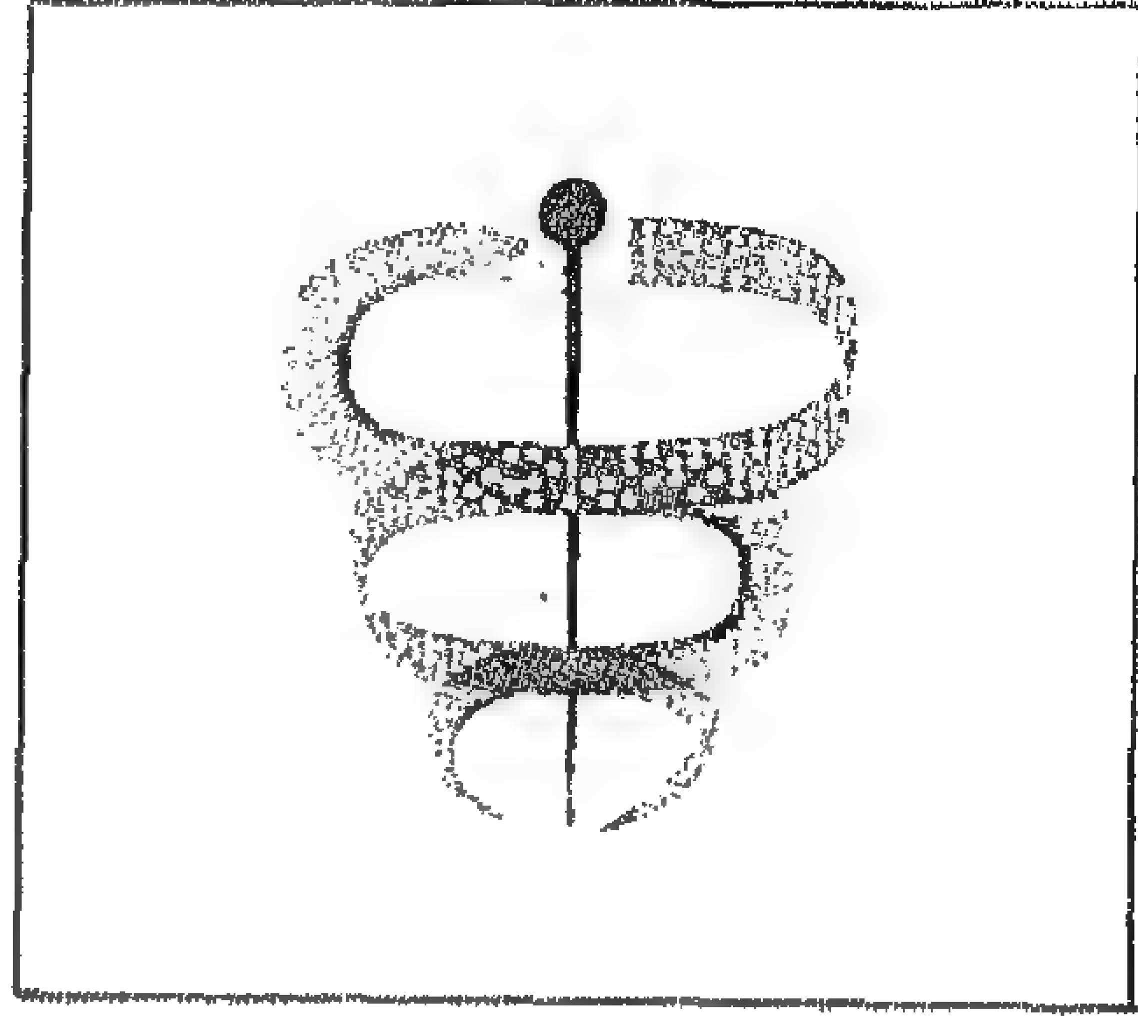
وانقضت خمس عشرة دقيقة قبل أن أجد نفسي من جديد على رأس التلة وأنا أنظر غرباً. لكنّ القمر غاب وانقشعت الغمامة عن الوادي ولم يبـقَ منهـا سـوى خيـوط شفـافة. وابتعدت الغزلان عن أرضها واختفت وغاب خوار البقرة بعد حلبها وتلاشى صياح الديك.

ووقفتُ هناك بلا حراك على رغم الحاح بافي، وقد ملأتني بهجتان. اولاهما أني بدأتُ يوماً جديداً. ولو لم أُرغم نفسي على النهوض من السرير الدافىء، لاضعتُ تلك اللحظة الـرائعة الـتــي أدركتُ جيــداً أن عناصرها لن تجتمع على هذا النحو في الساعات الباقية من اليوم.

والبهجة الثانية كانت ادراكي أنه، على رغم ما قاله الحكماء من أنّ الثبات الوحيد هو التحول، فثمة شيء دائم يقوى على كلّ صيرورة في خبرتنا. انه الـرجاء الـمـتجذر فـي أعماق نفوسنا والخاصّ بكل منا. هذا الرجاء هو دائماً هناك. لكنه بالنسبة اليّ، ذلك الصباح، ظهر كما لو كان جديداً، على لوحة قوامها قمر أبيض غارب وواد ناضر تكسوه غمامة وستة غزلان تنظر اليّ وبقرة تخور وديك يصيح، علامة على بدء نهار جديد.

■ جون آلن

أصداء من عالم الطب



علاج جديد لسرطان الدم

التقارير التي نشرت في "مجلة نيو أنغلند الطبية" تسجل تقدماً ملحوظاً في معالجة أحد أنواع أبيضاض الدم (اللوكيميا) الاكثر خطراً وتعد بطرق أجدى لمكافحة جميع أنواع سرطان الدم؛

ويتكلم التقرير عن علاج جديد مركب لابيضاض الدم الحاد الناشىء من مخ العظم الذي يصيب البالغين والاحداث؛ وقد أدى هذا العلاج الى شفاء ٥٨ مريضاً من أصل ٨٣ مريضاً على نحو تام. والذي يدعو الى مزيد من التفاؤل أن نصف أولئك الذين تلقوا ذلك العلاج غاب عنهم المرض من سنتين الى أربع. أما ضحايا هذا المرض الذين يعالجون بالطرق التقليدية ويشفون بعد ذلك، فلا يعمرون أكثر من ١٨ شهراً حتى ٢٤ شهراً.

وفي الوقت نفسه، توصل فريق من مستشفى أندرسون ومعهد الاورام في هيوستن (ولاية تكساس) الى طريقة لتحري "اللوكيميا" قبل ثلاثة أشهر ونصف شهر من تحريها بالطرق المتبعة.

وقد حلل فريق هيوستن الجسيمات الخيطية (الكروموسوم) المستخرجة من خلايا النخاع العظمي لمرض اللوكيميا؛ فتوقعوا انتكاس ١١ مريضاً من أصل ١٤ عاودهم المرض.

والطريقة الجديدة تمكن من أكتشاف المرضى الذين تجدر معالجتهم بالمواد الكيميائية حين يكون عدد خلايا الدم السرطانية لا يزال قليلا؛ كما تمكن من وقاية المرضى الآخرين أخطار التسمم عبر العلاج بالادوية. والطريقة الجديدة مازالت تقتضي عمليات مخبرية معقدة. لكن فريق هيوستن يحاول تبسيطها لتعم فائدتها.

ر.ن.

طب الاطفال

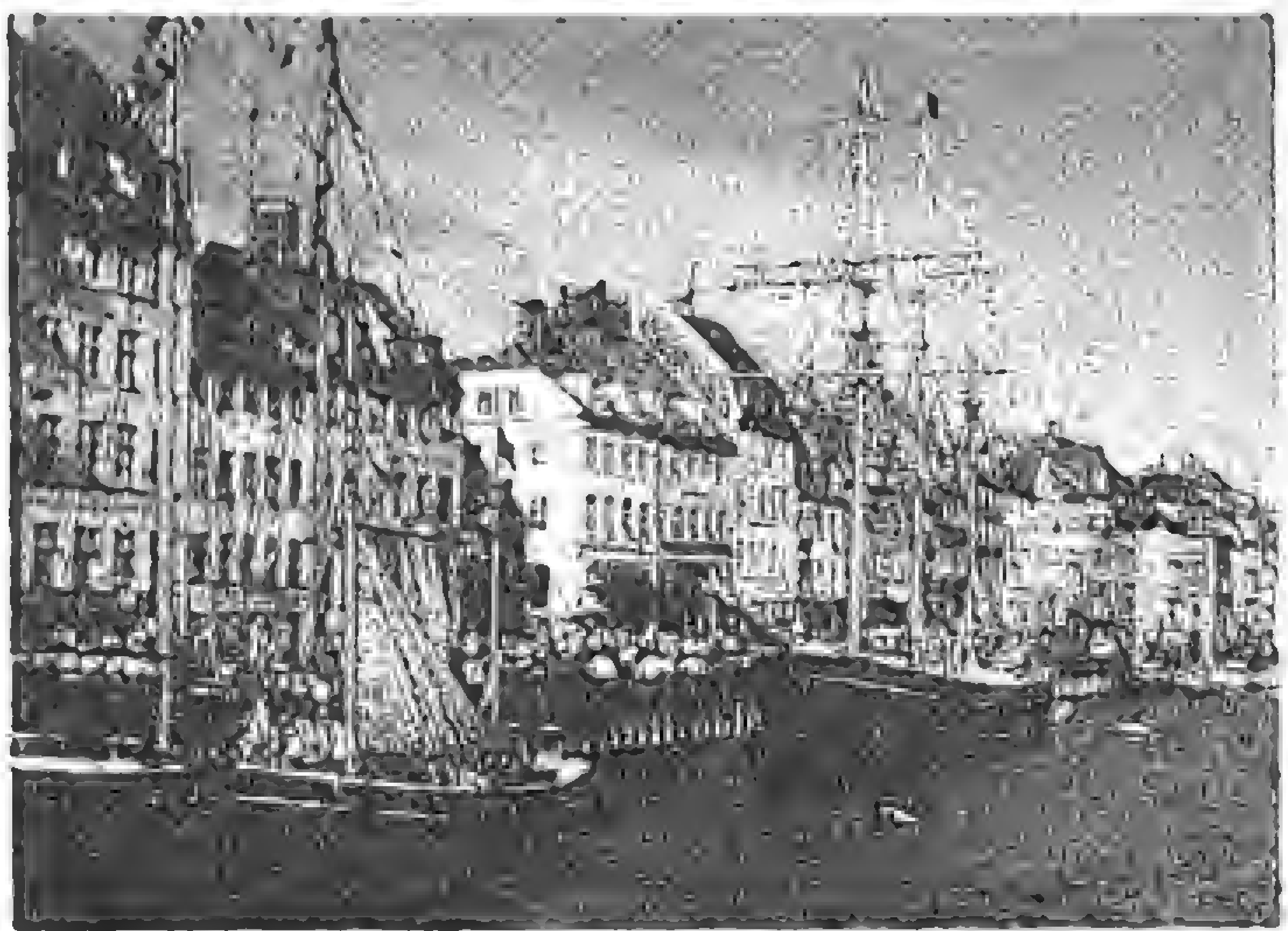
من الجديد في عالم الطب أختبار من شأنه في أقل من ٢٤ ساعة، كشف الاصابات التي تؤدي الى ذات الرئة وعطب الدماغ والتهاب القلب لدى الاطفال. والطرق المتبعة حالياً تستغرق بضعة أسابيع؛ وتقوم على زرع الفيروس (الجرثومة) في المختبر.

والاختبار الجديد أبتكره الدكتور روبرت يولكن من مستشفى جامعة جونز هوبكنز في بلتيمور (ولاية ماريلاند الامريكية). وهو يقوم على أخذ عينات من دم المريض وبرازه وحلقه ومزجها بخميرة ذات مفعول مضاد بالنسبة الى الفيروس ويضاف الى المزيج محلول يتبدل لونه في حال وجود الفيروس.

مجلة
"أخبار أمريكا والعالم"

اذا جمعت اناقة باريس وجلال لندن وسحر البندقية والقصب مساوىء المدن المعروفة واضفت اليها نصف مليون من البشر الفرحين تكونت لديك جزيرة هي فردوس يدعى كوبنهاغن

كوبنهاغن
مدينة الدفء والحرية



قناة نيهافن احد الشوارع المائية الكثيرة في المدينة البحرية.

في الليل
تشع حدائق التيفولي
بآلاف الأضواء المتلألئة.

هناك ملصق جميل في الدانمرك يظهر بطة كبيرة تحرس بكبرياء سبع بطات صغيرات عبر أكثر الشوارع ازدحاما في كوبنهاغن. إنه لمنظر حقيقي شاهدته شخصيا مرتين، فقد أوقف شرطي عابر حركة السير كيفما لتفسح في المجال لقافلة البط. وقال أحد الأصدقاء الدانمركيين: "حسنا، إن لها حقوق الآخرين نفسها، أليس كذلك؟"

إن ترحال البط ينتهي عادة، في معظم المدن، فوق الأطباق المعطاة بصلصة البرتقال، لكنه، أي البط، يجد في كوبنهاغن الحقوق الجديدة. ◻



صورة جوية لكوبنهاغن، ويظهر قصر كريستيانبورغ

انا احب كوبنهاغن، لا بل اهيم بها. وللمدينة اوصاف كثيرة يصعب علي ترجمتها من لغة اهل تلك البلاد. على ان افضل هذه الاوصاف انها المدينة "الدافئة والمريحة".

وكوبنهاغن هي سعاة البريد في معاطفهم القرمزية فوق دراجاتهم الصفراء، ومنظفو المداخن السود الوجوه بقبعاتهم العالية وحرس الملكة الذين يشبهون الدمى الكبيرة. انها القصور الخيالية والينابيع المتلألئة والابراج والسقوف الخضراء من القرن السابع عشر وبيوت القرن الثامن عشر الجميلة بالوانها القرمزية والبيج والزرقاء.

تجثم كوبنهاغن على الشاطىء الشرقي لجزيرة زيلاند، كبرى جزر الدانمرك البالغ عددها ٤٠٦، وعلى الجزء الشمالي من جزيرة اماغر الصغيرة. وهكذا تبدو مشدودة باحكام الى البحر. وتنتهي شوارعها بالمياه في كل الاتجاهات، وتلوح عابرات المحيط فوق المداخن وتترنح صواريها فوق المراسي.

تعتبر عاصمة الدانمرك ثانية الموانىء نشاطا في البلاد الاسكندينافية. وهي نادرة المثيل في عصر انحلال المدن. حجمها معقول وتمكن ادارتها على نحو لائق. ويبلغ عدد سكان كوبنهاغن ٤٩٨ الفا، وهم ينزعون الى المرح اللاتيني أكثر منهم الى الجدية الاسكندينافية، السير فيها خفيف ومريح وهادىء والاحياء الفقيرة ليس لها وجود. المواصلات العامة سهلة ومتيسرة طوال النهار. وقد قضي على التلوث قبل زمن بعيد. وما زال للقلب متسع لكي يبتهج في شوارعها النظيفة وحدائقها الغناء.

قد يتبادر الى الذهن ان كوبنهاغن مدينة مملة لانعدام المشاكل فيها، لكنها ابعد ما تكون عن ذلك. انها تفخر بجامعة كبرى ودار للباليه والاوبرا واربع فرق سمفونية واكثر من ٢٠ مسرحا و٤٠ متحفا واعداد من النوادي المتلألئة. وفيها نحو ٢٠٠٠ مقصف اضافة الى المقاهي والمطاعم التي تقدم افخم المأكولات.

ان كوبنهاغن مدينة رائعة حقا. بل هي اكثر المدن التي عرفتها راحة وامانا وصداقة وحرية. انها البهجة والروعة معا. ففيها اناقة باريس وحيويتها وجلال لندن الملكي واحلام البندقية الشاعرية. هي نظيفة لكنها ليست معقمة، مزدهرة ولكن غير متخمة، مرحة ولكن من دون تطفل، متسامحة ولكن منضبطة، انها مدينة يسودها التعقل والمرح.

شعب لطيف – كانت كوبنهاغن في زمن الفايكنغ قرية صيد صغيرة تدعى هافن. وفي العام ١١٦٧ بنى فيها الاسقف ابسالون قلعة واحاطها باسوار عالية لحمايتها من القراصنة الغزاة. واصبحت القرية مدينة واسمها كوبنهاغن، اي مرفأ التجار.

وفي القرن الخامس عشر قرر سليل احدى الاسر الملكية الاوروبية العريقة نقل بلاطه الى كوبنهاغن، فاصبحت المدينة مركز امبراطورية الشمال القوية التي ضمت في اوقات مختلفة النروج والقسم الاكبر من اسوج (السويد) والمقاطعات الشمالية من المانيا وسيطرت على بحر البلطيق. على ان قوة الدانمرك كانت تُستنزف في الحروب التي لم تنته. وفي العام ١٨٠٧ قصف الاسطول البريطاني عاصمتها لثلاثة ايام متتالية لان الدانمركيين صادقوا نابوليون ولم يبقَ من كوبنهاغن القديمة سوى جزء صغير صمد بين الخرائب.

ان معظم المعالم التي بقيت كانت من اعمال "الملك الشمس" كريستيان الرابع (١٥٨٨ - ١٦٤٨). لقد ضاعف هذا الملك المثقف حجم المدينة، كما امر ببناء قصر روزنبورغ ذي القرميد الاحمر الذي اصبح الان خزنة لجواهر العرش، ودار البورصة ببرجها النحاسي الاخضر الذي تشابكت فيه ذيول اربعة تنانين، والبرج المستدير الذي يرتفع ٣٣،٥ مترا وكان مرصدا للنجوم. وتعتبر كل هذه الاعمال تحفا رائعة، كذلك واجهات قصر امالينبورغ الاربعة الرشيقة بزخرفاتها. ان هذا القصر باعمدته المنحوتة المتقنة يوفر للعائلة المالكة، الممثلة حاليا بالملكة مارغريت الثانية، اجمل قصر للسكن والضيافة في اوروبا كلها.

ومع ان هذه المعالم المثيرة بقيت على حالها، الا ان كوبنهاغن لا تعيش ابدا في الماضي، ففي ١٨٤٩ تبنت الدانمرك دستورا تحرريا يضمن حق الاقتراع لفئات واسعة من الشعب. وفي ١٨٩١ كانت سباقة الى تطبيق مشاريع الضمان الاجتماعي، وفي الثلاثينات من القرن الحالي بدأت تتهيأ لتصبح من اولى دول الرفاهة (١) في العالم.

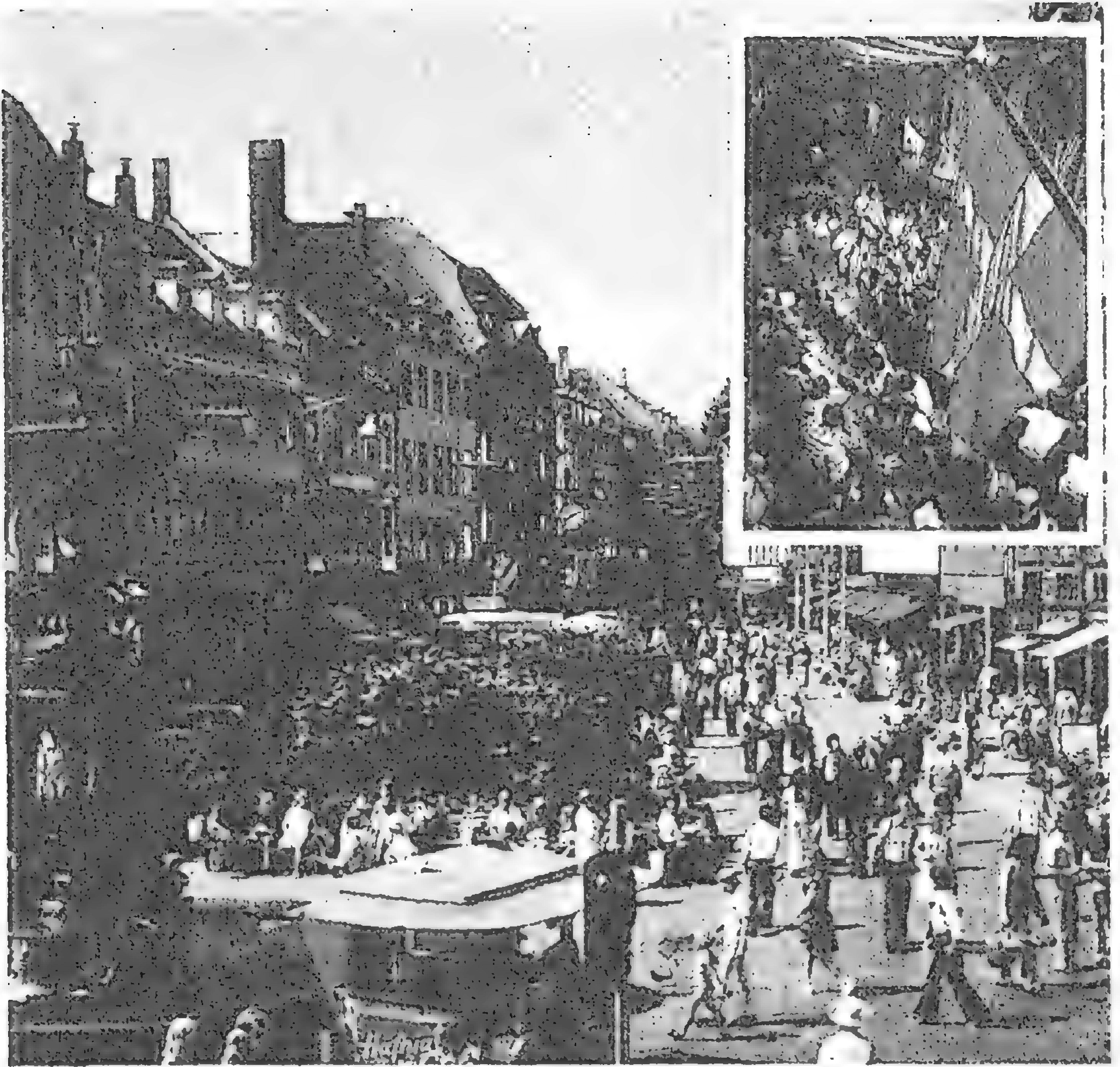
ان كوبنهاغن هي الان عاصمة احدى اكثر البلدان تقدما اجتماعيا وديموقراطيا، حيث تعتمد الدولة نظاما رائعا يوفر رفاهة المواطن من المهد الى اللحد. ويفيد الدانمركيون من الطب المجاني والتعليم المجاني كذلك حتى المرحلة الجامعية. وتتحمل معهم الدولة جزءا من نفقات السكن وتربية الاطفال وتوفر لهم تعويضات سخية لدى التقاعد. ولتأمين كل ذلك تفرض الدانمرك احدى اعلى ضرائب الدخل في العالم (٢). الا ان اقتصادها لا يزال رأسماليا. ويبلغ معدل الدخل السنوي للفرد فيها ١٢ الف دولار، وهو رابع اعلى معدل في العالم.

كل هذا يمنح كوبنهاغن شعورا بالاستقرار والهدوء تحسد عليه.

---

(١) نظام اجتماعي تكون الدولة بموجبه مسؤولة عن رفاهة مواطنيها.

(٢) معدل الضرائب ٥٠ في المئة، وهي قد تصل الى ٧٥ في المئة من الدخل.



نافورة اللقلق وسط متنزه للمشاة. فوق: العلم الدانمركي يرفرف فوق ركاب احد المطاعم.

ان الرزانة ليست ميزة الدانمركيين. الا انهم متسامحون ومضيافون ومرحون، لا يجهدون الفهم، ويتصفون بالامانة والاستقامة.

ارتال من راكبي الدراجات الهوائية تنطلق بين السيارات وسط المدينة من دون ان تسمع كلمة واحدة غاضبة. سائقو سيارات الاجرة يقولون لك "شكرا" والندل في المطاعم يجهدون لارضائك. هؤلاء الناس المؤمنون بالمتعة هم احرار، كذلك عاصمتهم. انها حرة لكنها ليست مبتذلة. فلا بأس على اي مواطن ان يتناول طعامه وهو جالس على الرصيف، ولا ان يرجع الى بيته وهو يغني بصوت مرتفع. "اننا احرار الى اقصى الحدود،" يقول احد الصحافيين الدانمركيين. ويضيف: "ان لنا مطلق الحرية في

.Photo M. Louise Brimberg/Danish Tourist Board. Inset: Tom Nebbia/Woodfin Camp and Assoc.

فعل كل ما نشاء ما دمنا ندفع الضرائب المتوجبة علينا."

حورية البحر - سكان كوبنهاغن يفخرون بمدينتهم، خصوصا بالتيفولي، اولى حدائق المتعة في العالم. وتمتد هذه الحدائق الغناء فوق ثلاثة هكتارات وربع هكتار في قلب المدينة. وهي ارض الاحلام، هياكل عربية وصينية ويابانية وسط غابات خضراء من شجر الدردار والكستناء والزيزفون، وتصدح فيها انغام اربع فرق موسيقية. وتنبت هذه الحدائق ١٠٠ الف زهرة تتفتح في الربيع والصيف، وفيها الالعاب النارية والاراجيح والمشعوذون والبهلوانيون و٢٢ مطعما تقدم مختلف انواع الاطباق.

لكن اكثر ما يفتخر به اهل كوبنهاغن هو سير الحياة في مدينتهم. فقبل عشرين عاما نبذت كوبنهاغن الاعتقاد بان كل شيء كبير هو الاصلح، وحظر تشييد الابنية المرتفعة في قلب المدينة. يقول عمدة المدينة ايغون ويدكامب: "نريد المحافظة على الطريقة التقليدية في العمار كما نريد المحافظة على وجه كوبنهاغن".

لقد نقص عدد سكان كوبنهاغن نحو ٣٠٠ الف خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية. وهكذا تمكن المخططون من ابدال الابنية الحقيرة والقديمة باخرى حديثة وحسنة التهوئة ونشروا مساحات خضراء جديدة. ونتيجة لذلك فان اهل كوبنهاغن يتمتعون بسكنى افضل من اهل اي مدينة اخرى.

ولكن لكوبنهاغن مشاكلها الخاصة. والمال هو المشكلة الاهم. فقد انفقت المدينة اموالا طائلة خلال سنوات، وكان لا بد من تخفيف ديونها. يقول الصحافي هربرت بونديك: "عندما حصلت الازمة انتظر الجميع الانهيار. ولكن بدلا من ذلك تحرك السكان للمشاركة في خفض مستوى المعيشة والاستمرار في مساعدة المحتاجين. وكان على الطبقة المتوسطة ان تدفع حصة اعلى وتجني مداخيل اقل. كما كان عليها ان تلجم تطلعاتها. ولم تحدث ثورة او تمرد. ولما كنا عائلة واحدة فقد امكننا ان نسبح سوية وسط العاصفة على نحو افضل مما فعل كثيرون."

وكلما تجولت في كوبنهاغن ترسخ لدي الشعور العميق بالاستقرار في هذه المدينة، سواء أكان ذلك في التماثل القوي بين الابنية ام في الخطوات الواثقة لهؤلاء الناس المتفهمين الشرفاء الذين يعتقدون ان الحكم على اي مجتمع يجب ان يبنى على الطريقة التي يعامل بها هذا المجتمع اضعف اعضائه. واني لمتأكد من ان شعور هذه المدينة بالديمومة لن يتزحزح. لقد تقرر مستقبل كوبنهاغن.

■ كريستوفر لوكاس

لحية فيلسوف



اللحية تبرز الحسن الطبيعي
وتمنح صاحبها شعورا بالثقة والرضا

الشكل الطبيعي لذقن الرجل هو الغابة. فالوجه الحليق هو اشبه بحقل مفلوح. انه منظر انساني فقد طبيعته الخاصة. لذلك فان العودة الى اللحية هي عودة الى الطبيعة. وبعد ان يزول حكاك اليوم الثامن، تنسى تماما وجود اللحية. اما الحلاقة فهي مزعجة ومؤلمة، تهيج الجلد وتترك جروحاً تعجز عن تهدئتها خزانة ملأى بالمستحضرات الطبية.

بدأت قصة لحيتي امام المرآة قبل خمس سنوات، واذكر اني، كطفل ثم كمراهق فشاب، لم اتعود وجهي ابداً. فاستدارته وملامحه المكفهرة، وشحوبه ثم تورده، وبياضه الذي اضحى اخيرا لونا يشبه خليط الملح والفلفل، كلها ساهمت في خلق شعور لدي بعدم الرضا.

وحدث في مناسبتين او ثلاث، حين وقعت فريسة مرض ولازمت غرفتي او سافرت لبضعة ايام، ان تركت ذقني بلا حلاقة. واذكر اني كنت استرق النظر الى المرآة بصبر نافد كل عشر دقائق لارى كيف تنمو. لكني لم اصمد اكثر من اسبوع ابداً.

واخيراً، عام ١٩٧٦، اطلقت لحيتي من دون تردد او ندم. ولأني ازدري الحلول الوسط فقد اخترت لحية كثيفة.

واكتشفت حينئذ الثمل العاطفي الذي تختبره عندما تطلق العنان لشعرك فتتركه ينمو على هواه.

وفي نهاية العام المذكور دهشت عندما رأيت في وجهي دليلا على ان اللحية، اذا ما سمح لها بان تنمو بحرية، تكسبه تلك المسحة الطبيعية التي تميز وجوه الفلاسفة والتي سحرتني منذ ما كنت طفلا. ولولا زوجتي واولادي الذين الزموني بحد من اللياقة الاجتماعية، لكنت اتمتع اليوم بلحية لا نراها الا في اللوحات التاريخية. وبسبب تلك الاصوات المعتدلة، قصرت موقفي على رفض تسليم ذقني الى رحمة حلاق، كما قاومت كل فكرة لاستعمال موسى الحلاقة المشوه. وكانت فلسفتي في ذلك ان طول اللحية هو الذي يجب ان يحد، لا تركيبها الطبيعي.

اني أؤيد اللحى الصريحة والكثيفة، الخشنة او الحريرية بحسب نوع الشعر او الموسم، بشرط ان تكون فوضوية وشبيهة بالغابة. اذ يجب ان تكون اللحية تعبيرا عن لامبالاتنا بالاقاويل واحتراما لمثل البيئة، وبالتالي طريقة حاذقة لاظهار عدم لياقة ربطات العنق وملابس السهرة. ولهذا نرى الرجل البالغ يرتاح بها اكثر من الغلام المراهق.

ويجب الا تكون اللحية شبيهة بملصق على سيارة صغيرة او شارب يتمطى تحت انف عريس شاب. فالى المتعة التي يستقيها المرء حين يتزين، يجب ان تعبر اللحية عن ذاك الاتحاد الرائع الذي يحققه المرء في فترة ما من حياته مع جسده وعمره ومستقبله المختصر. وفي احسن الاحوال يجب ان تعزز اللحية نزعة الى الخير وتسهل العلاقات الاجتماعية والنسانية وتخفف قسوة الكبر.

ظاهرة اجتماعية ؟ - ولا بد من ان نعترف هنا باننا تطرقنا الى موضوع حساس، فالذقن "تكبر" الرجل، وهذا يفسر لماذا يطلق المحاسبون والاساتذة الشباب لحاهم في محاولة يائسة لاظهار نضجهم. وبما ان اللحية تهرم الوجه، فان تركها تنمو

في السن الخمسين يعبر عن احد موقفين مغايرين من قلق مشترك. فاما ان تعني: "ها انا القي سلاحي وافسح في المجال للآخرين." واما ان تحمل مشاعر التحدي والتمرد: "كهل؟ نعم انا كهل. لكنكم سترون اني، وان كنت ابدو ككلب راع، فما زلت قادرا على طرد الذئاب."

يبقى ان نعترف بانه من الصعب على رجل يحمل ذقنا ملأى بالشعر الابيض ان يلعب دور فاتن نساء. وكأن الذقن الرمادية لافتة علقت حول رقبة رجل تقول: "ابتعدي ايتها القطط الصغيرة."

هل تعتبر اللحى ظاهرة اجتماعية؟ لا يثيرني هذا السؤال. فكل ما اراه في اللحى انها وسيلة للعيش يستخدمها كل بطريقته. ان المجتمعات منذ امد طويل منحت المرأة الحق في التزين واستخدام مستحضرات التجميل، وهو حق ضن به على الرجل.

اللحية هي قمة النزوع الطبيعي، وهي تهب الامتيازات نفسها التي تمنحها ادوات التجميل. انها وسيلة اناقة وترتيب.

ويتملكني الغيظ كلما فكرت في اني عشت ثلاثين سنة حرمت نفسي خلالها هذا الكنز الذي كان يهتز تحت جلدي منتظرا مني ان اهبه نور الحياة.

■ فرنسوا نوريسييه



كما تكونون يولى عليكم

دخل استاذنا قاعة المحاضرات ذات صباح قبل دقائق من الموعد المحدد. فوضع حقيبته على الطاولة وأسرع لاحتساء فنجان قهوة. وبعد انتظار خمس دقائق خرج الطلاب من القاعة.

وفي اليوم التالي شاء الاستاذ أن يلقننا درساً في اللياقة. فقال ان وجود حقيبته على الطاولة يعادل وجوده هو بالذات. وحدث أنه، حين دخل القاعة بعد يوم آخر، وجد نحو مئتي حقيبة على الطاولات من غير أن يرى طالباً واحداً.

هـ.ج.

ثرثرة الابناء

ابن مدير المصرف: "أبي يجلس في كرسيه ولا يفعل شيئاً، لكنه يحصل على خمسين دولاراً في الساعة".

ابن المحامي: "وأبي يحصل على مئة دولار، وعمله الوحيد هو الكلام مع الناس".

ابن الكاهن: "أما أبي فيخطب في الناس ثلث ساعة في الاسبوع، ولكن يعاونه أربعة أشخاص لجمع المال".

مجلة "الادب الجديد" ـ تايوان

هايدي معبودة الأطفال



هايدي مع عنزاتها (الرسم لوليم فايفر)

تلك الطفلة الجبلية
ذات الشعر الجعد
كانت تبعث السعادة
حيثما حلت.
انها طبعت لموطنها سويسرا
صورة لا تمحي في مخيلة
العالم بأسره،
وسوف تحيا الى الابد
في قلوب انصارها
صغاراً وكباراً

اذا سألت في اي مكان من العالم عن الشخص الذي يخطر بباله حين تذكر له سويسرا، فمن المحتمل ان يأتيك الجواب: "وليم تل" و"هايدي"، بل يرجح ان يذكر اسم "هايدي" اولا.

تلك الطفلة ذات الشعر الجعد لم تقدر على فراق جبال الألب، لكنها افلحت في حل مشاكل جميع الناس، فغدت البطلة الاكثر احتمالا للهموم في عالم الاطفال في كل زمان.

ولكن عندما ابدعت جوهانا سبيري طفلة الطبيعة هذه قبل نحو قرن، لم يدر في خلدها قط انها طبعت لموطنها سويسرا صورة لا تمحي في مخيلة العالم بأسره. وربما فضل بعض السويسريين ان يرتبط ذكر بلادهم بأسماء مشاهيرهم من امثال

Photos: Johana Spyri Foundation, Zurich.
Candid Lang, Adliswil, Johana Spyri Foundation, Zurich.

براسلسوس وبستالوتزي وغياكوميتي، ولكن لا حيلة لهم في ذلك.

كانت الولايات المتحدة الاميركية بين اول فتوحات هايدي في العالم، حيث نشرت لها اول ترجمة انكليزية عام ١٨٨٤. ومنذ ذلك الوقت اشترى الاميركيون قرابة ١٥ مليون نسخة من القصة. وفي الولايات المتحدة نفسها تحولت تلك الرواية فيلماً سينمائياً كانت نجمته الممثلة شيرلي تمبل.

قبل سنوات زار السفير الاميركي في سويسرا شيلبي ديفيس المنطقة التي كانت مرتع طفولة هايدي قرب ماينفلد في مقاطعة غريزون السويسرية. وهناك باحت زوجته كاثرين بانها اقنعت زوجها بقبول منصب سفير في سويسرا لأنها كانت تتوق دائماً الى العيش في بلاد هايدي.

على رغم ان "عالم حليب الماعز وهواء جبال الألب" الذي صورته جوهانا سبيري كان اكثر بساطة من عالم اليوم، فان شعبية هايدي لم تتضاءل بل انها ما زالت تنمو باطراد. فبين العامين ١٩٧٤ و١٩٧٥ اكتشفها ملايين اليابانيين عن طريق مسلسل تلفزيوني استمر عرضه سنة كاملة ويروي قصتها بالرسوم المتحركة. ومنذ ذلك الحين توافد السياح اليابانيون الى ماينفلد لرؤية المكان الذي عاشت فيه هايدي مع جدها والراعي بيتر وسواهما من شخصيات القصة.

وعندما عرض ذلك المسلسل في اسبانيا والبرتغال عام ١٩٧٦، أقبل الناس على شراء كميات هائلة ـ تكاد توازي ارتفاع جبال الألب ـ من الدمى والقمصان المطبوعة والكتب والاسطوانات وسواها من المنتجات التي تحمل اسم الطفلة السويسرية. كما ازداد استهلاك الحليب ٣٠٠ في المئة.

وعندما ظهرت القصة عام ١٩٧٥ على التلفزيون الالماني في البرنامج الثقافي، استقطب ذلك البرنامج نسبة ٥٨ في المئة من المشاهدين في المانيا كلها بدلا من نسبته العادية التي كانت تراوح بين ٢ و٤ في المئة فقط.

ابنة الطبيعة ـ جوهانا سبيري التي اخرجت هايدي الى الحياة ولدت بأسم جوهانا هوسر في ١٢ يوليو (تموز) ١٨٢٧ في قرية هرزل على تلة قرب مدينة زوريخ. وكانت واحدة من ستة اولاد في العائلة. والدها جوهان جاكوب كان طبيب القرية، وأمها ميتا كانت شاعرة.

وعلى غرار الطفلة الخيالية هايدي أحبت "هاني"(١) الحياة في الهواء الطلق، وعرف انها كانت تنقطع عن اللهو مع اترابها لتصغي الى هينمة الريح في الشجر. وفي طفولتها قضت عطلة لا تنسى في غريزون، فسحرتها المناظر الطبيعية هناك حتى انها كتبت الى صديقة لها تقول: "انا حقاً ابنة الطبيعة". كانت تنضح حيوية. وفي حكاية "دي ريخترين" للكاتب السويسري كونراد فرديناند ماير صديق عمرها، جعل هذا من جوهانا مثالا لبطلة قصته بالما الواقعية الصريحة التي تتسلق التلال "كما لو

---

(١) اسم التحبب لجوهانا.

كانت لها أجنحة" ومع ذلك "تبقى رقيقة كالينبوع الفوار"٠

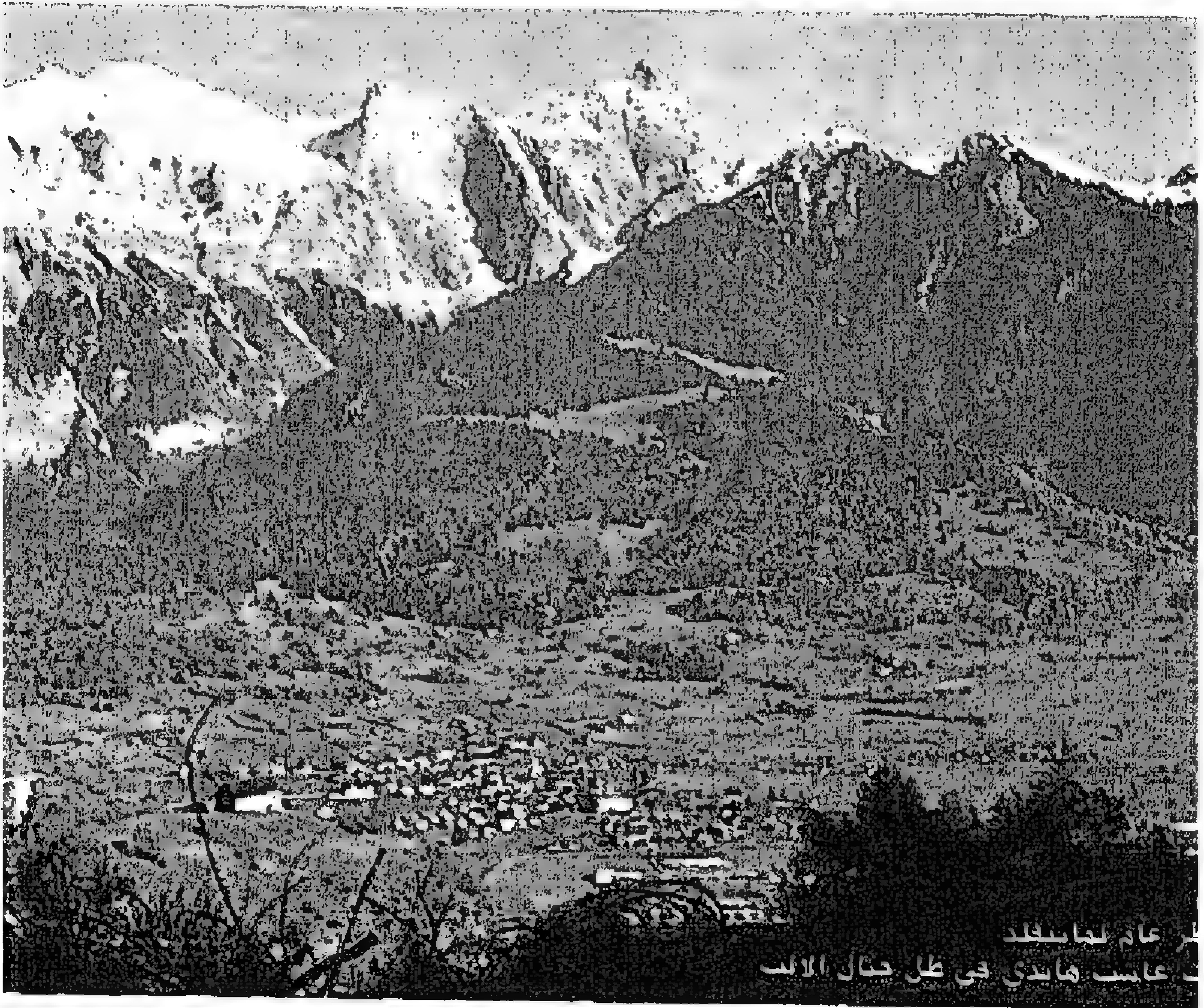
قالت حفيدة شقيق جوهانا وهي تستعيد ذكرى عمتها الشهيرة: "كانت صريحة وتعارض اي تساهل، غير انها كانت دائماً محبة ونقية السريرة ككتاب مفتوح"٠

في صباها انتقلت جوهانا هوسر الى زوريخ لاكمال دراستها٠ وهناك تزوجت المحامي برنارد سبيري الذي اصبح في ما بعد كاهن المدينة ومحرراً صحافياً في الوقت نفسه٠ وهكذا دخلت العائلة الوسط الأدبي في البلاد٠

وتعرفت جوهانا الى الشاعر والموسيقي الالماني ريتشارد فاغنر وسواه من المشاهير الذين وفدوا الى زوريخ، فالأدب والموسيقى كانا يشكلان جزءاً مهماً من حياتها٠ وهي بدأت التأليف في عقدها الخامس، وكانت بلغت الثالثة والخمسين حين نشرت قصة هايدي في المانيا عام ١٨٨٠، مغفلة لا تحمل اسم مؤلفتها٠

وللحال ادرك النقاد الادبيون ان القصة هي درة بين كتب الاطفال(٢)٠ لكن بهجتها بهذا النجاح عكرته بعد

(٢) لم يحقق اي من مؤلفاتها الاخرى مثل هذا النجاح٠



...ر عام لماينفلد
...عاشت هايدي في ظل جبال الالب

اربع سنوات داهيتان ألمتا بها خلال أربعة اشهر فقط، اذ ثكلت بولدها الوحيد الذي قضى بداء السل ثم لحق به أبوه حزناً وأسى عليه.

بعدئذ أغرقت جوهانا همومها في الكتابة والترحال، وأخذت تعزف تدريجاً عن الانغماس في الحياة الاجتماعية في زوريخ وغدت شبه متنسكة الى ان توفيت عام ١٩٠١.

"محفوظات جوهانا سبيري" في ساحة "بريديغربلاتز" في زوريخ، بمتحفها الصغير، هي الآن محجة المعجبين بهايدي. وقد أسسها الدكتور فرانز كاسبار، وهو بحاثة هادىء الطباع غير انه داعية صلب العود الى المحافظة على تراث هايدي. وقد خصص السنين العشر الاخيرة من حياته لهذه الغاية.

لماذا أصبحت هايدي قصة مثيرة عمت اقطار الدنيا؟

قبل نشر تلك القصة كانت كتب الاطفال مقتصرة على الطابع التربوي. لكن الطفلة هايدي لا تعتمد الموعظة بل تمارس ما تدعو اليه. انها لا "تعلم" الاطفال كيف يتصرفون بل "تريهم" كيف يجب ان يكون ذلك. وتشدد القصة على الوداعة وحب المساعدة والايمان بالله، وهذه الصفات تجعل منها أفضل مرشد اخلاقي وسلوكي صدر في كل زمان.

وهي في الوقت نفسه رواية مرحة عن مغامرات طفلة جبلية تبعث السعادة حيثما حلت. انها تؤاسي الجدة الضريرة وتعلم الراعي العنيد القراءة وتساعد في شفاء كلارا الفتاة المشلولة الآتية من المدينة وتوفق اخيراً الى ارضاء العجوز الحاقد على الدنيا. انها تنشر البهجة في كل مكان حولها. ويبدو انها تتعشق الماعز والمروج والريح. وقد يجد القارىء البالغ ان القصة تفتقر الى العمق وتفرط في ابراز كل تلك الالوان البدائية من الحياة. ولكن في النهاية فان تلك القصة بحيويتها الفياضة تجتذب الصغار والكبار على حد سواء.

الكوخ المهجور ــ أحد مصادر القوة في القصة هو الواقعية المطلقة والباقية لشخصياتها ومشاهدها. فالاكواخ في المروج حول ماينفلد تبدو الآن تماماً كما وصفتها الكاتبة. كل طفل قرأ القصة عرف حنين هايدي الى موطنها وهي بين الغرباء، كما عرف حبها لجدها وفرحها بجمال الطبيعة. انها تبرز قسوة الكبار على الاطفال في شخصية الآنسة روتنماير المدرسة المتشددة، غير انها تظهر كذلك طيبة هؤلاء، فهايدي لم تهرب لوحدها من مدينة فرنكفورت البشعة، بل انقذها منها رجل بالغ هو الطبيب العطوف.

يقول مدرس متقاعد في ماينفلد: "خلال ٤٦ سنة من التدريس قرأت قصة هايدي وشرحتها لصفوف لا تحصى. وطوال تلك المدة لم اجد فيها جانباً يخلو من الحقيقة".

قبيل وضع قصة هايدي قضت جوهانا سبيري عطلة في جوار ماينفلد. وكانت تذهب في نزهات لتتصور شخصيات قصتها والمشاهد التي تريدها لها. تبدأ القصة في ماينفلد ثم تنتقل الى دويرفلي القرية الصغيرة المجاورة ومن ثم الى كوخ الراعي بيتر واخيراً الى كوخ الجد



جوهانا سبيري مع ابنها برنارد.



كوخ جدها.

القائم فوق هضبة تشرف على وادي نهر الراين.

ذهبتُ الى ماينفلد في اول ايام الربيع، انها بلدة ساحرة تحيطها الكروم. منساحتها النظيفة بجدرانها المزخرفة بالجص الى برج قلعتها القديمة، هناك جانب كبير من البلدة ما زال اليوم تماماً كما كان في عهد جوهانا سبيري. ان بلدة كهذه أصبحت قطباً يجتذب السياح من كل صقع، من المدهش الا يجد المرء سوى موقعين يشيران الى مصدر شهرتها: احدهما فندق "هايدي هوف" على بعد بضعة كيلومترات من البلدة والثاني نافورة ماء عليها تمثال لهايدي وعنزتها المحببة. هذا التمثال اقامه اطفال المدارس في سويسرا وذلك تخليداً لذكرى جوهانا سبيري في ذكرى ميلادها الخامسة والعشرين بعد المئة.

قريتان صغيرتان متجاورتان هما روفلس وأوبروفل، ربما كانتا المثال الذي اوحى الى جوهانا سبيري بقرية دويرفلي الخيالية. وعلى الجبل تقوم الـ"هوف"، المزرعة التي عاش فيها الراعي بيتر مع جدته الضريرة. وفوقها غابة بديعة فيها كوخ قديم. ويقول شيوخ القرية ان جوهانا كانت تأتي مشياً وتزور هذا الكوخ.

ولا بد من ان هذا المرج هو فعلا المكان الذي كانت المؤلفة تفكر فيه، انه مشهد تقليدي يبرز صورة جبال الألب. كان العشب في ذلك الصباح الربيعي الباكر مرقطاً بزهر الزعفران والجنطيانا الزرقاء. وينحدر الجرف الصخري "فولكنيس" في شكل رائع. وفي الوادي السحيق تحته يتلوى نهر الراين، وحوله قوس من الجبال المهيبة المكللة بالثلوج.

ولجت الكوخ المهجور فوجدت في الغرفة الصغيرة منضدة عارية ومقعداً خشبياً وموقداً. وفي المؤخر رأيت

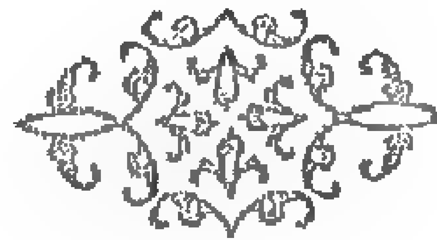
سلماً صغيرة تؤدي الى علية. هنا كانت هايدي تتمدد في الليل وتراقب القمر والنجوم والجبال. شعرت كأني بعد غياب رجعت الى بيتي والى بلاد عرفتها قبل أمد بعيد في طفولتي.

في طريق عودتي رحت أتأمل كم هو غريب ان يكون لهايدي اخصام مناهضون وهي التي كانت مبعث بهجة للاطفال في العالم أجمع. انها محظورة في بعض البلدان باعتبارها قصة عاطفية بورجوازية خطرة. وحتى في موطنها يستنكر بعض الناس القصة لأنها تصور سويسرا بلاداً لرعاة الماعز والفلاحين الاميين. اما المثقفون العقلانيون فيعتبرونها "حلوى مبتذلة"، والنقاد الاجتماعيون يقولون انها تبرز نظرة خطرة الى الفقر الريفي وتوحي بأن على الفقراء ان يألفوا العيش في اوضاعهم الاجتماعية البائسة.

ولكن كما ان لهايدي مناهضين فان لها أنصاراً يدافعون عنها ويبلغ عددهم مئات الملايين بين اطفال وكبار. هؤلاء لا يضيرهم ان يكون الكتاب قصة خيالية عاطفية، لأنهم مقتنعون بأنها قصة مسلية من الدرجة الاولى ذات صفات باقية كالطبيعة نفسها. كما انهم يعرفون ان طفلة جبال الالب هذه تجسد بعض القيم الاساسية في الحياة كالأمانة والبساطة وحب الله والطبيعة والانسان، ويعرفون ان هذا الكتاب منح اجيالا متعاقبة من الصغار احساساً حقيقياً بتلك القيم.

وهكذا تحيا هايدي ويكثر اصدقاؤها عاماً بعد عام. انها الآن تقرأ بأربعين لغة، فأبنة الطبيعة الصغيرة هذه ذات الشعر الجعد يبدو أنها ستعيش الى الأبد.

■ راول تونلي



صدق السماء والارض

اذا أخبرت شخصاً أن عدد الاجرام السماوية نحو ٣٠٠ مليار فهو يصدقك. أما اذا أخبرته أنك فرغت لتوّك من طلي مقعد فانه يلمسه كي يصدق.

ا.م.

آخر العنقود

احتفاء بعيد ميلاد عمتي الثمانين، دعوتها الى حفلة موسيقية لفرقة شهيرة. لكنها أغاظتني إذ بقيت طوال الوقت تنظر الى ساعتها. وهمست في اذنها: "خففي عنك، فالعزف سينتهي قريباً". لكنها أجابت: "كنت أنظر الى ساعتي خشية أن تنتهي هذه الموسيقى الجميلة".

ا.س.

بدا الشرطي الشاب سعيداً في تلك القرية النائية.
وهو لم يتوقع ابداً الحدث الذي هز حياته الهادئة

صيّاد الأسُود

حلم الشرطي مايك لودج بالحياة الهادئة بعد سبع سنوات حافلة في اوكلاند، كبرى مدن نيوزيلنده واقلها انضباطا. فالشاب الاشقر المرح ذو السنوات الثلاث والثلاثين وكلبه البوليسي من فصيلة الراعي الالماني نالا نصيبهما من المتاعب واعمال العنف.وبفضل ملازمة "جاي" له لم يصب مايك بأذى مرة، لكن الواجبات المرهقة لوظيفته بدأت تلبد حياته : ساعات عمل طويلة ودوريات شاقة وقلق زوجته الدائم على سلامته والوقت القصير الذي خصصه لاولاده الثلاثة.

ابلغ مايك عام ١٩٧٧ ان جاي هرم ولم يعد صالحا للمهمات البوليسية ويجب اقصاؤه. وهكذا حسم الامر، وقرر مايك ان يمضي حياة هادئة مع عائلته وكلبه.

قدم طلبا بنقله ووجد ما اراده تماما، منصب شرطي في قرية لورنس في الجزيرة الجنوبية التي تبعد اكثر من ١٥٠٠ كيلومتر، حيث ترتفع مبان رائعة وتنمو اشجار البتولا الفضية الوارفة. والاروع من ذلك ان تلك القرية لا تضم اكثر من ٦٠٠ نسمة. ففي اوج الهجمة على الذهب في القرن التاسع عشر، غصت بـ ١١ الف نسمة، وكانت احد اكثر الاماكن ازدحاما في البلاد. ولم يحدث اي امر مثير بعد ذلك. ومنذ ما غادرها رجال الادغال بقيت لورنس في حمى القانون.

وصل مايك وعائلته الى لورنس في اوائل فبراير (شباط) ١٩٧٨، واحبوا المكان التاريخي الهادىء. واقبل الناس على الشرطي مرحبين به وبعائلته. وكان معظم عمله رتيبا :

التفتيش عن اموال ضائعة ومراجعة مواعيد تسديد الديون وتسجيل الاسلحة ومعالجة حادث سير بين وقت وآخر.

في ٣٠ مارس (اذار) اي بعد سبعة اسابيع من قدوم مايك لودج الى لورنس، حل سيرك في القرية. وكانت تديره عائلة تملك مجموعة من الاسود ونمراً وقروداً وكلابا واحصنة. وكان مايك مشغولا اكثر من العادة ذلك اليوم الخريفي الجميل فهو تقفى آثار بعض اللصوص من دون طائل.

وقرابة الثامنة مساء جلس مايك ناعسا امام التلفزيون وهو يشعر براحة لم يعرفها منذ سنوات. وبدا جاي النائم قرب قدميه سعيدا بقسمته. وعندما رن الهاتف رفع مايك السماعة من دون عجلة.

قال المتحدث: "من الافضل ان تحضر حالا فالاسود طليقة."

وفغر مايك فاه غير مصدق.

ذعر وفوضى - انهى السيرك عرضه الافتتاحي امام ٤٠٠ متفرج ملأوا مدرجا في متنزه عند طرف البلدة. وكان هناك فتى انضم الى السيرك قبل ثلاثة ايام ولم يسبق له ان شاهد العرض، فحبس الاسد سلطان واللبوءة سونيا وعاد مسرعا الى المدرج من غير ان يحكم اقفال المزالج. فما كان من سلطان وسونيا الا ان اقتحما الباب وقفزا خارجا في الليل.

ومشى السبعان متمهلين نحو ملعب قريب حيث كان بعض الشبان يتمرنون تحت اضواء كاشفة. وقد ذعر هؤلاء فقفزوا معا فوق قناة وتسلقوا سياجا فارين الى سياراتهم. وعند المدرج طلب مدير السيرك من الجمهور مغادرة المكان بهدوء من غير ان يعطي السبب. ولكن من الخارج سمع المتفرجون صيحة: "الاسود افلتت!" فتراكضوا مذعورين.

كانت ايلين غرانت وابنها كريغ (٦ سنوات) في طريقهما الى موقف السيارات عندما اندفعت سونيا نحوهما. فخدشت ايلين، اما كريغ فاصيب بجرح عميق امتد من تحت عينيه اليمنى الى فكه كاشفا داخل فمه. ونقل الصبي الى المستوصف المحلي حيث ضمد جرحه، ثم احاله الطبيب على المستشفى حيث قطب وجهه ٣٠ قطبة.

عندما بدأ الصراخ كان ناظر المدرسة لوري سينكوك لا يزال في مكتبه، فسارع الى فتح ابواب المدرسة لايواء خمسين طفلا ضيعوا اهلهم وسط الفوضى. ثم اتصل بمايك لودج.

لم يصدق مايك الامر: "اسود؟ لا بد انك تمزح." فاجابه لوري سينكوك: "اسرع، ارجوك، انها طليقة."

قال مايك لزوجته: "اتصلي بالشرطة في مدينتي دونديين وبلكلوتا المجاورتين ثم بصاحب

المقهى وابلغيه ان يبقي زبائنه في الداخل."

وكان مايك في العادة يصطحب جاي في المهمات. لكنه حبس الكلب هذه المرة خوفا عليه من الاسود الهاربة، ثم تناول بندقيته. لم يكن يحب الاسلحة، ولم يبرع ابدا في الرماية. وهو قلما لمح بندقية منذ مجيئه الى لورنس، وتمنى الا يضطر الى استعمالها الان.

وفي المتنزه رأى مايك شاحنة للسيرك تحاول توجيه الاسدين نحو قفصهما. وساعد هو بسيارته، لكن باب القفص انغلق. وحاول عمال السيرك فتحه، فتحرك سلطان نحوهم مهدداً.

ولم تكن في السيرك بندقية تطلق سهاما مسكنة ولا حتى شبكة لايقاع الاسدين. وتخوف الجميع من تجول الوحشين في البلدة وتهديد السكان. فقال مدير السيرك: "اعتقد انه ينبغي قتلهما."

قتل اسدين؟ نفر مايك من الفكرة وهو الذي ساعده الاهتمام بحياة كلب على القدوم الى لورنس.

قاد سيارته خلف سلطان مسلطا عليه انواره الكاشفة. وعلى بعد حوالى ٣٠ متراً كان الاسد يسرع نحو الدغل. وبكل ما أوتي من رباطة كأش قفز مايك من السيارة ووقف حيث يمكن ان يراه الوحش.

خيار وحيد - ترنح سلطان واستدار نحو مايك. ربما بقي هناك امل باسره لكن الاسد الهادر توجه نحو الارض المكشوفة. وادرك مايك ان الطلقة يجب ان تكون اصوب ما في حياته فهو لم يحتمل التفكير في اسد جريح ثائر. واطلق النار، فخر سلطان مصابا برأسه.

وطاف مايك بحذر حول الوحش واطلق ثانية. وما لبث ان سمع عمال السيرك خلفه يتحسرون على خسارتهم. وغمره هو ايضا حزن عميق.

واذ انصب اهتمام الجميع على رفيقها، انسلت سونيا من المتنزه الى شوارع لورنس. وكانت هناك امرأة تغلق ستائر نافذتها، فلمحت لبوءة تتبختر عبر المرج. ووقف رجل مذهولا وهو يرى سونيا ترتقي سلم منزله وتشمها ثم تبتعد.

انطلق مايك يبحث عن بندقية تطلق سهاما مخدرة آملا بان يتجنب قتلا آخر. وكانت هناك واحدة لدى رجل في توابيكا على بعد ٤٠ كيلومتراً. وكان المصل موجودا لدى طبيب بيطري في ميلتون على بعد ٣٤ كيلومتراً. واتصل مايك بالرجلين وطلب منهما التوجه الى لورنس. ثم طلب من سائقي السيارات ان يضربوا نطاقا حول المنطقة السكنية حيث شوهدت سونيا للمرة الاخيرة.

وعرض ريتشارد روي المساعدة، وهو حارس حيوانات برية كان ماراً في لورنس ولديه سيارة مجهزة باضواء كاشفة قوية وبندقية من عيار

ثقيل. وقال مايك : "آمل بالا احتاج الى بندقيتك، ولكن قد تفيدني الانوار الكاشفة."

سلط روي انواره على الشجيرات الى ان كشف سونيا وهي تختال في حديقة. وعرض متطوع من السيرك ان يقيدها بالسلاسل، لكن مايك لم يسمح بذلك فاللبوءة كانت مهتاجة جدا وخطرها كان عظيماً.

قرابة العاشرة الا ربعا وصلت البندقية المنتظرة وبعد دقائق وصل المصل، لكن السهم لم يكن صالحا. وبلغ مايك امر من قيادة الشرطة : "حيث ان حياة الناس معرضة للخطر، فلعيك ان تقتل اللبوءة."

لم يعد امام مايك اي خيار. وابلغ ريتشارد روي الامر، فباتت بندقيته الفتاكة ضرورية. فاحضرها وصوب جيدا ثم اطلق النار فاصاب اللبوءة في كتفها.

ركض مايك الى اللبوءة ووقف على عشرة امتار منها، فرآها جريحة يائسة وفي عينيها يلمع الشرر. وصوب بندقيته بسرعة بين عينيها واطلق النار ثانية.

خفض مايك بندقيته وطأطأ رأسه : "هل هذه هي الحياة الهادئة؟" ليته بقي في المدينة !

وسرعان ما اصبح صيد الاسود في لورنس قصة شعبية خلدت ذكرى سلطان وسونيا. وكان الاسد الوحيد المعروض في متحف اوتاغو يبدو متعبا وعتيقا، فهو يعود الى العام ١٨٦٠. وهكذا تم اختيار اسدي لورنس ليحلا مكانه. وقد جعل هذا الحادث الشرطي الشاب مايك لودج دائم اليقظة يحسب حساب الخطر التالي الذي قد تطلع به الحياة الهادئة في لورنس.

■ موريس شادبولت



منافع الزواج

في مخزن للاغذية وضعت الملاحظة الآتية: "مدير هذا المحل يحتاج الى مساعد. الوظيفة للمتزوجين فقط". فسأله أحدهم وقد أدهشه الأمر: "وما الحكمة في هذا؟" فأجاب: "يبدو أني كثير الكلام. والرجال المتزوجون اعتادوا هذا الأمر".

طفل يفهم باللقالق

سأل الطفل عمته: "لماذا ليس لديك اولاد يا عمتي؟"
ـ طائر اللقلاق لم يمنحني اولاداً. اتفهم ذلك؟
"آه، الآن فهمت. كيف تنجبين اولاداً وانت ما زلت تؤمنين باللقالق؟

ك.ر.

روبرت كوخ

سيّد البحث العلميّ



تعقب جرثومة الكوليرا من اوروبا الى انغولا فمصر فالهند. واسفرت ابحاثه في السل والملاريا والنوام والطاعون عن انقاذ ملايين البشر والحيوانات. وهذه السنة يحتفل العالم بذكرى مرور قرن على اكتشاف روبرت كوخ لهذه الجرثومة

عندما تفشى وباء الكوليرا في البرتغال عام ١٩٧٤، حمل السياح هذا المرض المميت الى المانيا وانكلترا واقطار اوروبية اخرى. وللحال تولى الباحثون في معهد روبرت كوخ في برلين، وزملاؤهم في المعاهد الاخرى، تحديد نوع جرثومة الكوليرا وارسلوا تقريرهم الى مركز منظمة الصحة العالمية في جنيف (سويسرا). ونجح خبراء المنظمة في اقتفاء اثر الجرثومة الى انغولا، وهكذا امكن الحد من انتشار الوباء.

وكم هو ظرف ملائم لكي يمثل معهد روبرت كوخ دوراً قيادياً في درء هذه الفاجعة العصرية. لان روبرت كوخ، الطبيب وعالم الجراثيم الالماني، هو الذي اكتشف عام ١٨٨٣ الجرثومة التي تسبب الكوليرا. كذلك اجرى دراسات ادت الى السيطرة النهائية على مرض السل، كما قدم الى العالم طرقاً فعالة لمكافحة التهابات الجروح وفتح الطريق امام تفهم افضل لعدد كبير من الامراض الخطرة لدى الانسان والحيوان. وما زالت اعماله حتى اليوم قاعدة لدرس الجراثيم كمسببات للمرض.

ولد روبرت كوخ في ١١ ديسمبر

(كانون الاول) ١٨٤٣ في بيت من خشب في مدينة كلوستال في جبال هارز الالمانية. وكان الثالث بين ١٣ ولداً لمهندس في مناجم الرصاص. وهو عُرف بهدوئه واهتمامه بمجموعته المتزايدة من الحشرات والاعشاب والمعادن وغالبا ما كان يشرّح الحيوانات النافقة.

كان المال قليلا لدى آل كوخ. ولكن باقتصاد شديد ومساعدة منحة دراسية بسيطة التحق روبرت بقسم العلوم الطبيعية في جامعة غوتنجن عام ١٨٦٢، ثم انتقل الى دراسة الطب. وفي الثالثة والعشرين من عمره تخرج طبيبا وتزوج ابنة كاهن كلوستال. واصبحت ايمي الجميلة ذات الشعر الاسود رفيقة عمره واماً لابنتهما الوحيدة غيرترود.

خدم كوخ كطبيب في الجيش ابان الحرب الفرنسية - البروسية بين ١٨٧٠ و١٨٧١. ثم نجح في امتحان طب الصحة العامة، ولما بلغ الثامنة والعشرين عين طبيباً لمدينة ولشتاين (٣٠٠٠ نسمة) في مقاطعة بوزن البروسية. وكان راتبه السنوي ٩٠٠ مارك الماني، اي ما يعادل ٥٤٠٠ مارك اليوم. وكان مسؤولا عن مستشفيين وخبيراً طبياً لدى المحاكم، اضافة الى اشرافه على خدمات الصحة العامة وكشفه احياناً على الدواب المريضة.

كاشفة الفيوم - كان ممكناً ان يقضي روبرت كوخ حياته كلها على هذا النمط، ولكن في عيد ميلاده التاسع والعشرين اهدت اليه زوجته ايمي مجهراً رائعاً. كانت تلك افضل هدية تلقاها. فبين اساتذته في كلية الطب، ممن اعجب بهم، جاكوب هنلي استاذ التشريح وعلم الامراض الذي تقدم بنظرية عام ١٨٤٠ بان الامراض المعدية تنتقل بواسطة اجسام دقيقة لا ترى بالعين المجردة. لكن هذه النظرية كانت تفتقر الى برهان كما كانت مثار جدل وخلاف. فمعظم الاطباء كانوا ما زالوا يعتقدون ان الامراض تنتج من غازات او ابخرة سامة، شأنهم في ذلك شأن اليونانيين والرومان القدماء. لكن الدكتور كوخ الذي اثارت فضوله نظرية استاذه سارع الى استعمال مجهره الجديد لفحص دم الحيوانات التي كانت تنفق بداء الجمرة، اذ كان هذا الداء الغامض يفتك بالغنم والبقر والخيل واحياناً بالانسان.

العصيّات(١) الكثيفة التي رآها كوخ عبر عدسة مجهره كانت تسمى "بلورات" وتعتبر ناتجة من المرض. الا ان كوخ تساءل: "ماذا لو كانت هي السبب؟".

حقن كوخ فأراً صغيراً بدم حيوان مصاب بالجمرة. وفي اليوم التالي نفق الفأر، وكان دمه وطحاله يعجان بالعصيّات البلورية. ثم استزرع كوخ بعضاً من هذه العصيات، وكم كانت دهشته وهو يراها تتكاثر على نحو مذهل. وهكذا ثبت لديه ان العصيات كائنات حية. وبينت تجارب لاحقة ان هذه العصيات اذا تعرضت لحرارة منخفضة، فانها تتحول خيوطاً طويلة تحتوي على بذور جرثومية قد تبقى هاجعة سنوات عدة - في ارض غير مرعية مثلا - لكنها ما ان تدخل دم

---

(١) بكتيريا (جرثومة) عصوية الشكل.

الحيوان الدافىء حتى تعود جراثيم حية فاعلة·

ولكي يعطي ابحاثه وقتاً اكثر، احال كوخ معظم مرضاه على زميل له شارحاً لزوجته: "اني اسبر غور عالم جديد ما زال مغلقاً بالاسرار"·

بعد ثلاث سنوات ومئات التجارب على داء الجمرة اثبت كوخ نهائياً ان جرثومة معينة تسبب مرضاً معيناً· وبتواضعه المعتاد حمل نتائجه الى عالم النبات الشهير فرديناند كون الذي ارتاب في ان يكون هذا الطبيب القروي اكتشف امراً قيماً· ولكن بعدما اطلع على تجارب كوخ صرخ: "ان هذا الرجل هو سيد البحث العلمي بلا منازع·"

وعمد كوخ الى استخدام مختبره البدائي في ولشتاين لاستنباط طرق جديدة في ابحاث الجراثيم· وكان الباحثون الطبيون آنذاك يلونون عينات الشرائح المجهرية بأصباغ الانالين المكتشفة حديثاً· وجرب كوخ هذه الاصباغ لجعل الجراثيم تظهر بوضوح تحت المجهر، فوجد انها تمتص الصبغ بشراهة حتى تبرز واضحة باللون الازرق او الاحمر او البني او البنفسجي·

وعاد كوخ الى مزاولة هواية ايام شبابه وهي فن التصوير· فاشترى آلة تصوير واوصلها بمجهره· وكانت زوجته ايمي تراقب السماء حتى اذا رأتها صافية هتفت لزوجها بان الظروف ملائمة للتصوير· وكان كوخ يسميها تودداً "كاشحة الغيوم"، وللحال يترك كل عمل لديه ويباشر التصوير· وكانت النتائج ممتازة، اما كوخ المأخوذ بالنشوة فكتب الى العالم كون ان التصوير يظهر الجراثيم على نحو افضل مما تراه العين البشرية·

جرثومة السل — بعد ذلك اتجه كوخ الى البحث في التهابات الجروح· وكطبيب في الجيش رأى العديد من الجنود يموتون بسبب هذه الالتهابات، كما ان اكثر من ٧٥ في المئة ممن بترت اطرافهم اصيبوا بها ايام الحرب· وكانت هذه الالتهابات تقضي على نسبة ٤٠ الى ٨٠ في المئة من نزلاء قسم الجراحة في المستشفيات· وكان الجراح البريطاني جوزف ليستر ينقذ مرضى كثيرين بتضميد جروحهم بمادة الكربوليك، الا انه لم يكن يدرك طريقة فعل تلك المادة· ومن خلال البحث المتواصل والصبور، وبمساعدة المجهر والاصباغ والتصوير، افلح كوخ عام ١٨٧٨ في عزل ستة انواع من الجراثيم التي تسبب التهابات الجروح·

في هذا الوقت كانت شهرة الطبيب القروي في ولشتاين تغزو العالم· وفي العام ١٨٨٠ عينه مدير المكتب الصحي الامبراطوري في برلين في جهاز مكتبه· وهكذا وجد كوخ نفسه ينعم فجأة بوسائل التقنية الحديثة التي وضعت في تصرفه وبمعونة مساعدَيْن وراتب سنوي مقداره ٦٠٠٠ مارك، اضافة الى منزل من خمس غرف حل فيه مع عائلته·

وكانت مهمته الاولى ايجاد افضل الطرق لمقاومة الجراثيم التي عزلها· ومن بين الوسائل التي جربها اختار البخار الذي ما زال حتى يومنا معتمداً في التعقيم·

بعد ذلك وجه كوخ اهتمامه الى مرض السل الذي كان بلاء يتسبب في واحدة من كل سبع وفيات في العالم الغربي. وفي حين كان العديد من مشاهير الاطباء حينذاك يعتبرون داء السل من اعراض سوء التغذية المزمنة وليس مرضاً معدياً، اقتنع كوخ بان الجراثيم هي التي تسبب السل وتنقله.

ولقد عمل كوخ اسابيع عدة وحيداً في مختبره، وكان احياناً يقضي ١٨ ساعة يومياً في العمل من دون ان يسمح لاحد بالتعرض معه لخطر العدوى. وبعد ستة اشهر، فيما هو يفحص الشريحة الـ٢٧١، توصل الى تعيين جرثومة السل. ولكي يثبت ان الهواء ينقل هذه الجرثومة، فانه احضر صندوقاً يحتوي على فئران وارانب وخنازير هندية وعرّضه لضباب مفعم بعصيّات السل. فنفقت الحيوانات جميعها بذلك الداء.

في ٢٤ مارس (آذار) ١٨٨٢ عرض كوخ اكتشافاته امام مشاهير العلماء في الجمعية الفيزيولوجية في برلين، وكان في الثامنة والثلاثين من عمره. وللمرة الاولى في تاريخ الجمعية لم تجرِ اي مناقشة بعد العرض.

لكن كوخ لم يكن راضياً. فهو شعر ان عليه التوصل الى نتائج عملية تخول البشرية الافادة من اكتشافاته. ولذا فانه طلب من الحكومة الالمانية اتخاذ اجراءات صحية واسعة النطاق بتوعية الناس الى خطر الامراض المعدية والابلاغ عن كل اصابة ووضع المرضى تحت المراقبة الطبية.

الطبيب المنقذ ـ في تلك الاثناء

كان هنالك داء آخر يثير القلق والاهتمام. ففي العام ١٨٨٣ انتشر وباء الكوليرا في مصر. وكان هذا الداء الرهيب يكتسح الغرب مرة كل بضع سنوات آتياً من الهند. وفي ١٨٦٦ اسفر انتشار الكوليرا عن وفاة اكثر من ١١٥ ألف نسمة في بروسيا وحدها. وفي بلدة نيمك بالقرب من برلين اهلك الوباء ١٠ في المئة من السكان.

واعتزمت السلطات الالمانية كشف غوامض هذا الوباء، فأرسلت لجنة طبية برئاسة روبرت كوخ الى الاسكندرية في مصر. وهناك حقنت القردة والكلاب والقطط والفئران بعينات من مواد اخذت من ضحايا الكوليرا. ثم اقتطعت انسجة من هذه الحيوانات، وبعد صبغها بطريقة كوخ تم فحصها تحت المجهر. وبعد فحص مئات الشرائح توصل الفريق الى اكتشاف عصية الكوليرا التي تبدو في شكل فاصلة (،).

بعد ذلك تولى كوخ وفريقه، ومعهما خمسون فأراً ابيض، تعقب المرض الى الهند. ولما كان كوخ يدرك ان الكوليرا تظهر احياناً في مجمعات قريبة من مستنقعات يقصدها السكان للشرب او الاستحمام او غسل الثياب او رمي النفايات، فانه عمد وفريقه الى اجراء تجارب في هذه المجمعات. وتوصل الى نتيجة مؤداها ان الكوليرا تنتقل عبر الماء والطعام والثياب الملوثة، فأوصى بمراقبة مصادر المياه وتصفيتها.

وفي ١٨٩١ اصبح كوخ مدير معهد الامراض المعدية (يحمل اليوم اسمه). وساعده مركزه في العمل على مكافحة المرض في ابعد اصقاع الارض الموبوءة في افريقيا والهند والبحار الجنوبية. ففي ١٨٩٦، مثلا، بلغته استغاثة مستعجلة من جنوب افريقيا للمساعدة في مكافحة طاعون فتك بالماشية. فعمل على اكتشاف لقاح انقذ مليوني رأس ماشية في مستعمرة الكيب ذلك العام.

وعام ١٩٠٦ قصد كوخ مجموعة جزر في بحيرة فكتوريا في شرق افريقيا حيث توفي ٣٠ الف نسمة من مجموع ٣٥ ألفاً بداء النوام(٢). وكان معروفاً ان هذا الداء ينتج من لسعة ذبابة "تسيتسي"، فنصح كوخ باحراق جميع الامكنة الموبوءة بالذباب كما حضر عقاراً شديد الفاعلية، مما ادى الى خفض نسبة الوفيات ٩٠ في المئة.

وفي ذروة مجده منح كوخ عام ١٩٠٥ جائزة نوبل للطب وعلم وظائف الاعضاء (الفيزيولوجيا) لابحاثه في داء السل. وغزت الاسواق سلع كالمحارم والكؤوس والغلايين تحمل رسم الاستاذ الالماني الجليل بذقنه الكثيفة ونظاراته الذهبية. وخلال زيارة الى اليابان استقبل كوخ كالفاتحين ورسمت الالعاب النارية صورة وجهه في الجو.

عام ١٩١٠ توفي روبرت كوخ بعد حياة حافلة وغنية باكتشافات انقذت ملايين البشر.

■ كلاوس غايدمان

---

(٢) مرض منتشر في افريقيا الاستوائية من اعراضه الحمى والنعاس والارتعاد والهزال.

المال والبنون



اردت ان اعلم ولدي"
ان كسب المال
ليس سهلا ،
وشجعتهما على توزيع الصحف
في عطلة نهاية الاسبوع.
فماذا كانت النتيجة؟

اقترحت على ابني" اللذين دخلا الجامعة : "ارجو ان تنظرا في الامر مليا ، فقد يجنبكما مذلة طلب المال طوال الوقت." وسلمتهما بعض الصحف التي وضعها احدهم في كيس وعلقها على مقبض الباب. وعلى الكيس طبع اعلان يقول : "اكسب مالا سهلا عبر تسليم مزيد من هذه الاكياس."

"انا لا تزعجني المذلة،" اجابني ابني الاكبر.

ووافقه اخوه : "وانا يمكنني ان اتعايش معها."

اجبتهما : "يؤلمني انكما استجديتما طويلا فلم يعد الامر يحرجكما."

ووعدني الشابان بانهما سينظران في مسألة توزيع الصحف. وغادرت البلدة في رحلة عمل وانا اشعر بالاطمئنان والسرور. وما ان حل منتصف الليل حتى كنت اتمدد في غرفة الفندق بعيدا عن المنزل. ورن جرس الهاتف. كانت تلك زوجتي. سألتني كيف امضيت يومي، فاجبتها بمحاسة : "رائع !" وحدثتها عن انجازات اليوم والعشاء الذي تناولته مع اصدقاء قدامى في افخم مطاعم المدينة. ثم سألتها : "كيف كان يومك؟"

فردت بحدة : "كان ممتازا. ممتازا حقا ! ونحن لم نبدأ بعد. لقد توقفت شاحنة اخرى امام البيت."

"شاحنة اخرى؟"

- الثالثة هذا الصباح. سلمتنا الاولى اربعة آلاف صحيفة والثانية اربعة آلاف اخرى. ولا اعرف ما الذي افرغته الشاحنة الثالثة، واغلب الظن انها اربعة آلاف نسخة اخرى. وبما انك مسؤول عن هذا كله فاني رأيت ضرورة اطلاعك على ما يجري.

واتضح ان ما تحملتُ ملامته حدث بسبب اضراب صحافي استوجب تسليم اوراق الاعلانات باليد عوضا عن اقحامها بين طيات صحيفة الاحد. وقد وعدت الشركة باعطاء ابني ٦٠٠ دولار في مقابل توزيع هذه الاوراق على اربعة آلاف منزل قبل يوم الاحد.

وصرخ ابني الجامعي الاكبر : "انه عمل سهل."

وسال لعاب اخيه : "٦٠٠ دولار ! هذا يعني ٣٠٠ دولار لكل منا. وفي وسعنا ان ننتهي العمل خلال ساعتين."

وصلت الشاحنتان الاوليان، كما اخبرتني زوجتي : "الاعلانات مطبوعة على اربع صفحات في حجم صحيفة، ويكون حاصل ذلك ٣٢٠٠ صفحة اعلانات موجودة حاليا في الرواق. وفيما احدثك ارى رجلين ضخمين يحملان الاوراق عبر الممر ماذا نفعل بهذا كله؟"

"اخبري الاولاد ان يبدأوا العمل. انهما شابان جامعيان وسيعرفان كيف يتصرفان." تلك كانت تعليماتي.

اولاد الحي - عندما عدت الى الفندق ظهر اليوم التالي وجدت ملاحظة عاجلة بضرورة الاتصال بزوجتي. كان صوتها عاليا على غير عادة : "لقد افرغت شاحنات اخرى حمولاتها. انها لمتاجر ومخازن ودكاكين بقالة وصيدليات وشركات سيارات وسواها. كل ما يخطر في بالك، يا سيد، تجده هنا في مدينة الاعلانات! لدينا هنا مئات الآلاف وربما الملايين من

صفحات الاعلان!" واستمر صوتها في الارتفاع كأنه يحاول ان يتخطى طاقة الاذن البشرية : "وهذا كله يجب ان يسلم قبل السابعة من صباح الاحد."

قلت لها : "اسمعي اخبري هذين الغبيين ان رواقنا يجب ان يفرغ قبل مساء غد."

– وماذا عن غرفتي الجلوس والطعام والمطبخ وحجرة الغسيل؟

"وهل بسطوا البضائع في البيت كله؟"

– لم يبسطوها في اي مكان. انها محشورة من الحائط الى الحائط في كوم هي اطول من ابنك الاكبر. ولم يبقَ متسع الا لان ندخل ونتناول ورقة من كل اعلان ونلفها ثم نربطها بشريط مطاط ونضعها في اكياس بلاستيكية. ان عندنا اكياسا تكفي خدمات المنازل لمطاعم امريكا كلها.

"حسنا ليبدأ الشابان الجمع والربط باقصى سرعة ممكنة وسأتصل بك لاحقا لاني مرتبط الان بموعد غداء."

عندما عدت وجدت ملاحظة من زوجتي بضرورة الاتصال العاجل فاسرعت الى مخابرتها فبادرتني بلطف : "هل تناولت غداء طيبا؟"

وكنت اكلت شريحة لحم ممتازة، لكنني اذكى من ان اصرح بذلك. قلت : "كان غداء رهيبا. نوعا من السمك القاسي الالياف".

– اما نحن فتناولنا شطائر الجبن في المطعم المجاور، وسنأكل شطائر اللحم هناك في المساء."

"تناولتم ماذا؟ لماذا؟"

– لاني، يا عزيزي، لا استطيع دخول المطبخ الذي امتلأ اخيرا بجميع الاعلانات المطبوعة في هذا الجزء من العالم. لقد وظف ابناك اولاد الحي ليساعدوهما في مقابل ٥ دولارات لكل منهم.

"هذا مشجع".

– كلا، انه مثبط للآمال تماما. انهم يعملون منذ ساعات. وضعوا الاوراق في اكياس تكومت حتى وصلت الى السقف. لكن هذا كله لم يغير شيئا، وكأنما الاوراق تستنسخ نفسها!

واضافت : "هناك شيء آخر. على ابنيك الجامعيين ان يتعلما ان المرء ينال ما يريد من موظفيه بتهديدهم بالاذى الجسدي."

وبعدما منحت شرف مكالمة ابني الاكبر، زمجرتُ قائلا : "سأقتلك اذا انت هددت احد هؤلاء الاولاد ثانية! يا بني، يجب ان تمنح دولارا اضافيا كل ساعة من يملأ اكبر عدد من الاكياس".

– لكن هذا سيقلل من ربحنا.

"لن يكون هناك اي ربح اذا لم يساعدكم هؤلاء الاولاد في ايصال الاوراق في الوقت المحدد. وفي تلك الحال ستضطرون الى العمل وحيدين ولن يتسع وقتكما لاكل او نوم حتى تزال الاوراق كلها."

وبعد فترة تفكير قصيرة قال ابني "ابي، انك في هذه اللحظة احدثت

تغييرا اساسيا في شخصيتي."
"افعل ما قلته لك."
- نعم يا سيدي !
عقلان تجاريان - مساء اليوم التالي
تراكمت اخبار كثيرة حدثتني عنها زوجتي. فقد نجح برنامج المكافآت حتى طلب احدهم ان يرى لون النقد. ثم احتج آخر قائلا ان العمال يجب الا يقبلوا بخمسة دولارات وبعض المكافآت التنافسية الضئيلة في حين يجني ربا العمل مئات الدولارات. وقال زعيم المعارضة ان من حق العمال كلهم الحصول على خمسة دولارات في الساعة، وانهم لن يعملوا دقيقة واحدة قبل موافقة الرئيسين على ذلك.

ودام الاضراب اقل من ساعتين. وكحل وسط اتفق طرفا النزاع على دولارين في الساعة. وبدأت الاكوام الضخمة تتقلص.

وعلمت من "اذعة" السبت الصباحية ان بعض الجيران الطيبين تبرعوا بسياراتهم وانهم يعملون في التوزيع منذ ساعات الصباح الاولى، وسيواصلون العمل خلال النهار.

واضافت زوجتي : "سنعمل حتى ساعة متقدمة من الليل. في المناسبة هل ستعود الى البيت ابداً؟"

اجبت بذكاء : "اني احاول انهاء بعض الامور العالقة. فلا داعي الى ترك اعمال غير منجزة."

وكما تبين لاحقا، انجز العمل قبل ثلاث ساعات من الموعد المحدد وحينما عدت كان الشابان انتهيا من تصفية حساباتهما : ١٥٠ دولارا اجرة اتعاب العمال، ٤٠ دولارا للبنزين، ٣٥ دولارا لشراء الهدايا للجيران الاوفياء، وخمسة دولارات لشراء ورد لامهما. وقد تبقى لهما ١٨٥ دولارا للواحد في مقابل ٩١ ساعة عملا بذلاها.

وسارت الامور حسنا لاسابيع. وفي صبيحة يوم سبت لفتني تصرف ابني الاصغرين. كانا يحملان علبة بعد علبة من زوايا مختلفة في البيت ليضعاها على الرصيف المقابل. وافترضت ان امهما طوعتهما لاخراج بعض النفايات. ثم سمعتهما يبحثان في امور مالية : "يا الهي! سنحصل على مال كثير!"

- سنصبح اغنياء!

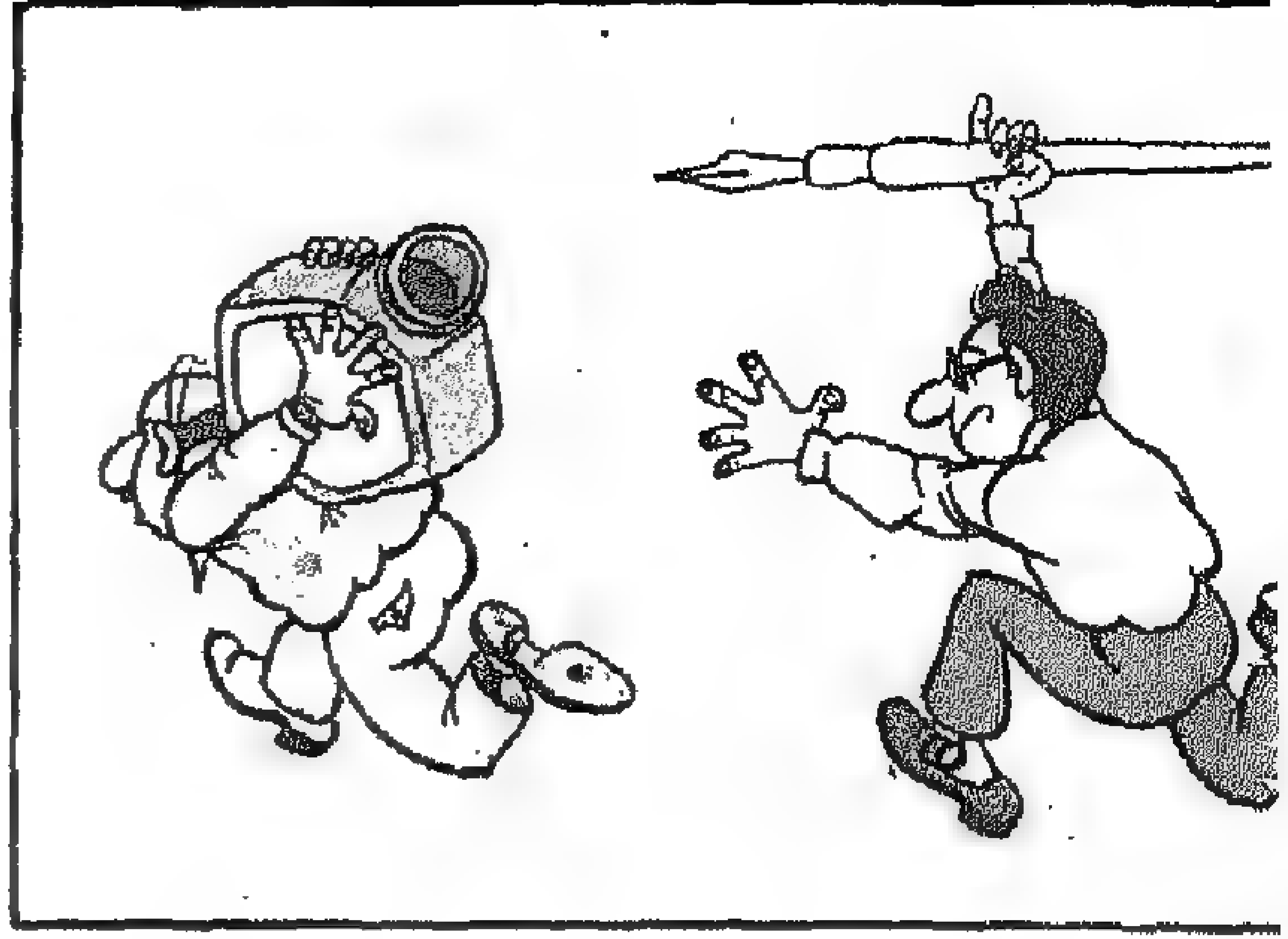
واثبتت تحقيقاتي انهما كانا يعرضان مكتبتنا "للبيع او الايجار."
وصرخت : "كلا، لا يمكنكما بيع كتبنا!"

وحاولت ان اشرح لهما : "المرء لا يشبع من الكتب ابداً."

- بالطبع شبعت منها. لقد قرأتها وانتهيت منها. ويمكنك ان تجني منها بعض المال لقد اردنا ان نتجنب مذلة طلب...

وصرخت وانا اقحم بعض الدولارات في ايديهما: "لا تأبها للمذلة ! خذا المال ولا تفكرا في المذلة. انا يمكنني ان اتحملها."

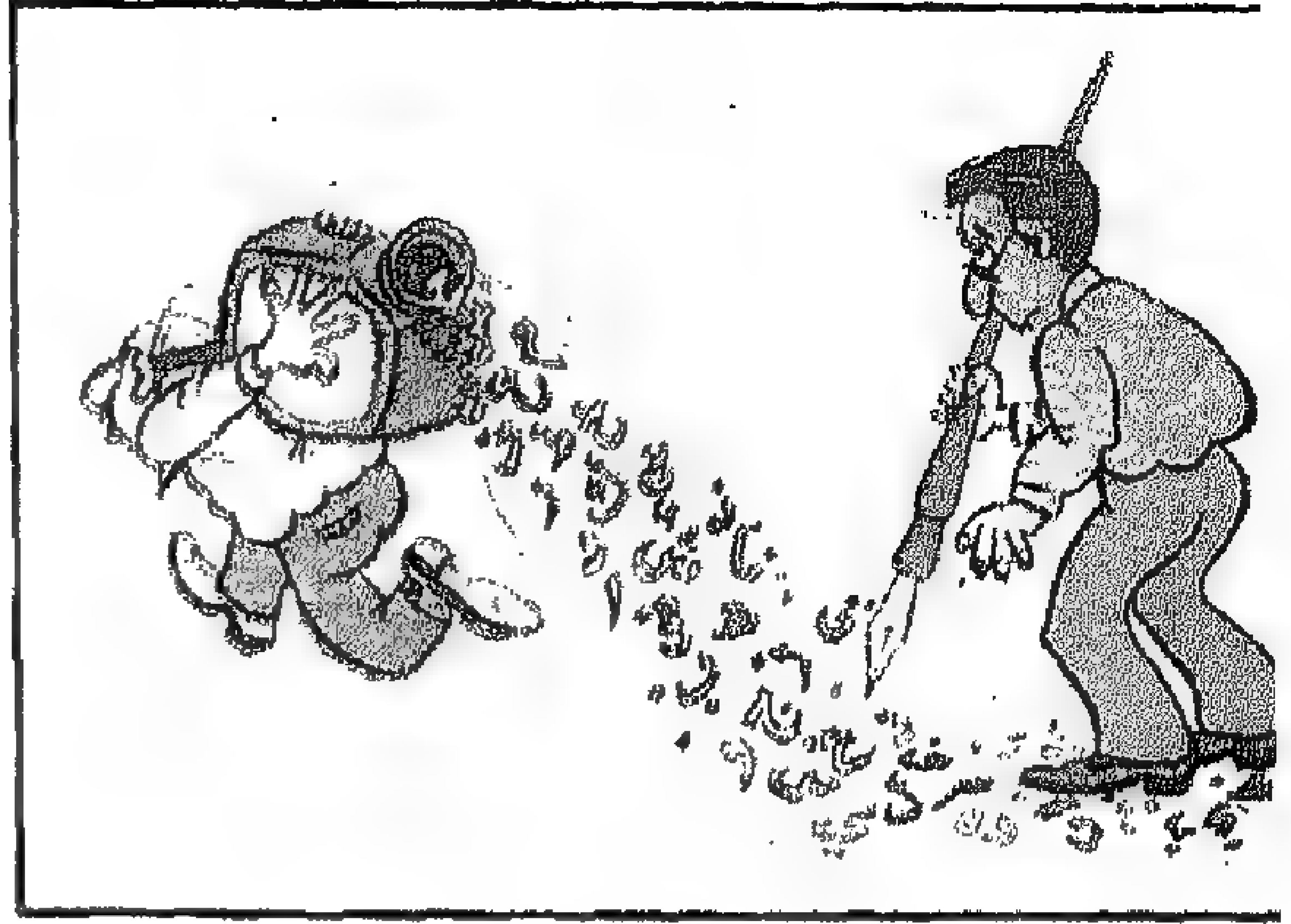
■ جون هابل



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تضم حرفين مكررين، وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح، المطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ ـ **كفكف:** عمي ـ مسح ـ ضرب بكفه ـ بكى.
٢ ـ **طأطأ:** خفض ـ قرع بلطف ـ تواطأ ـ انكسر.
٣ ـ **صلصل:** صفر ـ قيد بالسلاسل ـ لسع ـ رجّع صوته.
٤ ـ **بربر:** هجر الناس ـ انتقد ـ تكلم بلا منفعة ـ تصدق.
٥ ـ **خنخن:** خدع ـ أخرج الكلام من أنفه ـ أنتن ـ قهقه.
٦ ـ **كشكش:** هرب ـ قطب جبينه ـ طرد ـ تشرد.
٧ ـ **رصرص:** حشا بالرصاص ـ تشدد ـ اصطكت أسنانه ـ أحكم.
٨ ـ **تعتع:** ثرثر ـ ظلم ـ أوقع ـ حرك بعنف.
٩ ـ **جلجل:** تدجج بالسلاح ـ احترم ـ جرّ ـ صوت شديداً.
١٠ ـ **نمنم:** اتهم باطلا ـ زخرف ـ أخبر ـ أكل بشراهة.
١١ ـ **بصبص:** فتح عينيه ـ تألق ـ فرح ـ أطل.
١٢ ـ **زكزك:** دغدغ ـ أستفز ـ لسع ـ مشى بضعف.
١٣ ـ **وسوس:** أفشى سراً ـ وشى ـ حدث بالشر ـ همس.
١٤ ـ **دمدم:** رنّم ـ تكلم بغضب ـ هدد ـ مشى على يديه ورجليه.
١٥ ـ **معمع:** تبلد في كلامه ـ قاتل ـ لمع ـ ماطل.
١٦ ـ **كتكت:** مزج ـ نقد الحب ـ ضحك ـ مشى رويداً.
١٧ ـ **عنعن:** روى عن سواه ـ تألم ـ تذمر ـ ندب.
١٨ ـ **ضعضع:** بعثر ـ ضيّع ـ هدم حتى الارض ـ رمى.
١٩ ـ **لجلج:** عاند ـ غرق ـ تردد في الكلام ـ حث.
٢٠ ـ **هدهد:** دلل ـ حرك الطفل لينام ـ غرد ـ هدأ.
٢١ ـ **بلبل:** قلد صوت البلبل ـ رطّب ـ هيج ـ شنع.
٢٢ ـ **رضرض:** رش بالماء ـ ضرب ـ لم ينعم الدق ـ توثب.
٢٣ ـ **عجعج:** بالغ في الصياح ـ ادّعى ـ ازداد سمنة ـ ازدحم.
٢٤ ـ **قفقف:** تقزز ـ جلس القرفصاء ـ تأفف ـ ارتعد.
٢٥ ـ **تمتع:** بصق ـ أزاح ـ تردد صوته في صدره ـ ناح.
٢٦ ـ **زعزع:** صرخ ـ حرك بعنف ـ ردم ـ كذّب.
٢٧ ـ **رقرق:** صبّ وأجرى ـ تحنن ـ بكى ـ تغزل.
٢٨ ـ **لألأ:** أشرق ـ اصطاد اللؤلؤ ـ شرب ـ ارتخى.
٢٩ ـ **كنكن:** سكت ـ امتنع ـ طرد ـ قعد في بيته.
٣٠ ـ **ولول:** هرب ـ لوح ـ أعول ـ شتم.



الأجوبة الصحيحة

١ - **كفكف الدمع:** مسحه مرة بعد أخرى.
٢ - **طأطأ:** خفض.
٣ - **صلصل الجرس:** رجّع صوته. صليل: وقع الحديد بعضه على بعض.
٤ - **بربر:** أكثر الكلام بلا منفعة.
٥ - **خنفن:** أخرج الكلام من أنفه. استخنثت البئر: أنتنت.
٦ - **كشكش:** هرب. كشكشت الحية: صوتت من جلدها لا من فيها.
٧ - **رصرص البناء:** أحكمه. الرصص: تقارب الاسنان.
٨ - **تعتع:** حرك بعنف. تعتع في الكلام: تردد فيه من عيّ.
٩ - **جلجل:** صوّت شديداً. جلجل: جرس، جمعها جلاجل.
١٠ - **نمنم:** زخرف وزين. وجه منمنم: صغير لطيف الاعضاء.
١١ - **بصبص:** فتح عينيه. البصاصة: العين.
١٢ - **زكزك العجوز:** مشى بخطوات قريبة لضعفه.
١٣ - **وسوس له الشيطان:** حدثه بشرّ. وسوس الرجل: أصيب في عقله.
١٤ - **دمدم:** تكلم بغضب.
١٥ - **معمع:** قاتل بضراوة. معمعان: شدة الحرّ.
١٦ - **كتكت:** مشى رويداً أو قارب الخطو في سرعة.
١٧ - **عنعن الراوي:** قال في روايته: "روى فلان عن فلان".
١٨ - **ضعضع:** هدم حتى الارض. تضعضع: ضعف وذلّ.
١٩ - **لجلج:** تردد في الكلام. لجّ: تمادى في العناد.
٢٠ - **هدهدت الام صغيرها:** حركته لينام.
٢١ - **بلبل القوم:** أهاجهم وأوقعهم في الهم. بلبال: شدة الهم.
٢٢ - **رضرض:** لم ينعم الدق. الرضراض: الدقيق من الحصى.
٢٣ - **عجعج:** بالغ في الصياح. العجعاج من الخيل: المسنّ.
٢٤ - **قفقف:** ارتعد من البرد وغيره. قفقف الشعر: قام لشدة الفزع.
٢٥ - **نحنح:** تردد صوته في صدره. النحانحة: البخلاء لانهم ينحنحون اذا سئلوا.
٢٦ - **زعزع:** حرك بعنف. الزعازع: شدائد الدهر.
٢٧ - **رقرق الماء:** صبّه رقيقاً. دمع رقراق: يجول في العين ولا يسيل.
٢٨ - **لألأ:** لمع وأشرق. لألأ: فرح تام، أيضاً: بائع اللؤلؤ.
٢٩ - **كنكن:** قعد في بيته. كنين: مستور.
٣٠ - **ولول:** دعا بالويل وأعول.

المستوى
٢٥ - ٣٠: ممتاز.
١٩ - ٢٤: جيد.
١٣ - ١٨: مقبول.


الخيول

جلس الفرسان معتمرين قبعاتهم التقليدية وستراتهم البنية القصيرة في الممر الطويل خارج القاعة الفخمة في مدرسة الفروسية الاسبانية في فيينا، يحتسون قهوة الصباح بانتظار دورهم. وكانت موسيقى موزار تصدح وتملأ جو القاعة، بينما راح المشاهدون يراقبون جوادين مطهمين يخطران في تمرين فروسي يعرف باسم الخبب او الخطوة المزدوجة.

فجأة اصطدمت الطاولة بجدار القاعة وانقلبت فناجين القهوة واهتزت الثريات الضخمة فدب الذعر في المشاهدين. لكن حركات الجوادين الرتيبة لم تختل برهة. هكذا هي روح الانضباط في تلك الافراس، حتى ان الفارسين لم يعلما الا لاحقا ان زلزالا ضرب فيينا ذلك الاحد من شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٢.

هذا الانضباط في المواقف العسيرة هو الصفة المميزة لافراس "ليبيزانر" تلك البقية الباقية من الجياد القوية التي تعرضت غير مرة للانقراض وتمكنت من البقاء عبر مشاق الاغتراب والحرب فحظيت بتقدير كل من اقتناها.

افراس ليبيزانر هي من اقدم الخيول الاصيلة في العالم. ويرقى نسبها الى اكثر من ٤٠٠ سنة. فقد امتطاها الملوك، من نابوليون الى الملكة اليزابيت الثانية. وكانت تجر مركبات اسرة هابسبورغ النمسوية المالكة عبر شوارع فيينا في القرن السادس عشر، كما اضفت جمالا ورونقا على احتفالات تسلم السلطة لثلاثة من رؤساء الولايات المتحدة.

Photos: Eric Lessing/Magnum

وعبر اجيال ظلت هذه الافراس وقفا على اسطبلات ملوك الامبراطورية النمسوية - المجرية (الهنغارية) لكنها اخذت اليوم تنتشر في انحاء العالم. من مروج الالب الى بطاح افريقيا الجنوبية، ومن سفوح هضاب اوستراليا الى سهول الولايات المتحدة، تكاثرت الشلة الصغيرة من افراس ليبيزانر الاصيلة التي نجت من كوارث الحرب العالمية الثانية حتى باتت ثروة عالمية تضم نحو ٣٠٠٠ فرس، معظمها لا يزال يربى برعاية في تسع مزارع في اوروبا.

سلالة افراس ليبيزانر اقتبست اسمها من قرية ليبيكا الصغيرة شمال غرب يوغوسلافيا اليوم، حيث رباها للمرة الاولى عام ١٥٨٠ الارشيدوق تشارلز احد امراء اسرة هابسبورغ. وعن طريق النزو بين الافراس المحلية الصلبة العود والفحول المستوردة من اسبانيا، نمت هذه السلالة. وكما يحصل اليوم، ترعرعت الافراس في البراري الوعرة حيث العشب قليل لكنه غني بالغذاء وحيث الهواء مشبع بالاوزون والملح مع البحر الادرياتيكي القريب.

بعد قرون من حياة التقشف والخشونة اصبحت افراس ليبيزانر صلبة العود وشديدة المراس. ومنذ الاشهر الاولى من حياتها تطلق الافلاء (١) لترعى معظم ساعات اليوم، حتى في اوقات هبوب الرياح الشتوية القارسة، فتتصلب حوافرها وتشتد عضلاتها. حتى الاناث في مزرعة مونتيروتندو لتربية الخيول شمال روما (ايطاليا) تضع مهارها خارج مهاجعها في الفلاة من دون ان يكون معها احد. ويقول المربي رنزو لوشيدي: "يحدث ذلك عادة عند منتصف الليل، وفي الصباح نجد المهر الوليد واقفا بجانب امه."

تكون مهار ليبيزانر عند ولادتها بلون الكميت، ثم تتحول تدريجا الى الشهبة (٢) وهي اللون الذي تشتهر به. لكن هذه الافراس تظهر خصائصها الفريدة في حركاتها. فمشيتها المتبخترة المتعالية وذيلها الكثيف المتمايل واردافها المطهمة، جعلتها الافراس المفضلة لدى الاباطرة في كل زمان. فالقوة الدافعة في اردافها وقائمتيها الخلفيتين تحدرت اليها من اسلافها، وهي التي مكنتها من الانحرافات السريعة في المبارزة فوق ساحة المعركة. وتدرب هذه الافراس على القفز فوق الحواجز وحوافرها تضرب العدو في قفزها. كما يمكن الواحد منها ان يشب على قائمتيه الى ارتفاع مخيف فيحمي فارسه بصدره من حراب العدو او رصاصه.

شعرت بتلك القوة النابضة عندما امتطيت حِجراً (٣) تدعى آليغرا

(١) الفلو هو المهر قبل بلوغه السنة.

(٢) الكميت حمرة ضاربة الى السواد، والشهبة بياض مشوب بالسواد.

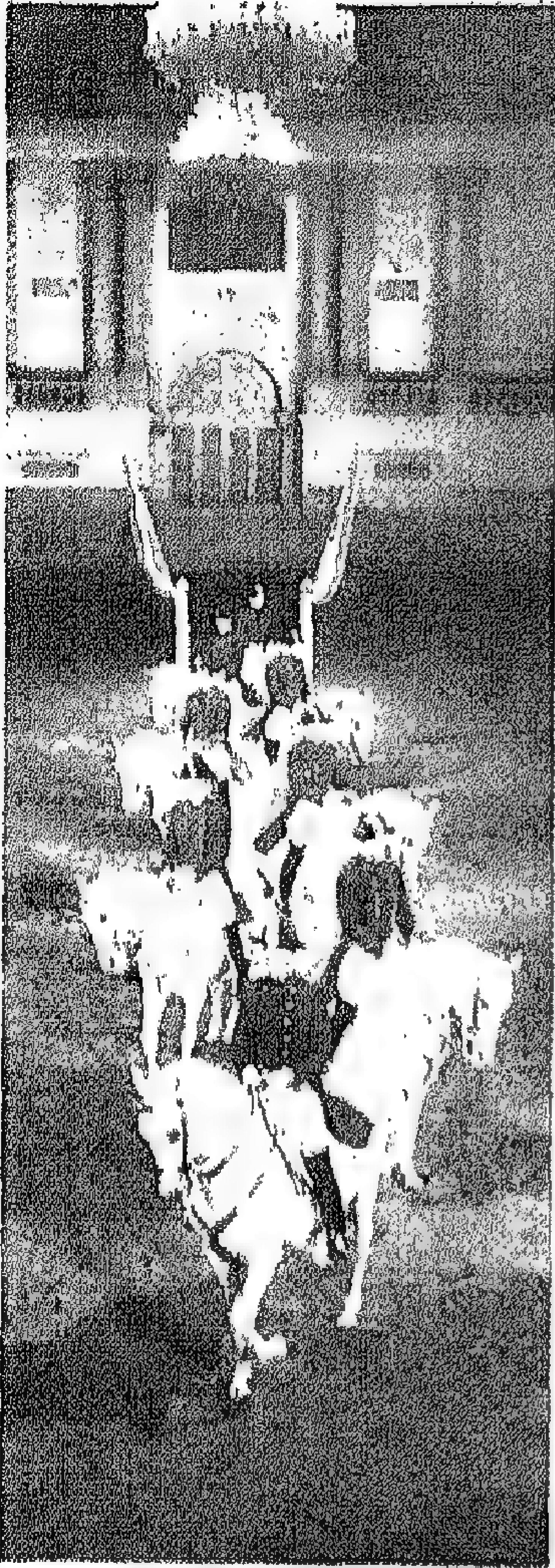
(٣) انثى الفرس.

وانطلقت بها في برية واسعة في يوغوسلافيا. احسست بتوثبها اللاهث، فأرخيت لها العنان لتغير على هواها في تهور مني لا يتناسب مع خبرتي المحدودة في الفروسية. وفيما انحدرت بي فوق وهدة وعرة ادركت ان الحجر هي التي كانت تداريني وليس انا. وفهمت معنى ما قاله لي المدرب حين صاح بي بعد انطلاقنا : "لن تحتاج الي لان آليفرا ستلقنك دروس الفروسية."

معلم شاطر – ركوب الخيل هو احد النشاطات الرئيسية في قرية ليبيكا الحديثة، حيث يفد هواة الفروسية من انحاء اوروبا ليقضوا فوق صهوات الجياد اكثر من ٤٠ الف ساعة سنويا.

قال مدير احدى مزارع الخيول اندريه فرانيتك : "كانت هذه الارض بقعة منعزلة، لكنها اليوم من الاماكن القليلة حيث يتسنى لرجل عادي امتطاء صهوة احد افراس ليبيزانر."

في ذلك الصباح المشرق عسر علي ان اصدق كيف نجت قرية ليبيكا وافراسها الثمينة مرارا من الفناء المحقق. ففي العام ١٧٩٧ وقعت القرية مباشرة في طريق جيوش نابوليون الزاحفة، فانطلق منها ٣٠٠ جواد مع سواسها في احد ايام شهر مارس (آذار) القارسة، قاصدين بلاد المجر (هنغاريا) القصية. وعلى رغم ندرة العلف، فقد سلمت الجياد جميعها وجاء هذا شاهدا على صلابة هذه الخيول وشدة مراسها.



الحرب العالمية الثانية احالت قرية ليبيكا ساحة قتال. وانحطت المزرعة الامبراطورية فغدت بائسة ليس فيها سوى ١١ فرسا. لكن سلالة افراس ليبيزانر وجدت صديقا مخلصا هو الماريشال تيتو رئيس يوغوسلافيا السابق. وهناك صورة تمثل الرئيس الراحل وهو يعرض ارتال الدبابات ممتطيا صهوة فرس ابيض من سلالة

ليبيزانر. وكان لتدخل تيتو شخصيا الفضل في انقاذ مزرعة الافراس هذه. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨١ قدم ١٢ فرسا منها عرضا مؤثرا في قرية برنو الجبلية، مسقط رأس الزعيم الراحل.

وفي صيف ١٩٨٠ احتفلت ليبيكا بعيد ميلادها الـ ٤٠٠ كمزرعة لتربية الخيول، فاوفدت كل من مزارع الخيول في اوروبا ستة من نخبة افراسها لتشارك في المناسبة. وكانت هذه فرصة العمر لمن يرغب في مشاهدة تلك المجموعة الفريدة من الافراس في مكان واحد. وكان من مشاهد الاحتفال مباريات في الحركات الترويضية والقفز وسباق المركبات، وعرض اشترك فيه جميع اعضاء فريق مدرسة الفروسية الاسبانية، وندوة ضمت خبراء العالم في تربية افراس ليبيزانر وترويضها.

يصر المروضون في السنوات الاولى من حياة الافراس على ان يتاح لها التمتع بفترة من الحرية المطلقة. وقفت مرة في مزرعة بايبر لتربية الخيول في مراعي جبال النمسا اراقب قطيعا من مهار ليبيزانر وهي تتواثب وتتدافع في طقس قارس البرودة تحت سماء متلبدة بالغيوم. وقال لي حارسها آدولف تاكس: "كل ما هو مطلوب منها الان هو ان تأكل وتكبر، ولكن بعد قليل سيتعين عليها الالتحاق بالمدرسة."

هذه المهار ستغدو نجوم مدرسة الفروسية الاسبانية في فيينا، وهي المؤسسة الشهيرة التي حققت لافراس ليبيزانر الصيت والاعجاب العالميين. نخبة افراس مزرعة بايبر التي بلغت ثلاث سنوات ونصف سنة من عمرها، تباشر كل سنة برامج ترويض قاسية وفقا للاصول التقليدية في الفروسية. عروض المدرسة التي تجري مرتين كل اسبوع وتجمع بين الرياضة والجمال والفن الرفيع، اجتذبت ملايين المشاهدين منذ فتحها امام الجمهور عام ١٩٢٠.

تجرى التدريبات بنظام عسكري دقيق وفي جو من السكون التام. ففي قاعة الركوب لا تسمع سوى صرير السروج ولهاث الافراس، واحيانا طقطقة تحبب من فم المروض.

ويقول العميد فرنر هلمبرغر المدير المساعد لمدرسة الفروسية الاسبانية: "يلزمنا ست سنوات لتدريب فرس قبل ان يحسن الاداء تماما، و٢٠ سنة لتدريب الفارس. اكبر الفرسان يدرب اصغر الافراس، والافراس الكبيرة هي اساتذة الفرسان الشباب."

ويستعيد المروض ميلوش فلدي ذكرياته في مدرسة الفروسية الاسبانية حيث تعلم ركوب الجواد الاسطوري كونفرسانو فلورا الذي كان حينئذ في سنه السابعة والعشرين: "كان علي فقط ان افكر بحركة ما، واذا بالجواد يقوم بها على الفور. كان حقا معلما مدهشا."

"لسنا اسيادها" – العلاقة بين

الفرس والفارس يجب ان ترتكز على الرقة والصبر وتراعى كالعلاقةالحميمة بين شخصين. قال لي احد المروضين : "عندما اكون مضطرب البال بمشاكلي الشخصية، يأتي اداء الجواد سيئا للغاية."

واسوة بقرية ليبيكا تعرضت مدرسة الفروسية الاسبانية خلال الحرب العالمية الثانية لصدمة كادت ان تكون قاضية. ففي العام ١٩٤٣ صادر الالمان جميع افراس ليبيزانر من مزارع الخيول الرئيسية في اوروبا وشحنوها الى هوستو في تشيكوسلوفاكيا المحتلة. ولكن في مارس (آذار) ١٩٤٥ تمكن مدير المدرسة العقيد الويس بودايسكي من تهريب حمولة بضع عربات قطار من الافراس الى خارج فيينا، واوصلها الى سان مارتن تحت انف القيادة الالمانية العليا.

وفي الشهر التالي اصدر القائد الامريكي الجنرال جورج باتون امرا الى فرقة خاصة بتحرير بلدة هوستو من الالمان. وطلب بودايسكي العون من الجنرال باتون، فلبى هذا النداء بحكم كونه فارسا اشترك في الالعاب الاولمبية واظهر اهتماما كبيرا بهذه الافراس. وللحال وضع باتون خيول مدرسة الفروسية الاسبانية في حماية الجيش الامريكي وامر بنقل الافراس والمهار من هوستو الى النمسا. هذه البادرة النبيلة انقذت السلالة من انقراض شبه محقق.

شاعت في السنوات الاخيرة هواية المركبات التي تجرها الخيول مما فتح لافراس ليبيزانر مجالا جديدا. وقد ربح الحوذي المجري جيورجي باردوس وفريقه من افراس ليبيزانر القوية البطولتين الاخيرتين في اوروبا في آرا دوبان (فرنسا) وتزوغ (سويسرا) وبطولة العالم في وندسور (بريطانيا). وقال فكتور ماتياس مدير مزرعة ترويض الخيول المجرية في زيلفاشفاراد التي تختص بترويض نخبة افراس ليبيزانر على جر المركبات : "لهذه الخيول طاقة احتمال هائلة. وافراسنا يمكنها جر مركبة مسافة ١٠٠ كيلومتر في ٨ ساعات."

جورج بومان هو ابرز الحوذيين المحترفين في بريطانيا الذي يضم فريقه الامير فيليب زوج الملكة اليزابيت. وهو زار مزرعة زيلفاشفاراد حديثا وقال : "جئت في زيارة انتهت بشرائي احد هذه الافراس. وسرعان ما احببتها حتى عدت فاشتريت ثلاثة اخرى". وبومان هذا، الذي جاء ثانيا بعد باردوس في السباق الاخير لبطولة اوروبا، يصبو مع فريقه الى الفوز ببطولة العالم ١٩٨٤ في المباريات التي جرت في اغسطس (آب) في آبلدورن، هولندا.

وثمن فرس ليبيزانر الاصيل يراوح بين ١٠٠٠ دولار لمهر غير مروض في شهره السابع في مزرعة مونتيروتندو في ايطاليا و٧٢٠٠ دولار لفحل مروض

جزئيا عمره سبع سنوات في مدرسة الفروسية الاسبانية. والمدرسة لا تبيع الافراس المكتملة الترويض لانها لا تثمن. ويقول اندريه فرانيتش ان الفرس الاصيل هو الذي يثبت نسبه بالوثائق الكاملة حتى خمسة او سبعة اجيال على الاقل. وعندما ينفق احد الافراس في ليبيكا، تتلف وثائق نسبه.

من موطنها الاصلي في هضاب سلوفانيا حيث بدأت قبل اربعة قرون، انتشرت سلالة ليبيزانر حتى عمت القارات الخمس. وتحت شمس كيالامي الحارقة في جنوب افريقيا تقود كوكبة من الفرسان، كل افرادها نساء، ٢٤ فرساً من سلالة ليبيزانر في عرض اسبوعي على نمط عروض مدرسة الفروسية الاسبانية. كما ان افراس ليبيزانر هي نجوم السيرك السويسري الوطني، وتربح الجوائز بانتظام في المعرض الاوسترالي الملكي للخيول في كانبرا.

ويقر المفتنون والفرسان في كل مكان بأن الدكتورهنريك ليرنر، مدير مزرعة الخيول النمسوية في بايبر، هو اعلى مرجع ثقة في شؤون افراس ليبيزانر. فالى معرفته الواسعة بها، تنم كل كلمة يقولها فيها عن حب صادق لهذه المخلوقات. وهو يقول: "ان افراس ليبيزانر تحتاج بل تسعى الى الاتصال بالناس. انها توفر لنا البهجة العظيمة، ولكن علينا دائما ان نتذكر اننا لسنا اسيادها بل..." ويتوقف عن الكلام لحظة ليجد الكلمة المناسبة: "... شركاؤها."

■ جيف ديفيدسون



ما كل ما يتمنى المرء يدركه...

سُئلت ام لثلاثة أولاد مشاغبين: "اذا بدأت حياتك من جديد، فهل تنجبين أولاداً؟"
فأجابت: "نعم، ولكن ليس الأولاد أنفسهم".

د.ف.

كليلة ودمنة

شاهد رجل ببغاوين في محل لبيع الطيور، فسأل البائع: "كم هو ثمن هذا الببغاء الكبير الأحمر والأزرق؟"

ـ ثلاثة آلاف دولار، يا سيدي.

"غريب! لِمَ هذا الغلاء كله؟"

ـ انه متعدد اللغات، وهو يعرف الاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة.

"وما ثمن الآخر؟"

ـ سبعة آلاف دولار، يا سيدي.

"بحق السماء، أخبرني عن مواصفاته".

ـ ليس لديه أي مواهب خاصة على الاطلاق. لكنه رب العمل، والآخر موظف لديه.

ف.ش.

"كل ما حققته في دنيا الموسيقى انبثق من الالم."

خوليو ايغليزياس

خوليو ايغليزياس المطرب المعجزة

ما ان يظهر خوليو ايغليزياس على المسرح حتى يسيطر تماما على جمهوره. واذ يبتسم يلتمع خط من الاسنان البيضاء في وجهه الاسمر، فتصرخ الفتيات اعجابا. وحين يضع يده فوق قلبه كأنه يقول: "اعبدك،" يتنهد الكهول من جدود وجدات. وعندما يومىء باصبعه اشارة الى بدء اغنية، يرين على القاعة سكون تام. الموسيقى الحالمة في اغنيته "من اجلها" تعمق سحر المغني الشاب.



ووسط العزف المثير يرتفع صوته الحنون: "اليوم لا اقدر على العيش من دونها،" فيهيمن على القاعة جو لقاء حميم. يقول نجم الاوبرا بلاسيدو دومنغو: "يحقق خوليو مطمح كل مغن، سواء اكان تقليديا ام عصريا، اذ يستحوذ على القلوب." الاغاني العاطفية التي يقدمها هذا الاسباني البالغ من العمر ٣٨ سنة تبعث ثورة في المشاعر تعم العالم باسره. قلة من المطربين يمكنهما اداء

اغاني الوجد والحب المفقود باسلوب اروع من اسلوبه. والدليل على ذلك ان المعجبين به اشتروا خلال السنتين الماضيتين ٤٠ مليون نسخة من اسطواناته. وكانت له نحو ٤٠٠ حفلة غنائية في اكثر من ٢٥ بلدا. وهو احرز اكثر من ٤٠ اسطوانة ذهبية و٢٠ بلاتينية.

وفي اوروبا يبقى ايغليزياس المغني الاكثر شعبية منذ اربع سنوات. وقد وصفته صحيفة "فرانس سوار" الباريسية بانه النجم الرقم "١" في الثمانينات. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠ احيا حفلة عند سفح الهرم الاكبر في الجيزة حضرها الرئيس المصري الراحل انور السادات، وبعد ايام حقق نجاحا باهرا في العاصمة اللبنانية بيروت. ومع انه لم يسجل حتى الان مجموعة اغنيات باللغة الانكليزية، فهو ذو شعبية واسعة في اميركا الشمالية. انه النجم المفضل لدى الكنديين الناطقين الفرنسية. وفي الولايات المتحدة غنى ايغليزياس في حديقة ماديسون سكوير في نيويورك وملعب كرة القدم في اورانج باول في ميامي.

اما في امريكا اللاتينية فانه المطرب المفضل بلا منازع. وهو يقول متحدثا عن شهرته العالمية: "انا ما زلت في بداية الطريق."

خوليو ايغليزياس له كل الحق في ان يتباهى. فلولا ثقته بنفسه وشجاعته وارادته الخارقة لكان الان رجلا مقعدا مغمورا. ومن الغرابة ان سبيله الى النجاح بدأ بحادث سيارة.

ففي سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣، قبيل عيد ميلاده العشرين، كان خوليو يقود سيارته برفقة ثلاثة من اصدقائه في احدى الضواحي متوجها الى بيته في مدريد. وكان الوقت جاوز منتصف الليل حين دفعه هوس الشباب الى الانحراف عند منعطف حاد بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة. وانزلقت السيارة على حصى الطريق وانقلبت في حقل مجاور. وباعجوبة لم يصب احد من الرجال باذى، او هكذا تراءى لهم.

كان خوليو آنذاك طالبا في كلية الحقوق في جامعة مدريد. لكن شغفه الطبيعي كان بكرة القدم، فبنيته المتينة وقامته (١٧٨ سنتيمترا) ووزنه (٧٨ كيلوغراما) اهلته لان يغدو حارس مرمى ذا مستقبل باهر في فريق الناشئين لاحد اعظم فرق كرة القدم في اوروبا: ريال مدريد.

بعد الحادث بايام بدأ خوليو يشعر بآلام حادة ووخز عابر في صدره وخاصرتيه ترجفه وتضيق عليه تنفسه فقلق عليه والده الطبيب فعرضه على اختصاصيين في مستشفيات المدينة. لكن الصور الشعاعية لم تكشف اي علة. وشخص بعض الاطباء حاله بأنها عصب مرضوض فيما قال آخرون انها مجرد اوهام.

وذات ليلة من نوفمبر (تشرين

الثاني) عطس خوليو بقوة فارتج جسده ودهمه الم شديد افقده الوعي. ومرة اخرى لم تظهر الصور الشعاعية اي خلل صحي. ولكن بحلول عيد رأس السنة اصبح الالم مستديما. ونقص وزنه الى ٤٨ كيلوغراما ولزم الفراش. وكان يقضي الليالي مسهدا، فيجلس في فراشه قابضا على ركبتيه وعاضا شفتيه من الالم. ويقول شقيقه الاصغر كارلوس متذكرا تلك الفترة : "كان خوليو يتلاشى امام اعيننا."

في الاسبوع الثاني من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ جمع والد خوليو خمسة من ابرز اختصاصيي مدريد، وبينهم جراحو اعصاب، وسألهم والدموع تطفر من عينيه : "ما هي علة ابني؟" وبعد ساعة من المداولة اعلن الدكتور ريكاردو فرانكو مانيرا ما استقر عليه رأي المجتمعين، وهو ان العلة هي في العمود الفقري.

الحياة تستمر - في تلك الليلة ظهرت اولى علائم الشلل، وهي تعطل المثانة. وما ان انبلج الصباح حتى نقل خوليو الى المستشفى وهو مصاب بشلل جزئي في القسم السفلي من جسمه. وقال الاطباء ان الفحوص اظهرت ورما قد تكون صدمة السيارة زادته تفاقما. الا انه كان ورما غير خبيث يطوق الفقرة السابعة. واجريت للشاب جراحة واستؤصل الورم، غير ان خوليو عاد الى بيته وهو ما زال مشلولا من وسطه حتى قدميه. وفي رَأي بعض الاختصاصيين ان مستقبل مثل هذه الحالات لا يدعو الى التفاؤل لذلك فان خوليو قد يستعيد بعض قدرته على الحركة خلال بضع سنوات لكنه سيبقى كسيحا.

ولم يحسب احد حسابا للارادة الخارقة لهذا الشاب. وبناء على نصيحة جراح الاعصاب دأب خوليو على التدرب على ارسال موجات دماغية الى اصابع قدميه لتتحرك واحدة بعد اخرى. وكان يهتف لها ليلا نهارا محاولا تحريكها : "تحركي، تبا لك!" غير انها لم تتحرك. وهو يتذكر ذلك : "شعرت كأني عامل لاسلكي في سفينة غارقة."

بعد مرور شهرين على الجراحة سمع الاب والام والشقيق كارلوس مريضهم يناديهم : "تعالوا كلكم!" فهرعوا الى غرفته ليروه يشير منفعلا الى قدمه ويصيح بلهجة الظفر : "انظروا!" كانت ابهام القدم تنحني قليلا الى الامام مرة بعد اخرى.

منذ تلك اللحظة ايقن خوليو انه سيبرأ تماما.

لكن التحسن كان بطيئا والتمارين مرهقة. وادركت ممرضته انه سيعاني حالات كمد احيانا، فاهدت اليه غيتارا رخيص الثمن. واذ استلقى على ظهره عاجزا عن تنسيق حركات ذراعيه، اوقف الغيتار على صدره موجها ذراعه نحو السقف. وسرعان ما ادرك ان نقر الاوتار ينفي عنه القلق والضجر. والنقر اعقبته دندنة الحان

ثم محاولات خجولة للغناء. وهو سر كثيرا حين بدا له ان الاصوات التي صدرت عنه كانت جميلة حقا.

وبعد مضي اربعة اشهر على الجراحة تمكن خوليو من الوقوف ممسكا بالحواجز التي اقيمت له على جانبي الممر الضيق في البيت. ومرة حاول لاهثا ان يخطو. وخشي والده ان يكون الجهد فوق طاقته، فنصحه بأن يلزم الراحة. لكن خوليو اجابه: "يجب علي ان امشي يا ابي." وهو فعل ذلك حقا. وبعد نضال استغرق ٩٠ دقيقة، حقق خوليو خطوته الاولى في طريق الشفاء.

وهدفه الذي حرص دائما على تحقيقه كان ان يخطو كل يوم خطوة واحدة اكثر مما فعل في اليوم السابق. ومن اجل تقوية عضلات جسمه الاخرى كان يحبو على ارض الممر اربع ساعات او خمسا يوميا بلا توقف. وعندما انتقلت العائلة الى مصيفها في بانيسكولا على البحر المتوسط، جر خوليو نفسه على الشاطىء مستندا الى عكازين ودأب كل صباح على السباحة لثلاث او اربع ساعات مرهقة. وبحلول فصل الخريف ترك العكازين واستعان بعصا. وبعد اشهر القى العصا جانبا واخذ يسير يوميا مسافة عشرة كيلومترات.

استمر تقدم خوليو على طريق الشفاء. وفي ربيع ١٩٦٨ تخرج في كلية الحقوق، وكان يعتزم الانخراط في السلك الديبلوماسي. اما الموسيقى فبقيت بالنسبة اليه مجرد تسلية غير انه كان وضع اغنيته الاولى "الحياة تستمر على الدوام" التي ربما كانت من وحي معاناته الطويلة ووحشته في فترة نقاهته، وهي تقول:

قليلون هم الاصدقاء الحقيقيون.
كثيرون يمتدحونك وأنت قوي،
ولكن حين تسقط ستدرك حقا
ان المخلصين يبقون ويختفي مدعو المحبة.

ببعض تردد وخشية وافق خوليو على انشاد هذه الاغنية في شهر يوليو (تموز) من تلك السنة في اهم تظاهرة للموسيقى الشعبية في اسبانيا، وهي "مهرجان بانيدورم السنوي للاغنية." وهكذا خسرت اسبانيا ديبلوماسيا ناشئا. فقد نال خوليو الجائزة الاولى،وراجت اغنيته في اسبانيا كلها ثم غدت عنوانا لفيلم سينمائي اسباني يتناول حال الشلل التي اصابته ومثل هو دور البطولة فيه. وهكذا اضحى، فجأة ايضا، نجما سينمائيا.

عام ١٩٧٠ مثل خوليو بلاده في مهرجان "اوروفيزيون" وغنى امام ٣٠٠ مليون مشاهد على شاشات التلفزيون. القطعة التي قدمها واسمها "غواندولين" لم تنل الجائزة الاولى، لكن الاسطوانة التي سجلت عليها راجت في اوروبا كلها، وفي اسبانيا وحدها بيع منها ٢١٠ آلاف نسخة.

بلوغ القمة - شهرة ايغليزياس العالمية جاءت بطيئة. وقبل ان يجتاح امريكا اللاتينية كان عليه ان يكسب الجماهير القروية التي كانت تسأل : "خوليو من؟" وفي العام ١٩٧١ وجد نفسه في بناما فقيرا معدما ينام على مقاعد الحدائق العامة. لكنه لم يشك لحظة في ان اياما سعيدة مقبلة عليه، فجهوده لاستعادة صحته زرعت في نفسه رفضا للتخاذل امام الصعاب او التخلي عن اي حلم يصبو اليه.

وفي ١٩٧٢ جاءت قطعته "اغنية الى غاليسيا" لتضع حدا لايامه الحالكة. النغمات النابضة بالايقاعات التقليدية في تلك الاغنية روجتها للحال في اوروبا وامريكا الجنوبية. ثم اعقبتها اغان اخرى حققت كلها نجاحا باهرا. وفي ١٩٧٤ اطلق خوليو مجموعة اغنيات دعاها "مانويلا" وبها اصبح المغني الاسباني الاول الذي حصل على جائزة الاسطوانة الذهبية في فرنسا. وفي اواسط السبعينات جعلته مجموعتاه "الى المكسيك" و"امريكا" معبود هواة الموسيقى الحديثة في القارة الامريكية.

منذ ظهوره في مهرجان "بانيدورم" دارت اغاني ايغليزياس حول احلام الحب المفقود. وهو يقول في ذلك : "الناس يحبون الخاسر." وتقول المخرجة التلفزيونية الفرنسية ماريتي كاربنتييه التي انتجت برامج خاصة عن هذا المغني : "يجسد خوليو صورة العاشق اللاتيني الذي لا يحظى بفتاته. وهذا ما يجعل النساء يتشوقن الى مواساته."

لكن الجاذبية الجسدية لا تكفي وحدها لارواء ظمأ المستمعين. ويقول خوليو : "هناك رجال ونساء وفتيان وفتيات بين الجمهور اساعدهم انا في خلق شعور مشترك ينطلق من ذكرياتهم العاطفية." وذات مرة، بعدما قدم حفلة غنائية في "مار دل بلاتا" في الارجنتين، اهدى اليه زوجان خاتما من الماس تعبيرا عن امتنانهما. فهما كانا على وشك الانفصال، كما قالت الزوجة، لكنهما تصالحا بتأثير الحنان والشوق اللذين تبثهما اغنياته.

ويرفض خوليو الافصاح عن مقدار ما يضع في اغانيه من تجاربه الشخصية. لكنه يقر بان هناك "صدقا كثيرا" في اغنيته "نسيت ان اعيش" التي اذيعت عام ١٩٧٨ قبيل طلاقه من ايزابيل بريسلر الفيليبينية الجميلة ام اولاده الثلاثة التي بقيت زوجة له طوال ثماني سنوات.

ويصف خوليو تحطم زواجه في سيرته الذاتيةالتي نشرت بعنوان "بين الجنة والنار" قائلا انه كارثة تكاد توازي اصابته بالشلل. فهو غرق في حال من الانقباض النفسي والخيبة في الحياة. وكان عليه بذل جهد "يفوق طاقة الرجال" ليواجه جمهوره من جديد. كان يشعر احيانا ان ساقيه شلتا ثانية، لكن طبيبا نفسانيا اخبره ان ما يعانيه ليس

سوى اوهام، ونصحه قائلا : "اغرق نفسك في العمل كما لم تفعل من قبل. استمر في ما عزمت عليه حتى بلوغ القمة."

منذ تلك اللحظة احس خوليو ان حاله تحسنت، واتبع نصيحة الطبيب بجد اعاد اليه ذكرى علاجه الذاتي قبل ١٤ سنة : كل يوم خطوة اكبر من اليوم السابق.

عام ١٩٧٨ وقع خوليو عقدا مغريا وطويل الاجل مع شركة اسطوانات "سي.بي.اس." العالمية، وهو الان اكثر فناني الشركة بيعا، وهي التي تضم اسماء مشاهير مثل بربارة سترايسند وبوب ديلان ونيل دايموند.

ويعنى خوليو بأدق التفاصيل، وهو يقضي بلا كلل مدة قد تطول ستة اشهر في تسجيل اسطوانة في استوديوهات "كريتيريا" في ميامي. فيغني اولا بالاسبانية ثم بالفرنسية فالايطالية فالبرتغالية فالالمانية. كما يخصص ساعات طوالا استعدادا لمجموعته الانكليزية الاولى التي، اذا قيض لها النجاح، سترفع شهرته الى اوج يقر هو بأنه "يبعث الرهبة في نفسي."

ومع ان خوليو موهوب في تعلم اللغات، فان جلسات التسجيل بلغات متعددة مرهقة جدا. وهو يهتم بنوع خاص لعبارة "احبك" حتى بالاسبانية، ويقضي اكثر من ساعة مرددا هذه العبارة في جلسات التسجيل الى ان تأتي مشبعة بكل العاطفة الحسية التي يريد التعبير عنها.

يفرغ خوليو من جلسات التسجيل التى تستغرق ٧ ساعات يوميا عند الاولى بعد منتصف الليل. وبعد دقائق يصل الى بيته الفخم في خليج ميامي حيث يعيش مع امه. اما والده فيأتي كلما سنحت له اجازة من مستشفى التوليد في مدريد حيث يعمل.

لم يعد خوليو يشعر بأي آثار للمرض الذي اقعده ذات يوم. وحين يستعيد ذكريات ايامه السوداء، فانه يجد فيها الكثير مما يحمله على الامتنان، اذ يقول : "كل ما حققته في دنيا الموسيقى انبثق من ذلك الالم."

في صحته وسعادته وشهرته اليوم يقدم خوليو ايغليزياس برهانا حسيا على صدق الحكمة التي تضمنتها اغنيته الاولى "الحياة تستمر على الدوام" حيث يقول :

هناك دائما سبب لان تعيش
وسبب لان تناضل.

■ راوول فاسكيز دي بارغا



أحيانا لا أجرؤ على النظر الى لوحاتي التي وجهتها نحو الجدار، لأني أخشى أن أقع على مسخ مخيف وكان ما ظننته تحفة رائعة.

الرسام كميل بيسارو

آريان كسب

الرهان الأوروبيّ

دخلت اوروبا حلبة السباق الفضائي وهي الآن القوة الرئيسية الثالثة في الفضاء

في التاسع عشر من شهر يونيو (حزيران) ١٩٨١ تجمع في مركز كورو في غويانا الفرنسية قرابة ستمئة فني فرنسي لاطلاق الصاروخ الاوروبي "آريان". وفي الثانية والدقيقة الثانية والثلاثين بدأ الصاروخ البالغ طوله ٤٧ متراً قذف الدخان واللهب مرتفعاً في خط عمودي مستقيم. وبعد ٤٣ ثانية مال الصاروخ شرقاً فوق المحيط الاطلسي متوارياً عن الانظار. كل شيء سار كما هو مقرر: انفصال أجزاء الصاروخ الثلاثة فاطلاق القمر الاصطناعي الاوروبي "متيوستات ٢" المعد لمراقبة الاحوال الجوية، فالقمر الهندي "التفاحة". لقد كان ذلك اليوم تاريخياً للثلاثة آلاف أختصاصي أوروبي الذين أشتركوا في هذا البرنامج، اذ هو توج تسع سنوات من الجهد. الا أن هذا الانتصار بدا باهتاً اذا ما قورن بالمكوك الامريكي

آريان ينطلق في ٢٤/١٢/٧٩ من مركز كورو في غويانا CSG «optique»

"كولومبيا" الذي سبق ان اطلق، قبل ذلك التاريخ بشهرين والذي يمكن اعادة استعماله ذهاباً واياباً. فهل ارتكبت اوروبا خطأ فادحاً بانتاجها صاروخاً يصلح للمتاحف؟

ما هي قصة "آريان"؟

عام ١٩٦٢ اتفقت عشر دول اوروبية على صنع صاروخ ذي ثلاث مراحل يدعى "اوروبا." ولكن بينما كان هذا المشروع يتعثر، كان الامريكيون يسيرون على القمر. وفي ١٩٧١ شرع الامريكيون في تصميم "كولومبيا" المشروع الجديد باحداث ثورة في الرحلات الفضائية.

الالمان والفرنسيون — اصيب الالمان بالخيبة لفشل "اوروبا" وقالوا: "من الافضل ان تطلق ادارة الفضاء القومية صواريخها،" اي اوروبا. فلم يوافق الفرنسيون على ذلك الاقتراح. وفي ربيع ١٩٧٢ بدأ عدد من العلماء التخطيط في المركز الوطني لابحاث الفضاء في فرنسا لمشروع فضائي جديد. وشعروا ان هذا المشروع يمثل حاجة سياسية اذا ما شاءت فرنسا ان يكون لها دورها في الفضاء. وقال مدير المركز القومي لابحاث الفضاء، ايف سيّار: "ان اوزان معظم الاقمار الاصطناعية التي تحتاج اليها اوروبا في السنوات المقبلة ستكون الف كيلوغرام او اكثر. ويجب ان تكون من النوع الذي يبدو ثابتاً بالنسبة الى الارض بحيث يدور بسرعة تساوي سرعة دورانها. وهذا الامر لن يتحقق الا اذا وضعت هذه الاقمار في مدارات يبلغ ارتفاعها ٣٦ الف كيلومتر. ولذا كان هدفنا تصميم الصاروخ القادر في آن، على اطلاق الاقمار الى مدارات مرتفعة جداً ووضع الاقمار الثقيلة في مدارات منخفضة."

وساعد الدماغ الالكتروني في ولادة الصاروخ "آريان" ذي المراحل الثلاث والبالغ وزنه ٢٠٧ اطنان. واختار له الفرنسيون التقنية الناجحة ذات التكاليف المعقولة، ولذا كانت المرحلة الثالثة في "آريان" والمزودة بمحرك مبرد (بالاوكسيجين والهيدروجين)، هي الوحيدة التي اعتمدت فيها تقنية معقدة.

وتوضع الاقمار الاصطناعية في "قلنسوة" على رأس الطبقة الثالثة من الصاروخ والمصممة لحمل ثقل، في البداية، يصل الى الف كيلوغرام على ان يزاد ذلك في المستقبل. وتبلغ تكاليف التصميم والبناء والاطلاق لاربعة نماذج مطابقة للاصل ٢،٠٦ مليار فرنك محسوبة على اساس اسعار العام ١٩٧٣ (٥ مليارات بالاسعار الحالية). وتوقعت الخطط انجاز هذا الصاروخ في فترة تراوح بين ست وسبع سنوات.

ولضمان وجود "زبائن" لهذا الصاروخ، اصر الرئيس الفرنسي آنذاك جورج بومبيدو على ان يكون هذا المشروع اوروبياً مشتركاً. ولهذه الغاية انعقد في ٣١ يوليو (تموز) ١٩٧٣ اجتماع لوكالة الفضاء الاوروبية ووقع ممثلو عشر دول العقد المتعلق ببرنامج "آريان". وتوزعت المساهمات في المشروع كالآتي: فرنسا ٦٣،٨٧ في المئة، المانيا الغربية ٢٠،١٢ في المئة، بلجيكا ٥ في المئة، على ان توزع بقية التكاليف بين هولندا وبريطانيا واسبانيا

وسويسرا واسوج والدانمرك وايطاليا. وقدر عدد الشركات الاوروبية التي ستشارك في تنفيذ المشروع بثمانين.

وتجنباً للاخطاء التي رافقت مشروع "اوروبا" فقد عين مدير واحد للمشروع. وحدد شهر يوليو (تموز) ١٩٧٥ موعداً للاطلاق التجريبي الاول لـ"آريان".

فرصة "آريان" الذهبية – في نهاية ١٩٧٧ كان مكوك الفضاء الامريكي لا يزال متأخراً جداً عن التاريخ المحدد له. وفسح ذلك المجال امام "آريان" لاثبات نفسه والفوز بمركز قيادي في سوق الاقمار الاصطناعية. وفي ابريل (نيسان) ١٩٧٨ اتفق الشركاء في البرنامج على تمويل صنع ستة صواريخ تجارية بعد انجاز تجارب الاطلاق الاربع.

ومن خط "آريان" ايضاً انه في هذا الوقت كانت شركة "انتلسات" التي تضم اهم المستعملين للاقمار الاصطناعية تبحث عن صاروخ لاطلاق السلسلة الجديدة من اقمار الاتصالات البعيدة المدى. وكانت واشنطن المقر الرئيسي لهذه الشركة التي تحتكر الاتصالات بين القارات بواسطة الاقمار الاصطناعية. وبدا واضحاً ان كبار المساهمين في هذه الشركة لم يكونوا راغبين في السماح للغرباء بغزو اسواقهم. الا ان الاوروبيين كانوا اعدوا انفسهم لهذه الغزوة: ان الصاروخ الاوروبي مصمم لاطلاق الاقمار الاصطناعية الى مدارات مرتفعة بينما تعجز "كولومبيا" عن ذلك. فلارسال قمر اصطناعي ثابت، بالنسبة الى الارض، تستطيع "كولومبيا" ان ترتفع بالقمر الى علو ٣٠٠ كيلومتر حيث تتركه يندفع بالوقود الصلب المزود به محركه الى العلو المطلوب والبالغ ٣٦ الف كيلومتر. وكان هذا احد نقاط الضعف في "كولومبيا" بالاضافة الى ان تصويب "آريان" كان اكثر دقة، وخلال الاعوام السبعة من عمره يستمر القمر الاصطناعي في تعديل موقعه بواسطة محرك صغير مصمم للتحكم بالارتفاع. ويقول الخبراء ان عمر القمر الذي يطلقه "آريان" يفوق عمر غيره بستة اشهر او بعام كامل.

الا ان ثمن "آريان" يقلل من اهميته، اذ يبلغ ٣٤ مليون دولار بينما ثمن "كولومبيا" ٢٤ مليوناً. ولذلك اقترح الاوروبيون على شركة "انتلسات" ثمنا مبدئيا للصاروخ الواحد يبلغ ٢٥،٣ مليون دولار.

وفي مايو (ايار) ١٩٧٨ حدث انفجار في اثناء تجربة اطلاق المرحلة الثالثة من "آريان" مما اجل التجربة الاولى مدة ستة اشهر. وفي الوقت نفسه كان "المكوك" الامريكي يعاني صعوبات كبيرة ابرزها الصاق ٣١ الف قطعة من السيليكون لحماية "كولومبيا" من الاحتراق لدى دخولها ثانية الغلاف الهوائي. وهذه العملية دقيقة ومعقدة. "ان شئتم ان تطلق اقماركم في الوقت المحدد – قال فردريك داليست ممثل المركز القومي لابحاث القضاء – اشتروا الاريان." لقد كانت لهذا القول اهميته. فكل شهر من التأخير يكلف الشاري مليون دولار. وفي الخامس عشر من فبراير (شباط) ١٩٧٩ طلبت شركة "انتلسات" اطلاقا واحدا من وكالة

آريان يطلق القمر العربي الأول

بعد عامين يتحقق حلم عربي عمره ٣٠ عاماً، ففي شهر فبراير (شباط) ١٩٨٤ سيطلق الصاروخ الاوروبي "آريان" واحداً من قمرين اصطناعيين عربيين يكونان فاتحة عهد جديد للاتصالات اللاسلكية بين العالم العربي والعالم الخارجي، فضلا عن الاتصالات بين بلدان المجموعة العربية نفسها.

وكانت هذه الفكرة ولدت في العام ١٩٥٣ بقرار من الجامعة العربية وعززها قيام الاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية في ١٩٥٨.

وبذلت جهود حثيثة بين العام ١٩٦٧ و١٩٧٠ في نطاق مؤتمر وزراء الاعلام العربي الذي انعقد في تونس (١٩٦٧) والاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية وادارة المواصلات في الجامعة العربية اضافة الى سيونيسكو. وتركزت هذه الجهود على ضرورة استخدام الاقمار الاصطناعية لنشر المعلومات الصحية والاجتماعية والثقافية وتنمية الاتصالات الهاتفية والبرقية والتلكسية وتوفير وسيلة للربط التلفزيوني بين مختلف اقطار العالم العربي.

وفي العام ١٩٧٦ وافقت الجامعة العربية على مشروع لاطلاق قمر أصطناعي عربي، وأنشئت لهذه الغاية المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية التي تعرف بـ"عربسات" والتي اتخذت من مدينة الرياض السعودية مقراً لها.

وفي ربيع ١٩٨١ وقع المدير العام لـ"عربسات" السيد علي المشاط عقداً مع شركة "آيروسبسيال" الفرنسية، تتولى بموجبه هذه صنع ثلاثة اقمار اصطناعية، اثنان يطلقان وواحد يبقى احتياطاً، وبلغت قيمة هذا العقد ١٣٥ مليون دولار.

وتتوقع "آيروسباسيال" تسليم القمر الاول اواخر العام ١٩٨٣ على أن يطلق من قاعدة غويانا الفرنسية في أمريكا الجنوبية في فبراير (شباط) ١٩٨٤ بواسطة الصاروخ الاوروبي "آريان".

ماذا سيفيد العالم العربي من قمره الاصطناعي؟

أن القمر العربي سيفسح في المجال لاتصالات غير محدودة بين الدول العربية، اذ يضم كل قمر ٢٦ قناة مما يوفر، حسب الخبراء، ٨ الآف دائرة هاتفية و٧ قنوات تلفزيونية منفردة وواحدة مشتركة، ويؤمن الهاتف والالتقاط التلفزيوني لكل مناطق العالم العربي، خصوصاً النائية منها.

ويقول المهندس اللبناني موريس غزال رئيس هيئة التخطيط العالمية التابعة للاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية: "أن الدوائر الهاتفية من شأنها تسهيل الاتصالات بين الدول العربية وبين هذه والعالم الخارجي بكلفة تقل بنسبة ٣٠ في المئة عن الكلفة الحالية، كما أنها تجعل استعمال التلكس اكثر شيوعاً مما يوسع مجال الاتصال خصوصاً في حقل الاعمال (...) أما القنوات التلفزيونية فانها تمكن الدول العربية من بث البرامج والتقاطها ومتابعة اهم الاحداث العالمية السياسية منها والرياضية".

ويضيف أن في الامكان رفع عدد الدوائر الهاتفية في القمر العربي الى مئة الف بين العامين ١٩٨٥–١٩٨٦.

الفضاء الاوروبية، وحجزت اثنين آخرين للعام ١٩٨٣.

بداية النجاح – في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٩ انجزت الترتيبات لاطلاق "آريان" البكر. وتقرر ان يطلق "آريان" جهازاً فنياً الى الفضاء لتسجيل المعلومات المتعلقة بطريقة ادائه. وراقب الملايين "آريان" عبر التلفزيون وهو يرتفع بجلال في الفضاء. لقد كان ذلك انجازاً ناجحاً تماماً.

لم يكن اطلاق الصاروخ الثاني الا مجرد عمل شكلي بعد نجاح الاول. وقد اطلق الثاني في مايو (ايار) ١٩٨٠، ولكن بعد ستين ثانية من اطلاقه انفجر احد محركات المرحلة الاولى فترنح الصاروخ وابتعد عن مساره وسقط في البحر.

"لقد اطلقت فرنسا غواصة." هكذا قالت الصحف الباريسية في احدى افتتاحياتها. واعتقد كثيرون ان مستقبل "آريان" التجاري غاص معه

في الماء. ولو الفت شركة "انتلسات" طلبها آنذاك لامكن تفهم موقفها، على ان هذه الشركة تصرفت نقيض ذلك اذ أبدلت الخيارين السابقين بطلب مثبت على ان تكون كلفة الاطلاق الاول ٤٧،٥ مليون دولار والثاني، في حال نجاحه، ٢٨،٤ مليوناً. وقال داليست: "يعرف الامريكيون ان الاخفاقات شأن طبيعي. ان افضل صواريخهم المسماة "تور ـ دالتا" مثلا فشل في تجاربه السبع الاولى."

وبعد شهرين من البحث والتدقيق تبين ان عدد ارتجاجات الحاقن للوقود كانت مساوية للارتجاجات المرتفعة لكثير من اجزاء المحرك، مما يترك اثراً شبيها بالأثر الذي يتركه سير جنود فوق جسر اذا كان ايقاع خطواتهم يتجاوب مع ارتجاجات الجسر الطبيعية، مما قد يتسبب في تهاوي الجسر. وقد نجح العلماء، بعد خمسين تجربة، في التخلص من هذه الارتجاجات المؤذية. وفي ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٨١ نجح "آريان" في الانطلاق من دون مفاجآت. وكانت آخر تجربة ناجحة لاطلاقه تمت في ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١. واصبح "آريان" جاهزاً للتسويق التجاري، كما كان مقرراً، في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢.

وفي هذا الوقت اصبح لدى مصممي الصاروخ الاوروبيين ٢٥ طلباً اكيدة وسبعة عشر خياراً لغاية عام ١٩٨٥ بمردود مالي يقدر بـ٤،٤ مليارات فرنك. والى زبائنها الاوروبيين وشركة "انتلسات" ربحت الوكالة الاوروبية زبائن من الشرق الاوسط وكولومبيا واوستراليا، فضلا عن الشركة الامريكية العملاقة "آر.سي.آي." وتستمر الاتصالات مع شركات امريكية اخرى ومع الحلف الاطلسي لمرحلة ما بعد العام ١٩٨٥.

ويعتقد سيار ان الصاروخ سيستأثر بما بين ٢٥ و٣٠ في المئة من اسواق الاقمار الاصطناعية خلال العقد المقبل حيث سيتم اطلاق ما يقرب من ستين قمراً اصطناعياً لاغراض مختلفة.

ان قدرة "آريان" على منافسة المكوك الامريكي تعتمد على ثمنه. وقد اقترح الكونغرس الامريكي جعل ثمن المكوك بعد العام ١٩٨٥ متناسباً مع نفقاته مما يرفع ثمن "كولومبيا" بمقدار ٥٠ في المئة. في الوقت نفسه يتنبأ المركز القومي لابحاث الفضاء بخفض كبير في تكاليف "آريان" مما يؤهله لدخول ميدان المنافسة.

وفي التسعينات سيصبح في وسع "آريان ـ ٥" اطلاق ما زنته ١٠ آلاف كيلوغرام الى مدار منخفض و٥،٥٠٠ كيلوغرام الى مدار مرتفع. وسيكون الصاروخ مستعداً ايضاً لاطلاق مكوك صغير يمكن استعماله مرات عدة. كذلك اطلاق مركبة فضاء تدعى "هرمس" تحمل ثلاثة ملاحين و١٥٠٠ كيلوغرام من المعدات والاجهزة.

"ان الشركاء الاوروبيين فخورون ببرنامج آريان - يقول مدير وكالة الفضاء الاوروبية - لقد تأكدوا ان لآريان الفضل في تحسين الوضع المتأخر للقارة الاوروبية بالنسبة الى الابحاث الفضائية وان اوروبا لتعتز الان بانها اصبحت القوة العالمية الثالثة في الفضاء."

■ كاترين غاليتزين

اشتركوا في هذا اليانصيب و اربحوا

١٨٨ مليون مارك

أضخم يانصيب
من نوعه في أوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون ، لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ

- عدد البطاقات المبيعة ٥٠٠ الف فقط ،
- من هذه البطاقات : هناك ٣٤١٥٨٨ بطاقة رابحة حتما ،
- تقريبا : نصف البطاقات المبيعة لها حظ في الفوز بجوائز ،
- الربح الاجمالي هو ١٨٨،١٢ مليون مارك الماني ،
- هناك اربع جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك ،
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك ،

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" اسس قبل ٢٥٠ سنة ،

ولاكثر من ثلاثين سنة ، جعل من امثالك أصحاب ملايين ، ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة ،

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية ، بل الى المشتركين انفسهم ، وغني عن القول ان المارك الالماني هو من اقوى العملات العالمية واكثرها استقرارا ،

الضمـــان

يضمن دفع المبالغ المدونة ادناه
في الدورة الواحدة (نصف عام)

٢ × ١،٥ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٤ × ١ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٢ مليون	= ٦٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ٢٥٠٠٠٠ مارك	= ٢٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ١٠٠٠٠٠ م	= ٢٤٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ٨٠٠٠٠ م	= ٩٦٠٠٠٠ مارك
٢٠ × ٦٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ٥٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٨ × ٤٠٠٠٠ م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٥٠٠٠ م	= ٧٥٠٠٠٠ مارك
٣٦٤ × ١٠٠٠٠ م	= ٣٦٤٠٠٠٠ مارك
٥٦٠ × ٥٠٠٠ م	= ٢٨٠٠٠٠٠ مارك
١٩٠٠ × ٢٥٠٠ م	= ٤٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٠٠ × ٢٠٠٠ م	= ٤٠٠٠٠٠ مارك
١٠٠٠٠٠ × ١٥٠ م	= ١٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٠٠ × ١٢٥٠ م	= ٢٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٣٣٦٤٠٠ × حتى ١٠٠٠ م	= ١٣٦٤٠٠٠٠٠
٣٤١٥٨٨ جائزة مجموعها	١٨٨،١٢٠،٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا ، وهي معفاة من الضرائب الالمانية ، لكن الشركة ، في الوقت نفسه ، تحظى بدعم الحكومة التام ، وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة او اكثر ،

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة ، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكوميا ، ويجري السحب علنا وقانونيا ،

غريغور — فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحب واحد لكل يوم سحب على مدار نصف سنة ، يجري عدد السحوبات مكررا على جميع البطاقات ، وترسل النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة ، مرفقة بمعلومات وافية عن تواريخ السحوبات والجوائز المرفقة ،

وفي امكان المشترك شراء بطاقة كاملة او نصف بطاقة او ربع بطاقة ، فيكون نصيبه من الجائزة معادلا لذلك ، ويساوي جميع الارقام في الخط ،

يانصيب في متناول الجميع!
بسيط كلعب الاطفال!

- لكي تحصل على بطاقة ، املأ القسيمة في اسفل الصفحة او اكتب الينا من غير قسيمة محددا طلبك ،
- عليك ان ترفق طلبك بحوالة مصرفية او بريدية او بشيك شخصي او بشيك سياحي بالمبلغ المحدد ،

ويمكنك ان ترسل المبلغ نقدا ، ولكن يستحسن ادراجه داخل الرسالة البريد المضمون (المسجل) ،

- تتسلم في المقابل بطاقتك مرفقة بمعلومات وافية عن هذا اليانصيب ،
- تتسلم ايضا لائحة دورية بالارقام الرابحة ،

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية ،
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك ،

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية ، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين ، فهذا من حق صاحب العلاقة وحده ،

خدمة حول العالم
اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان ، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة ، والرجاء ، في هذه الحال ، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا ، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة ،

لا تنتظر — اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود ، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا ،

YES **I want to be with it and am ordering:**
for the next SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE
Starting May and November every year

tickets as	DM	or US$	or £	
☐ 1/1 tickets at	720.-	360.-	180.-	each
☐ 1/2 tickets at	360.-	180.-	90.-	each
☐ 1/4 tickets at	180.-	90.-	45.-	each
☐ Lucky Letter at (= 4 quarter-tickets, each with a different number)	720.-	360.-	180.-	each

One time additional fee for winning lists, postage, bank charges, and handling!
DM 24.- / US $ 12.- / £ 6.- (add to the above)

Payments received in currencies other than US$, DM or £ will be credited to yo account in accordance to the exchange rate of the day. The prices quoted are cov ing the ticket for one complete cycle comprising all six classes, and the additio fee is a one-time expenditure, too.

Make all checks and orders out to: W GREGOR, Postfach 11 07 53, D-6000 Frankfurt/M.

☐ I enclose my check / for DM / US$ / £ ______
☐ I will make payment immediately after receipt of ticket(s) and your invoice

Send information in ☐ German ☐ English ☐ French ☐ Spani

☐ Mr.
☐ Mrs. ______
☐ Miss

Street address (or P O Box No) ______

City (postal code No) ______

Country ______ Please print or type all entri

RD.AB. 9/82



حديقة أفكار

- القراء نوعان: واحد يقرأ ليحفظ وآخر يقرأ لينسى.

و.ل.ف.

- في العالم الصغير الذي ينمو الاطفال ضمنه: لا شيء يعذب أذهانهم الفتية أكثر من فكرة الظلم.

تشارلز ديكنز

- من يغرس الاشجار لا يقتصر حبه على ذاته بل يتعداها الى الآخرين.

مثل انكليزي

- في الحرب السلامة غنيمة.

ح.ن.

- تنمو أضراس العقل عند الانسان متى بدأ يعض لقمة أكبر مما يمكنه مضغه.

هـ.ك.

- المقدرة على الضحك سوياً هي جوهر الحب.

فرنسواز ساغان

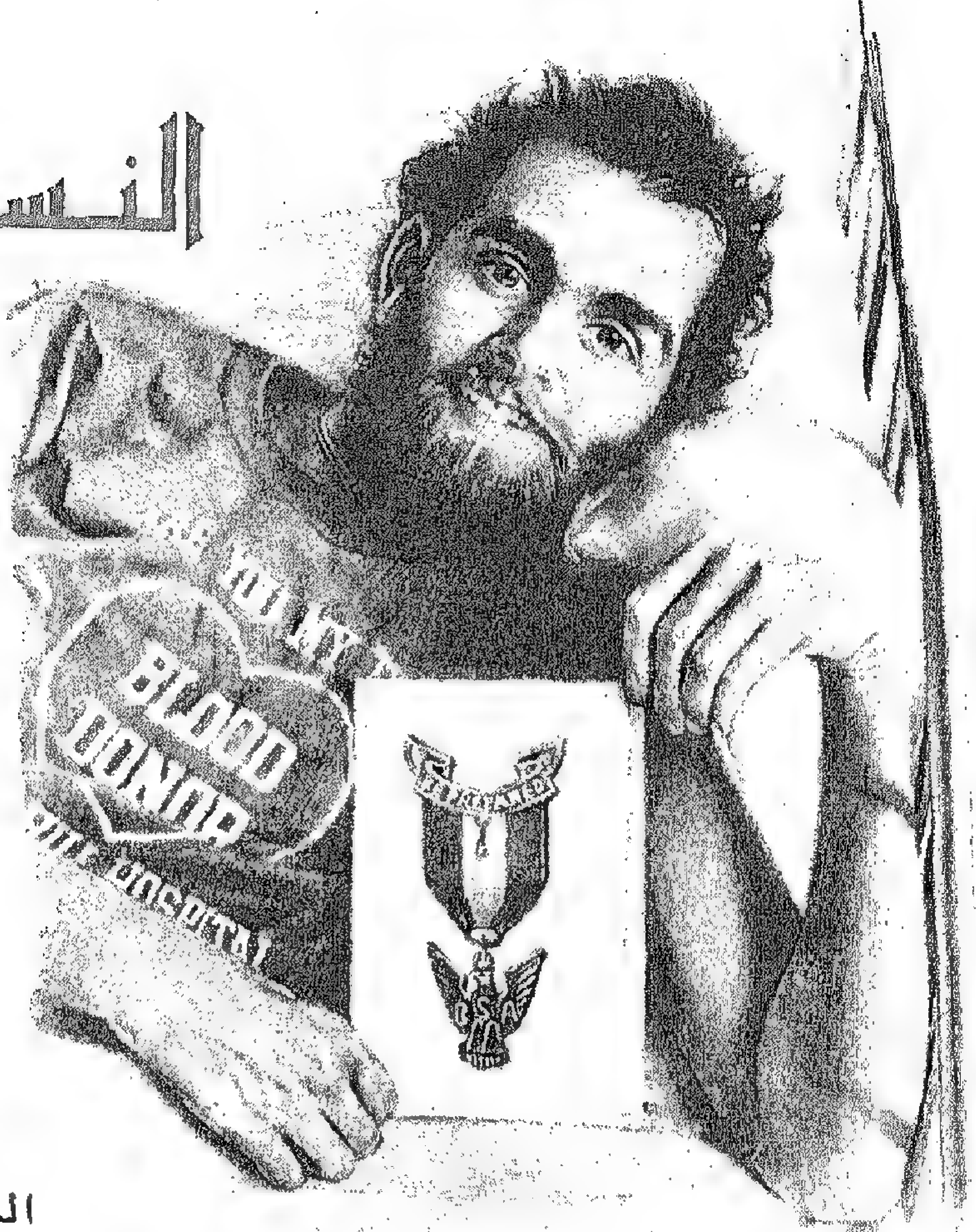
- ما يحتاج اليه البستاني هو ظهر من الفولاذ مع مفصلة في وسطه.

ش.د.و.

- الوارثة ليست سوى بيئة مخزونة.

ل.ب.

النسر



صراعه ضد الموت
كان مريراً،
لكنه توج هامة
الحياة باكليل نصر

اذا كان المرء يعمل في مستشفى، فهو يحاول تحصين نفسه ضد العذاب. لكنه لا يلبث أن يصادف من يخترق حصونه ويدخل حياته، جاعلا لها معنى. وبالنسبة إلي، كان اسم ذلك الدخيل جون هانكي.

كان جون نزيل قسم الاحداث في مستشفى لينوكس هيل في مدينة نيويورك، وقد أصابه نوع غريب من سرطان العظم اوجب بتر رجله اليسرى في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠. وسمعتُ به خلال الجراحة التي اقتضت اعطاءه كميات كبيرة من الدم.

وجاءت احدى المتطوعات، اليانور غرينفيلد، الى قسم التبرع بالدم حيث أعمل سكرتيرة، وقالت: "ثمة ما

يدهشني في هذا الفتى. ففي عينيه الزرقاوين عمق وهدوء يبدو معهما أكبر كثيراً من سنه الحقيقية، وهي سبعة عشر عاماً."

ولما دعتني اليانور الى مشاهدة جون معها، ترددت. ذلك أني، طوال أربع سنوات أمضيتها في مركز سلون - كيتيرينغ للسرطان في مدينة نيويورك، تألمت كثيراً لرؤية أحداث يصارعون السرطان، فيقهره بعضهم ويقهر هو آخرين. ولم أشأ تعريض نفسي لهذه الهزات من جديد.

إلا أن الفضول دفعني الى زيارته في أواسط شهر يناير (كانون الثاني). وما أن عرفته باسمي حتى بادرني بضحكة خبيثة: "آه! لقد أخبرتني اليانور عنك. لا شك في أن وصولك الى هنا استغرق طويلا."

وباشرنا الحديث. وركز جون على رغبته القوية في الحصول على لقب "نسر" من فرقة الكشافة التي ينتمي اليها، وهو أرفع لقب تمنحه الكشافة لفتى في هذه السن. ولما هممت بالانصراف، وقف على عكازيه وقال: "النسر هانكي سيرافقك الى المصعد الآن."

وضحكت وأنا أقول: "ربما زرتك غداً."

- سأكون هنا!

لكني كنت منهمكة في الاسابيع التالية. فالقسم كان يحتاج الى كمية دم كبيرة. ورحنا، يوماً بعد يوم، نبث نداء بمكبرات الصوت في أرجاء المستشفى يدعو الناس الى التبرع.

حملة من السرير - ذات عصر سأل جون عني. وهو كان يعاني نكسة صحية بعد ظهور أورام في رئتيه وأسفل ظهره. ودخلت عليه، فبادرني بالآتي: "لقد استأنفوا معالجتي بالاشعة. وأحياناً يبدو لي أني لن أستطيع تحقيق الشروط التي تخولني نيل اللقب."

وأوضح لي أن الشرط الرئيسي الاخير هو تنفيذ عمل اجتماعي بناء: "لقد طرأ لي أن أخدم المستشفى عبر حملة للتبرع بالدم. وبهذا أرد شيئاً مما أعطيتموني. وهدفي هو الحصول على مئة عينة من التبرعات الجديدة."

ودُهشت لما سمعته، وأجبت: "تعني مئة متطوع جديدين يا جون؟ لقد عملتُ هنا طويلا، وأظن أن هدفك مستحيل."

لكنه أردف بمكر: "مما تبثه مكبرات الصوت أفهم أنكم تحتاجون الى كل قطرة دم ممكنة."

في الايام القليلة اللاحقة عانى جون ضيقاً في النفس وألماً مبرحاً في الظهر. إلا أن مرشد المستشفى جوزف بورجوا حثه على قيادة الحملة من سريره. وبعد حصوله على اذن الادارة لمباشرة حملته، دعاني جون وقال: "أود أن أُملي عليك رسالة، هذه هي:

اسمي جون هانكي وعمري ١٧ سنة. وقبل سنة أصابني سرطان في العظم. لقد أمضيت ردحاً من فتوتي في فريق كشفي، وأود الآن أن أكسب لقب "نسر" وهذا يحتم علي تحقيق عمل ذي نفع اجتماعي. لقد حقنت بكميات من الدم خلال وجودي في مستشفى لينوكس هيل، مما يعني أن لدي أصدقاء كثيرين هنا. واني اناشد أكبر عدد ممكن من المتطوعين الحضور الى المستشفى والتبرع بالدم. إن كل كمية تعطى تساعدني في الحصول على اللقب. واني أقدر كل ما يمكنكم فعله.

مع الشكر الجزيل،
جون هانكي."

ولما فرغ من املاء رسالته نظر إلي وقال: "اني أحتاج الى مساعدتك تسجيل عدد المتطوعين اليومي." واتفقنا على أن اوافيه يومياً كي أعطيه تقريراً حول سير الحملة.

وما كادت الرسالة ان تعمم حتى ساءت حال جون كثيراً. وقال لي المرشد بورجوا: "صحة جون في تدهور مطرد، وقد لا يعيش أكثر من شهر. لذلك علينا مباشرة الحملة سريعاً."

وفي العصر التالي دخل مكتبي فتيان من مدرسة خاصة في المدينة. وكان اولهما باتريك وول الذي تبرع بالدم سابقاً. أما الثاني، فيل روبنز، فكنت أراه للمرة الاولى. وقالت مديرتي مارغريت هوبر بعد تقديمهما: "ربما أمكنهما المساعدة في الحملة." ووصفت لهما وضع جون، وأخذا نسخة من رسالته ووعدا بقراءتها على زملائهما.

يوم مشهود ـ عند بلوغي المكتب في اليوم التالي سألني فتى ينتظر خارجاً: "أفي هذا المكان يُعصر الدم من أجسامنا؟"

وأجبته وأنا أضحك: "أجل، هذا هو المكان، وإن يكن وصفك له غير دقيق."

كان اسم الفتى بن موس وهو أحد تلاميذ المدرسة نفسها. وأخبرني أن رئيس المدرسة جون هانلي تلا رسالة جون في قاعة الاجتماعات، وان آخرين سيأتون من المدرسة للتبرع بالدم.

وفي آخر ذلك النهار بلغ عدد المتبرعين ستة. وذهبتُ الى غرفة جون بعد طباعة التقرير لليوم الأول. وبعد قراءته بدقة مهره توقيعه وقال: "لا نزال نحتاج الى ٩٣ متطوعاً من الخارج." ولما قرأ الهم على وجهي، أضاف: "قوي ايمانك يا ماري."

وفي العصر التالي بدأت الوفود تتدفق من تلك المدرسة. وقال أحدهم: "نحن هنا من أجل قضية جون هانكي."

كانت أعمار المتطوعين عصر ذلك اليوم تراوح بين السابعة عشرة والثامنة عشرة، وقد بلغ عددهم الثلاثين. وبعد تبرعهم بالدم توجه العديد منهم الى غرفة جون. وحين غادروا اتضح لي أن كل شخص يتجاوز السابعة عشرة في المدرسة، بمن فيهم رئيس المدرسة، سينضم الى قائمة المتطوعين.

وأخذت الامور تتحرك صُعداً. واستجاب عدد من موظفي المستشفى وزواره للاعلانات التي رُفعت في مختلف الاجنحة. وجاء وسيط في البورصة متبرعاً، ثم حمل رسالة جون ليوزعها على زملائه في سوق الاسهم المالية. وقد جرت تلك البادرة حشداً من موظفي البورصة.

وكان الاثنين الواقع فيه الثالث والعشرون من مارس (آذار) يوماً مشهوداً. فقد جاءنا بُعيد الظهر المتطوع المئة. وناديت جون قائلة: "لقد حققت أمنيتك. نشط نفسك الآن واستعد لاستقبال نصف تلاميذ المدرسة الذين تطوعوا لقضيتك."

وضحك ضحكة خافتة وهو يجيب: "سأكون هنا."

"سأكون هنا" ـ في التاسع والعشرين من مارس (آذار) وافقت الفرقة الكشفية على منح جون لقب

"نسر،" وكانت وفود المتطوعين تتدفق على المستشفى كالعادة. وكان جون شُل من خصره الى أسفل وفقد البصر في احدى عينيه، فطلبنا أن يقام الاحتفال سريعاً.

وفي السابعة والنصف من مساء اليوم التالي تجمع أكثر من ٢٥٠ شخصاً في قاعة المستشفى الكبرى. وطلب إلي جون أن أقف بجانب كرسيه على المنبر. ونظرت الى الجمهور، فوجدت بينهم الكشافة والتلاميذ والأهل وموظفي البورصة والمرضى والممرضات والاطباء. وأذهلني عدد الناس الذين استجابوا لدعوة فتى.

ولما أعلن قائد الفريق اسمجون وقف الجميع تكريماً له. وتلا جون القسم الكشفي بنبرات ثابتة جلية. ثم جاءت اللحظة التي انتظرها طويلا، اذ انحنت السيدة هانكي فوق ابنها وعلقت على صدره شارة النسر.

وعندما انتهى الاحتفال، صعد أحد التلاميذ، دوغ غروب، الى المنبر وأعلن: "يسعدني أن اخبركم جميعاً أنه، في السابعة من هذا المساء، جاء الى مركز الدم المتطوع المئتان."

وانطلق الهتاف في القاعة. ونظرت الى جون لأرى الدموع سالت على خديه. وطفح وجهه فرحاً وقد أدرك، للمرة الاولى، أنه حقق أمراً خطيراً.

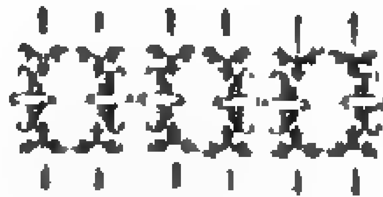
بعد اسبوعين، في بلدة ماونت فيرنون مسقط رأس جون في ولاية نيويورك، تجمع عدد كبير من اولئك الذين حضروا احتفال جون الكشفي الأخير في قاعة المستشفى. لكن الهتاف والتصفيق غابا هذه المرة ليحل محلهما اجلال صامت للفتى الذي اجترح شبه معجزة.

وفي الايام الصعبة التي تلت، لم ينسنا التلاميذ أو ينسوا جون. وكان كلما أتى أحدهم اصطحب معه صديقاً، كما لو كان جون لا يزال حياً.

في تلك الايام أيضاً، وكل منا يحاول أن يصالح نفسه مع حقيقة وفاة جون، كتبت قصيدة حملتها مشاعري وختمتها بكلمات جون نفسه:

إن راحة تسكن أعماقنا
بعدما علمنا أنك ستبقى قريباً.
أجل، إنما الوعد الذي منحتنا إياه يوماً،
يوم قلت: "سأكون هنا."

ماري برادي

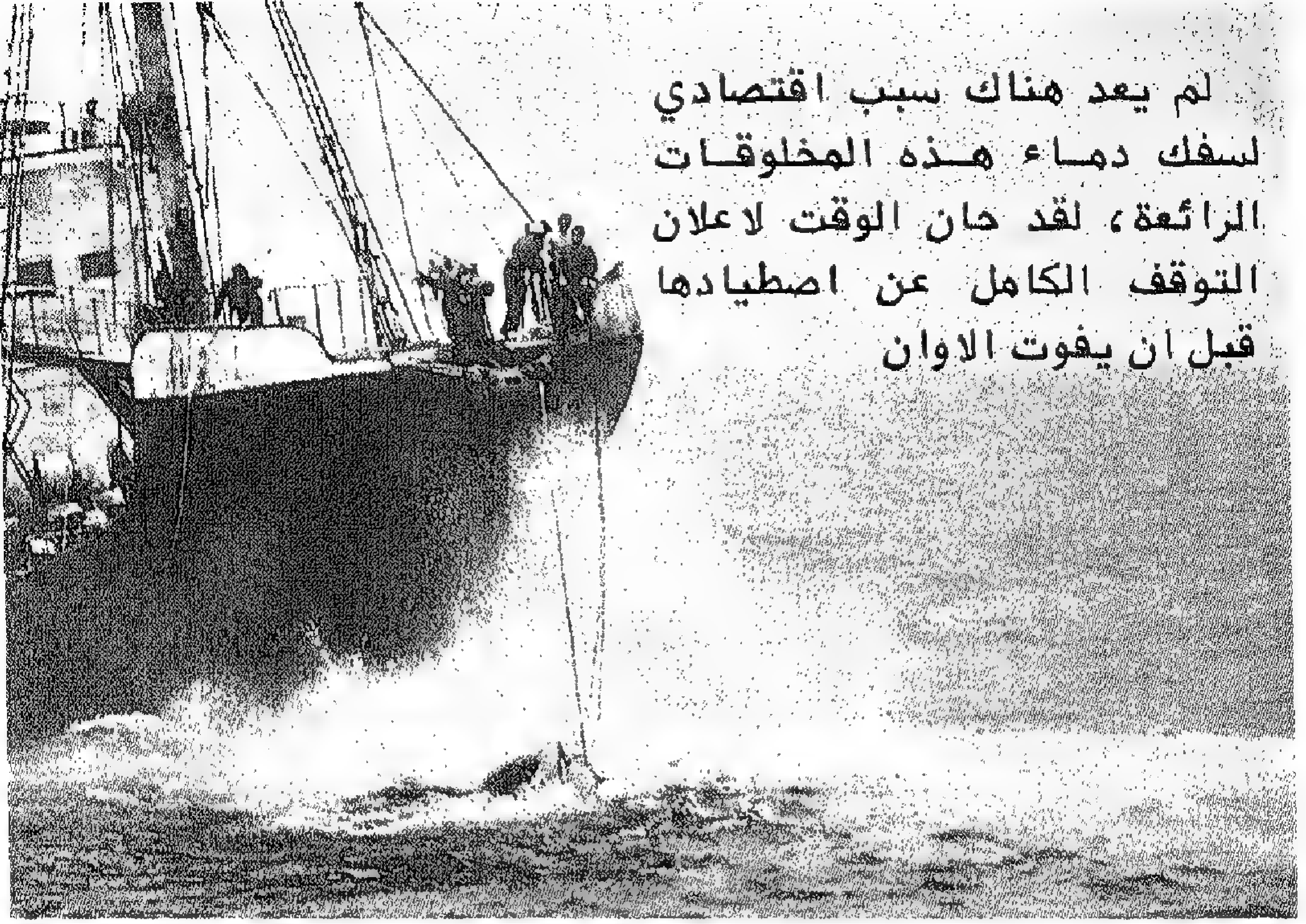


لم تسلم الجرة

كان على طالبات التمريض أن يأخذن حرارة المرضى في الثامنة والربع صباحاً ثم يفحص الضغط في التاسعة. لكنهن كن يقمن بالأمرين معاً تخفيفاً للعمل. وذات يوم انبتهن رئيسة الممرضات بعنف وهي تحمل ورقة كتب عليها الآتي:

الساعة ٨،١٥: الحرارة ٣٦ درجة مئوية.
الساعة ٩: ضغط الدم ١٩.
الساعة ٨،٥٠: توفي المريض.

س.ل.



مركب صيد سوفييتي ينتشل حوتا صغيرا صيد برمح.

نداء الحيتان:

دعونا نعيش

في احد ايام الصيف من العام ١٩٧٥ صادف ملاحو احد قوارب صيد السمك الكندي تسعة قوارب سوفييتية تصطاد الحيتان بواسطة الرماح على بعد ٢٤٠ كيلومترا من شواطىء كاليفورنيا. كانت الحيتان المصابة بالرماح نافقة في الماء وفي كل منها جهاز ارسال للراديو وعاكس للرادار يساعدان المراكب في تحديد اماكن الحيتان المصيدة. وكان بين هذه حوت صغير ذو حجم يقل كثيرا عن الحجم المسموح باصطياده قانونا.

اندفع البحارة نحو اطراف مطاطية انزلوها من سطح قاربهم وتمركزوا بين الحيتان الهاربة والبنادق المرسلة

للحراب. كانت عملية خطرة فقد اطلق احد القناصة السوفييت قذيفة عشوائية كادت ان تصيب رجال الطوف ولكنها انقذت حياة ثمانية حيتان على الاقل.

ان هذا العمل الذي قام به البحارة بالاضافة الى اعمال اخرى في مناسبات مختلفة زادت من الاهتمام العالمي لمأساة الحيتان.

وكان هذا الاهتمام محور البحث في اجتماع الهيئة الدولية لصيد الحيتان الذي انعقد اخيرا في برايتون (انكلترا)، حيث بحث في مصير الحيتان في العالم.

وادرك معظم المندوبين ان اعدادا هائلة من هذه الحيوانات اللبونة الوديعة الضخمة، قد صيدت وذبحت من زمان. ومنذ بداية هذا القرن تحول ثلاثة ملايين حوت شرائح لحم وطعاما ومشدات للنساء وزيوتا، ومئة سلعة اخرى ذات منفعة خاصة ولكنها اصبحت قديمة يمكن استبدالها باحسن منها في كثير من الحالات.

وكما حدث في الاجتماعات السابقة لهذه الهيئة ابدت الولايات المتحدة استعدادها للانضمام الى الاقطار الاخرى المعارضة لصيد الحيتان، وطالبت بالحاح بوقف هذه المذبحة، وقال دون بونكر احد اعضاء الكونغرس الامريكي، دفاعا عن مشروعه القاضي بمنع صيد الحيتان: "ليس هناك سبب للاستمرار في الصيد التجاري للحيتان. وعلى اي حال، فالوقت ليس في مصلحة الحيتان."

لقد كانت الولايات المتحدة اول من دعا تلك الهيئة الى المطالبة بوقف الصيد التجاري للحيتان. كان ذلك عام ١٩٧٢. وفي (١٩٨١)، عندما تعاظم الاتجاه المعارض لقتل الحيتان، جاءت نتيجة التصويت في برايتون كالآتي: ايد ١٦ مندوبا تحريم صيد الحيتان وعارضه ثمانية وامتنع ثلاثة عن التصويت. وقد سقط المشروع لعدم حصوله على موافقة ثلاثة ارباع الاعضاء. وهكذا اعطيت الدول التي تزاول صيد الحيتان الضوء الاخضر لمواصلة عملية القتل عاما آخر.

الرمح المتفجر - بدأ صيد الحيتان بالطرق الحديثة عام ١٨٦٨ حين اخترع النروجي سفند فوين رمحا مزودا برأس متفجر يطلق بواسطة مدفع. وتلا ذلك المراكب البخارية والمراكب - المصانع التي يصل حجم الواحد منها الى حجم حاملة الطائرات، وتستطيع هذه المراكب نقل الحيتان المصيدة. الى سطحها حيث يجري تصنيعها، وفي الثلاثينات ارتفع عدد الحيتان المصيدة. ففي العام ١٩٣١ وحده قضي على ما يقرب من ٣٠ الف حوت ازرق في نصف الكرة الجنوبي، ولكن هذا الرقم بلغ حده الاقصى في العام ١٩٦٢ حين وصل عدد الحيتان المقتولة الى ٦٦ الفا.

منذ هذا التاريخ بدأ الخطر يتهدد ما تبقى من حيتان، فاتخذت خطوات

اولية للحد من عمليات الصيد، وفي العام ١٩٤٦ اجتمع ممثلو خمسة عشر بلدا في واشنطن واسسوا الهيئة الدولية لصيد الحيتان، وامنوا الحماية للانواع الاكثر تعرضا للابادة. كما اقروا الحصص السنوية من الحيتان المسموح بصيدها في نصف الكرة الجنوبي. وحددوا فصول الصيد القانونية واتفقوا على حظر قتل امهات الحيتان مع صغارها كما حظروا صيد الحيتان الصغيرة التي يقل طولها عن مقدار معين. واستطاع اعضاء الهيئة توفير الحماية لستة انواع من الحيتان الكبيرة وتحديد أصول استعمال السفينة - المصنع.

ولكن، كأي هيئة لا تملك القوة اللازمة لتنفيذ قراراتها، فان هيئة تنظيم صيد الحيتان لم تستطع منع اي دولة من تجاوز عدد الحيتان المسموح لها بصيده او الحد من الصيد في الاماكن المحرمة. لقد كانت الهيئة مغلولة الايدي في الوقت الذي كان قراصنة الحيتان يصيدون الانواع المحمية والامهات الحوامل وصغار الحيتان ويبيعون لحومها لمستوردي الحيتان في اليابان. وفي الوقت الذي يتناقص عدد الحيتان في المحيطات، تغاضت تلك الهيئة، في كثير من الاحيان، عن توصيات علمائها ووافقت على نسب مرتفعة من الحصص خدمة لمصالح الصيادين.

صناعة محتضرة - ان هذه الهيئة تشرف الان على صناعة محتضرة، فالمراكب باتت تقطع مسافات بعيدة وتفتش مدة اطول عن الطرائد مما يزيد في التكاليف. والى ذلك لم تبقَ هناك حاجة الى كثير من المنافع المشتقة من الحيتان مثل العظام واللحوم الغضاريف والزيوت والامعاء باستثناء الطلب المتواضع للحم الحيتان في اليابان خصوصا حيث يقدم هذا اللحم في المطاعم المتخصصة بالاغذية البحرية اذ انه يعتبر عنصرا اساسيا في برامج التغذية الحكومية. ان شركات صيد الحيتان اليابانية لا تكتفي بما يصاد من الحيتان محليا بل هي تشتري كذلك صيدا من الاتحاد السوفييتي ونروج واسبانيا وكوريا وعدد من الدول الاخرى.

ويصر ممثلو اليابان في الهيئة على حقهم في الحصول على ذلك الغذاء الذي يعتبرونه مصدرا متجددا. ويقدمون البيانات العلمية التي تبرهن - حسب ادعائهم - على ان انواع الحيتان التي يستغلونها لا خطر في انقراضها، ويصرون على ان لحوم الحيتان هي مصدر ضروري للبروتيين في وجبات طعامهم (في الحقيقة ان هذا البروتيين لا يتجاوز الواحد في المئة من استهلاك اليابان لهذه المادة).

لماذا تستمر الحكومة اليابانية في نضالها للحصول على مصادر متضائلة من الغذاء؟ الجواب عن ذلك يختصر بكلمة واحدة : "السياسة". فللمقاطعات

الساحلية اهمية كبيرة في التصويت النيابي على نوعية الوجبات الغذائية. ويضغط ممثلوها بشدة لتضمين تلك الوجبات مشتقات الحيتان، كما تمارس النقابات العمالية ضغوطا هائلة في هذا الاتجاه. على ان اعلى الاصوات هو صوت شركات الصيد التي تدفع علاوات مرتفعة للبحارة المسرحين. وبلغ ادنى معدل تعويض للبحار المسرح ٣٠ الف دولار.

على ان الاهتمام بالحيتان يزداد باطراد. فـ"اغاني الحيتان المحدبة الظهر،" وهي تسجيلات لذكور هؤلاء الحيتان وهي تؤدي موسيقاها الرائعة في قعر البحار، بيع منها اكثر من ١٠٠ الف نسخة. ويزدحم المتحمسون للحيتان فوق المراكب على جانبي شواطىء الولايات المتحدة ويندفعون بعيدا عن الساحل آملين في رؤية هذه الحيتان. ويقول عالم الحيوان جيمس ميد في معهد سميثسونيان : "هناك شعور بان الحيتان حيوانات من نوع خاص، لقد اصبحت رمزا لتطور الوعي البيئي."

الاغبر الاكثر شعبية — ولعل الحوت الاغبر هو اكثر الحيتان شعبية وهذا الحوت يهاجر سنويا محاذيا الشاطىءالغربي لامريكا الشمالية الى مواطن التكاثر في المكسيك. انه يقطع قرابة ١٣ الف كيلومتر كل عام وهي اطول مسافة يقطعها اي حيوان لوبني في العالم، ويراقبها في اثناء هجرتها الالوف بين الاسكا وسان دييغو. ومع انها كانت تقطع المحيطين الاطلسي والهادىء، جيئة وذهابا باعداد تقارب عشرات الالوف، فان عددها تضاءل كثيرا منذ الثلاثينات. وفي احد اجتماعات الهيئة الدولية لصيد الحيتان عام ١٩٤٦ اتخذ قرار بمنع صيد الحوت الاغبر، ومذ ذاك بدأ العدد الباقي من هذه الحيتان يرتفع وربما وصل الى ١٥ الفا هذه الايام.

وهناك خمسة انواع اخرى من الحيتان يرد اسمها في قائمة الحماية وهي : الزرقاء والمحدبة الظهر والمستقيمة الظهر والمحدبة الرأس وذوات الاسنان. اما الاربعة الانواع الاخرى فمسموح بصيدها ولكن ضمن تقنين تحدده الهيئة التي تنعقد مرة في السنة في برايتون وتقرر هذه الحصص المقننة في ضوء البيانات التي يقدمها صائدو الحيتان انفسهم والتي تعتمد بدورها على عدد الحيتان التي شوهدت والتي قتلت في العام الماضي.

ومع تعاظم الاهتمام بالحيتان زاد الالحاح في طلب المعلومات وصحتها. ويتساءل الناس : كيف يمكننا الوثوق بالارقام التي يقدمها الصيادون؟ وكيف يمكن لنا ان نراقب الغش في هذه الحال؟

يقيس العلماء عدد الحيتان المصيدة على اساس عدد القوارب التي استعملت في مدى عدد من

الايام. ومن هذا الرقم يمكن تقدير عدد الحيتان المتوافرة في تلك المساحة في ذلك الوقت. "انها ليست طريقة مثلى يمكن الاعتماد عليها - يقول سدني هولت احد العلماء المسؤولين في الهيئة - ولكن علينا ان نعمل كل ما في استطاعتنا عندما لا نملك اي طريقة اخرى موثوق بها."

لقد كان هولت مدافعا قويا عن الحيتان لمدة طويلة. "انها تملك الدماغ الاكبر والاكثر تعقيدا بين كل سكان الارض - يقول هولت - انها كائنات حساسة واليفة، وهي تتحلى بذاكرة قوية وبميل شديد الى الرعاية العائلية والمشاركة بين افرادها، اني اعتقد انها سبقت تاريخ البشر بمقدار عشرة اضعاف في تملك ثقافة ذهنية ولا شك اننا نقضي عليها."

ان سياسة الهيئة ومساومتها يمكن ام يمتدا الى ما لا نهاية بينما تدعم الاساطيل المخصصة لصيد الحيتان بالاموال، لتستمر في قتل هذه الكائنات الى ان يأتي يوم يجد العلماء فجأة انه لم يعد هناك حوت واحد لاجراء الدراسات عليه. والسؤال المطروح الان هو: الى متى ستستمر هذه المجزرة؟

يجب الا تستمر ! وهذا يجب ان يكون الجواب. فليتوقف القتل.

■ اندرو جونز

معركة ستالينغراد

ملخص من كتاب

[illegible]

معركة ستالينغراد

العام ١٩٤٢.

من مقره في جبال الالب البافارية كان ادولف هتلر يسرح النظر في قارة اوروبية باتت تخضع له. ومن المحيط الاطلسي حتى طرف آسيا، ومن شطآن النروج الى رمال ليبيا، باتت الجيوش النازية تحكم أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة.

ولكن على بعد ٢٠٩٠ كيلومتراً، فوق سهوب روسيا المغبرة، ظهرت ثغرة أصبحت نقطة تحول حاسمة في مسيرة الحرب العالمية الثانية. وكانت معركة ستالينغراد أعظم معركة دموية سجلها التاريخ.

"خط القيصرة" هو قطعة أرض سبخة طويلة تمتد عبر مدينة ستالينغراد الروسية. هذه الارض التي كانت في الماضي حوض نهر عمقه نحو ٦١ متراً، تنحدر الى نهر الفولغا الذي تقوم ستالينغراد على ضفته الغربية المتعرجة كالأفعى.

الساحة الحمراء، وهي محور المدينة، ليست بعيدة. أما الممر نفسه فهو مكان مهجور يملأه القش والاشجار الخفيفة والمهملات. وكان الجيش، قبل سنوات، أقام حصناً تحت ذلك المكان. ويقول بعضهم انه بني بايعاز شخصي من جوزف ستالين زعيم الاتحاد السوفييتي آنذاك. وقد حُفر ذلك المخبأ عميقاً في ناحية الصدع الشمالية وجُعلت له أبواب حصينة. وكان داخله مترفاً حسب المقاييس العسكرية الروسية. فجدرانه مكسوة برقائق السنديان وفيه مرحاض عصري. وهو مركز ممتاز لقيادة عسكرية. إلا أنه هجر في ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٢.

وكانت ستالينغراد، منذ أواخر اغسطس (آب)، عرضة لقصف جوي ومدفعي ثقيل من الالمان أحال جزءاً كبيراً منها خرائب. وكانت فرقتان المانيتان طوقتا المدينة قبل اسبوع على نحو نصف دائري وباشرتا اجتياح الضواحي. وقصفت المدافع الالمانية خط القيصرة من غير شفقة، وتصاعدت ألسنة اللهب من مستودع للوقود وكادت النار ان تخترق جدران الحصن.

وكان نيكيتا خروتشيف، الذي حكم الاتحاد السوفييتي لاحقاً، مبعوث ستالين السياسي الى المجلس العسكري هناك. واقنعه القادة العسكريون بأنه خير لهم أن يغادروا ذلك المكان ويتخذوا لنفسهم مركزاً على الجانب الآخر من الفولغا، فخابر ستالين محاولا اقناعه. لكن الزعيم قال باهتياج: "هذا مستحيل! واذا وجد الجند أن قائدهم نقل مقره خارج ستالينغراد، فالمدينة ساقطة لا محالة." وكرر خروتشيف حججه حتى اقتنع ستالين وقال: "حسناً، ليكن ما تريدون إذا كنتم متأكدين من صمود المدينة."

غير أن الصمود لم يكن بالأمر اليقين. وقبل أن يغادر خروتشيف السرداب، استدعى الجنرال غوليكوف وطلب اليه أن يبقى هناك ليكون حلقة وصل مع الجيش الثاني والستين، وهو القوة الوحيدة التي بقيت لتصد الالمان عن ستالينغراد.

وغاب اللون من وجه غوليكوف، ورجا خروتشيف قائلا: "لا تتركني وحيداً! دعني أذهب معك. لقد قضي على ستالينغراد."



ياكوف غولدبرغ قائد مجموعة هجومية سوفييتية.

بعد ثلاثة أيام، أي في ١٢ سبتمبر (أيلول)، طار الجنرال فردريك باولوس قائد الجيش الالماني السادس الذي ضرب الحصار على ستالينغراد، الى بلدة فينيتسا الاوكرانية حيث اتخذ ادولف هتلر مقراً لقيادته في غرفة أقيمت من ألواح الخشب. وأمضى الجنرال ساعات مع الفوهرر يبحثان في أوضاع الجبهة. وقال لزعيمه إن المدينة يجب أن تسقط في أيام قلائل.

كان باولوس في الحادية والخمسين، طويلا وعلى شيء من الوسامة. وهو مثال القائد الالماني في أناقته تحت كل الظروف. وكان يرتدي قفازيه حتى في أرض المعركة لأنه لا يطيق الغبار. واقتصر اهتمامه المهني على الشؤون العسكرية. لذلك



مولينكس "أس"

تجعل كل شيء بسيطاً حتى السعر

إن مولينكس "أس" الجديدة تفرم اللحمة بثوان للكفتة والمحاشي وتحضر الكبة ، كما انها تفرم البصل والبقدونس والملوخية بسهولة واتقان .
ميزة مولينكس "أس" تقطع البطاطا والجزر والخيار وأيضا تبشر الأجبان والشوكولاتات للحلويات . من الخلاط لتحضير الحمص بالطحينة والبابا غنوج وعصير أنواع الصالصة والمشروبات المنعشة .
مولينكس "أس" حقا ممتازة .

٦٤٣ مولينكس
٦٤٥ مولينكس ، ستاندر
٦٤٨ مجموعة مولينكس ٢

سلمت يداك يا

مولينكس

Moulinex

ترك السياسة جانباً، وكان على قناعة بأن هتلر زعيم سياسي فذ وأن اجتياحه معظم اوروبا دليل على عبقريته العسكرية.

إلا أن زوجة باولوس التي دعاها أصدقاؤها "كوكا" لم تشاركه في آرائه. وهي كانت سليلة الملكية الرومانية وكارهة للنظام النازي. وفي خريف ١٩٤٠، عندما حمل زوجها الى المنزل خرائط متعلقة بغزو روسيا، احتجت كوكا على ذلك قائلة ان الحرب ضد الاتحاد السوفييتي غير مبررة اطلاقاً. وأضافت: "ما الذي سيحل بنا جميعاً، نحن الذين نبقى بعد هذه الحرب؟"

وفي محاولته تهدئتها، قال باولوس ان الحرب ضد روسيا ستنتهي في ستة أسابيع. لكن ذلك لم يسكن روعها. وتحققت مخاوفها في شتاء ١٩٤١ الرهيب، عندما لقي عدد كبير من الالمان مصرعهم بفعل الطقس والمقاومة الروسية العنيفة. غير أن الالمان عادوا الى الصعود عسكرياً حين بدأ الجيش السادس، بقيادة باولوس، حملته الجديدة ربيع ١٩٤٢، واحتل سريعاً بضعة آلاف من الكيلومترات المربعة في اوكرانيا. وفي أواخر يونيو (حزيران)، راح يشق طريقه وسط السهوب في اتجاه ستالينغراد.

وانضمت عناصر كثيرة من الجيش الروسي الى الهاربين من المدينة الذين روعتهم ضربات القوة النازية الماحقة. وكان هذا، بالنسبة الى باولوس، دليلا آخر على أن هتلر لا يقهر وأن الحق بجانبه.

في تلك الامسية تناول باولوس العشاء مع الجنرال فرانز هالدر، رئيس أركان الفوهرر، الذي وضع نظارتين وعلا شفتيه شاربان مشذبان. وكان الاثنان صديقين قديمين، وراحا يتكلمان عن حملة الصيف الناجحة.

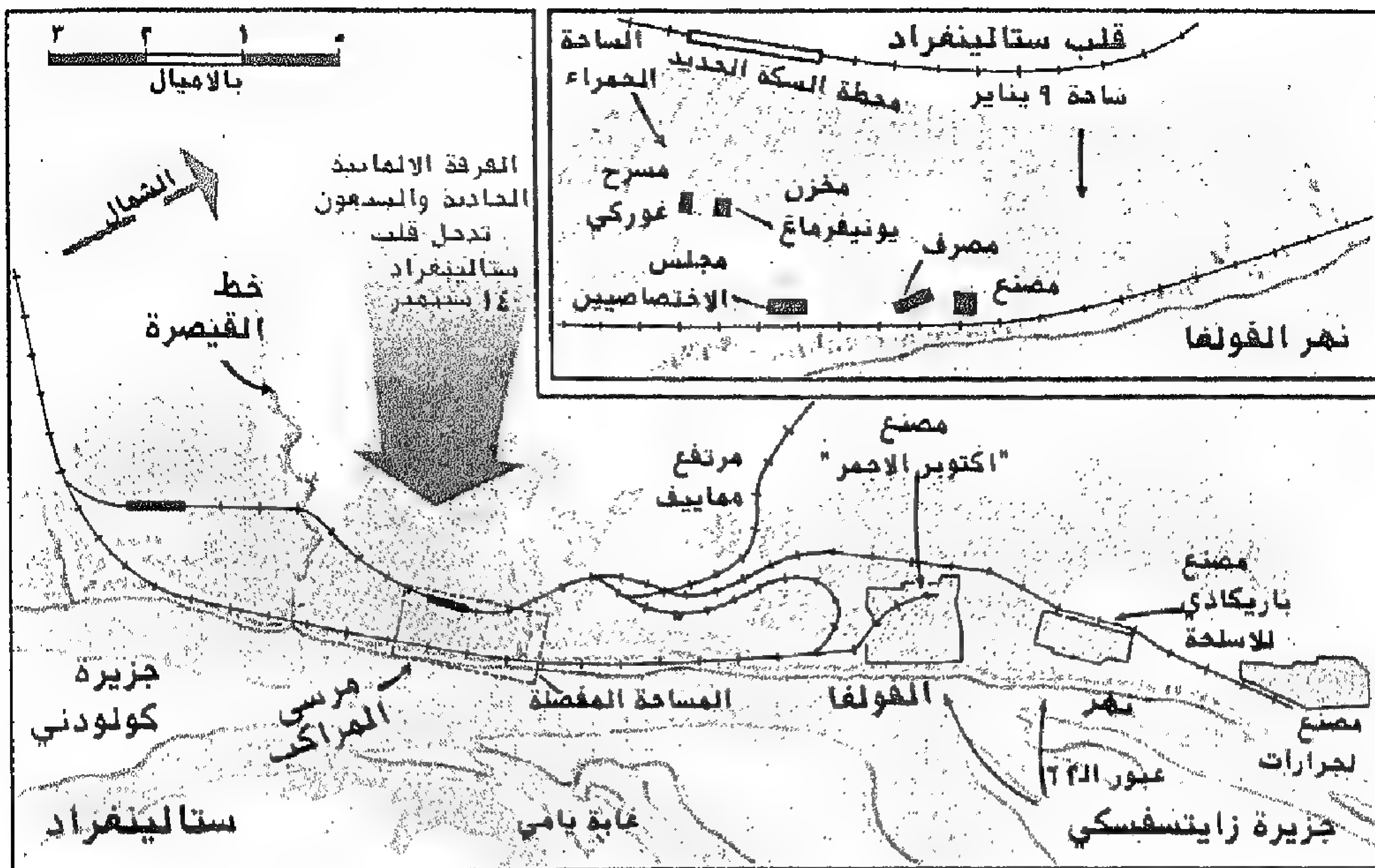
لكن هالدر، على نقيض باولوس، كان حذراً تجاه الرأي القائل بأن هتلر لا يقهر. وهو ما انفك، في الاسابيع الأخيرة، يلفت الفوهرر الى أن علامات الانهيار الروسي إن هي سوى وهم. ذلك أن موسكو ما زالت صامدة ولينينغراد تدافع ببسالة منقطعة النظير وجيش العدو لم يهزم بعد. يضاف الى هذا ان حملة الشتاء الماضي ارهقت المانيا، إذ دفن نحو ٨٠٠ ألف رجل، أي ما يعادل ٨٠ فرقة عسكرية، تحت التراب الروسي المغطى بالثلوج. والاغلبية الساحقة من الفرق الالمانية فقدت نصف قوتها.

وكان هالدر، قبل أشهر، دوّن في مفكرته الآتي: "النزعة الى الاستخفاف بامكانات العدو بلغت حداً غير معقول يغدو معه العمل الجدي مستحيلا."

لكن نصيحة هالدر أغاظت هتلر الذي بقي متغطرساً ومتمسكاً بإيمانه أن الرقاب الروسية أينعت وحان قطافها، وأن صفوة الالوية الالمانية لم تُقهر قط في المعارك.

إلا أنه في ستالينغراد، كما قال ونستون تشرشل لاحقاً، "دار مصراع القدر دورته." والحق أن مأساة بشرية ذات أبعاد ضخمة كانت تحاك خيوطها على ضفاف الفولغا.

لم تكن خطة هتلر الرئيسية تقضي



باجتياح ستالينغراد٠ وهو أمر قواته، التي تضم الجيش السادس بقيادة باولوس وثلاثة جيوش اخرى، بالزحف شرقاً عبر السهوب المغبرة الى حدود الفولغا، ثم الانعطاف جنوباً الى حقول النفط في القوقاز٠ إلا أنه عدل تلك الخطة في يوليو (تموز) بعدما استنتج مخبروه أن الروس فقدوا معظم الفرق القوية على ضفة الفولغا الغربية٠ وظناً منه أن الجيش الاحمر لن يستطيع الدفاع، أصدر هتلر أمره الى الجيش السادس باجتياح ستالينغراد٠

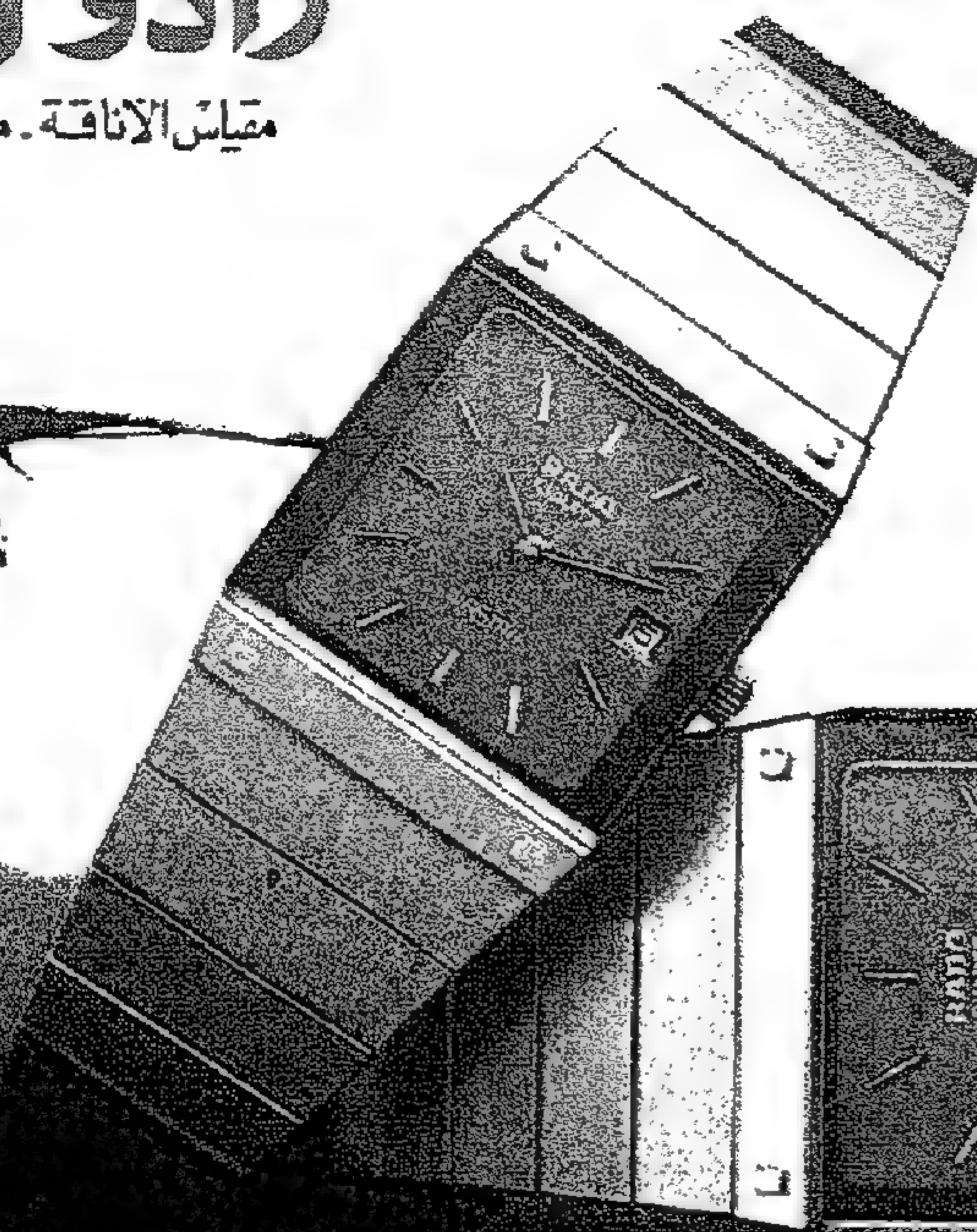
الأرض المخضبة

وبلغت ثقته بمعلوماته وآرائه حداً جعله يوجه الجيوش الاخرى، في زوايا قائمة، الى القوقاز، فيما الجيش السادس يشق طريقه منفرداً في عمق الاتحاد السوفييتي٠ وحين عرض هالدر عليه تقريراً للاستخبارات الالمانية يقدر أن هناك أكثر من مليون جندي احتياطي شرق الفولغا لم يتم استدعاؤهم، سخر الفوهرر منه وسير عدداً من جنده في روسيا الى فرنسا وآخرين الى لينينغراد شمالا٠

وعلى رغم تلك العوائق اندفع باولوس نحو الشرق ظافراً٠ وفي ٢٣ اغسطس (آب) احتل جيشه قطعة صغيرة على ضفة الفولغا شمال ستالينغراد٠

وفي اليوم نفسه شن الالمان هجومهم الجوي الأول على المدينة٠ وانهالت القنابل فوق الاحياء السكنية المكتظة وسط ستالينغراد٠ وبفعل الجفاف الطويل الامد اندلعت النيران بسرعة وغمرت المدينة في ثوان٠

وتقوضت معظم الابنية حول الساحة الحمراء٠ وانفجر خزان الماء بقذيفة واحدة وسقط مركز الهاتف وتعطلت الخطوط السلكية كلها٠



مقياس الأناقة
RADO رادو
مقياس الاناقة ـ مقياس المتانة ـ مقياس الزمن
Mod. dép.



قادة الجيش الروسي الثاني والستين في مقر القيادة· من اليسار: رئيس الاركان الجنرال نيقولاي كريلوف، الآمر فاسيلي تشويكوف، المفوض السياسي غوروف، آمر فرقة الحرس الثالثة عشرة الجنرال روديمتسيف،

وفي ذروة القصف عمد قادة المدينة الى تسيير الامور من مراكز طوارىء اقيمت في شبكة من السراديب· لكن المدينة نفسها استحالت خرائب خضبت بدماء القتلى· وفي مفكرته ذلك المساء، أجمل قائد الطيران فولفرام فراير فون ريشتهوفن عمليات النهار بالآتي: "لقد كسحنا الروس·"

وهذا كان صحيحاً· فمن نصف مليون نسمة يسكنون المدينة قتل نحو أربعين ألفاً في هجوم ٢٣ ــ ٢٤ اغسطس (آب)·

وكان نهر الفولغا خالياً من الجسور· وفي اليوم التالي ملأ المدنيون رصيف الميناء الرئيسي، أملا في الوصول الى الضفة الاخرى· لكن القنابل عادت تسقط من جديد، ولم تكن هناك مخابىء يلوذون بها· وراحت الحشود تنبطح على الرصيف كلما هبطت الطائرات وألقت حمم غضبها· وبات الشاطىء زَلِقاً من دماء الضحايا·

وكانت في النهر مراكب لم توفرها الطائرات· وما هو إلا قليل حتى غدا سطح النهر أحمر قانياً وعامت فوقه جثث حملها التيار على مهل كأنها على موعد مع بحر قزوين·

في الثاني من سبتمبر (أيلول) انضمت قوات باولوس في الشمال الى الجيش المدرع الرابع في الجنوب بحيث طوق الجيشان المدينة على هيئة نصف دائرة. ولم يبقَ أمام الروس، عسكريين ومدنيين، سوى النهر وميناءه طريقاً للامدادات. غير أن الناجين من الجيش الروسي الثاني والستين انتشروا بغير نظام في المدينة باحثين عن مخابىء. وفقد آمر الجيش، الكسندر لوباتين، ثقته بقدرته على انقاذ المدينة. ولما أسر بهواجسه الى قائده الجنرال اندري يرمنكو، نحي عن مركزه.

في تلك الاثناء كان خط القيصرة هجر وأقيم مقر قيادة جديد على ضفة الفولغا المقابلة، في غابة يامي. هناك عقد يرمنكو وخروتشيف اجتماعاً عاجلا لاختيار ضابط يخلف لوباتين. ووقع اختيارهما على الجنرال فاسيلي ايفانوفيتش تشويكوف، وهو رجل بدين تعلو وجهه آثار جروح ملتئمة ويغطي رأسه شعر أشعث. وكان قوي الارادة ولا يطيق اولئك الذين يجبنون بسهولة. وقد عقد لقاءه الأول مع يرمنكو في العاشرة من صباح ١٢ سبتمبر (أيلول)، اليوم نفسه الذي طار باولوس الى اوكرانيا للاجتماع بالفوهرر.

وبادر يرمنكو الآمر الجديد: "ان وضع الجيش دقيق ومضطرب."

وهز تشويكوف رأسه قائلا: "لن أخذلك."

وعبر النهر الى ستالينغراد، ومن هناك توجه الى خط القيصرة للاجتماع بمعاونيه. ولما وجد الحصن خالياً راح يسأل الجنود في الشوارع عن المركز الجديد. وأخبره أحدهم أن القيادة انتقلت الى تلة ممايف. وهي حصن صخري يرتفع ١٠٣ أمتار، وقد حولت متنزهاً بعدما كانت مقبرة للتتار.

وقاد تشويكوف سيارته نحو التلة عبر الحطام وهو لا يصدق ما يراه من ضعف الامكانات الدفاعية. وأدرك أن في وسع الالمان اجتياح التلة في دقائق والسيطرة على المدينة كلها من هناك. كما لاحظ امراً آخر، وهو سقوط أوراق الاشجار كلها بفعل القصف، على رغم أن الفصل كان صيفاً.

اندفاع نحو النهر

صباح الرابع عشر من سبتمبر (ايلول) اقتحم اللواء الالماني الحادي والسبعون قلب مدينة ستالينغراد على جبهة عرضها ٣٤٠٠ متر. وكان الكابتن غيرهارد مونك (٢٨ سنة) يقود الفرقة الثالثة، أي كتيبة المشاة المئة والرابعة والتسعين، وهي تحاول احتلال بعض أبنية المدينة والسيطرة على ضفة النهر. واحتلال الالمان للميناء يعني تطويق ستالينغراد من جميع الجهات.

وقدر مونك أن حظه كبير في بلوغ الفولغا قبل الظلام. وقبل ذلك الوقت كان رجاله عانوا حرارة شمس السهوب وبعض هجمات من مؤخر الجيش الروسي. ولكن ما أن دخلوا شوارع المدينة المحتقنة حتى ارتفع عدد الضحايا في صفوفهم. ولم يعد مجدياً شن هجوم كاسح مفاجىء. ذلك أن القناصين فتحوا النار من نوافذ الطبقات الثالثة والرابعة، فأصبحت

أعمدة المباني مخرمة كالغرابيل، وانهمرت القذائف على أفراد الكتيبة الالمانية من مدافع خفيفة مستورة. ولكن في الثانية بعد الظهر تمكنت الفرقة الالمانية الثالثة من محاذاة محطة القطار الرئيسية بالقرب من الساحة الحمراء. وتلقى مونك أمراً باحتلال الميناء على نهر الفولغا.

وبقي مونك محافظاً على ثقته بنفسه على رغم الخسائر الكبيرة. وكان رجاله قبضوا على عدد من السعاة الروس الذين كانوا يركضون في الشوارع ومعهم رسائل مكتوبة بخط اليد. وظنا منه أن الاتصالات الهاتفية قطعت لدى الجيش السوفييتي الثاني والستين، قدر مونك ان في وسع كتيبته المستنزفة قطع الكيلومتر الأخير نحو الهدف.

في ذلك الوقت كان الجنرال تشويكوف يعاني وضعاً نفسياً أليماً. فبعد عودته الى خط القيصرة أخبر أن فرقة الحرس الثالثة عشرة ستعبر الفولغا لنجدته وان عليه السيطرة على الميناء كي تتمكن الفرقة من العبور.

واقتناعاً منه بأنه لن يقوى على صد النار الالمانية، لجأ تشويكوف الى اقامة سلسلة من التحصينات الصغيرة عند تقاطع الطرق. وتولى تلك التحصينات ١٥٠٠ متطوع من الشرطة السرية نظموا أنفسهم في فرق من عشرة أشخاص أو عشرين شخصاً. وكانت مهمة تلك الفرق تشكيل جدار لوقاية المرفأ، بحيث يمكن أفرادها الانقضاض على الالمان الزاحفين نحو الضفة. وهذا يرد عنهم خطر الطائرات المغيرة، إذ أن الالمان سيخشون عندئذ اصابة كتيبة المشاة التابعة لهم.

وهكذا وقف المتطوعون الروس على اهبة الاستعداد للتحرك في اتجاه الميناء، وهم على بعد كيلومتر الى الشمال الشرقي من مقر تشويكوف. وتشكلوا على هيئة قوس تطوق الضفة وهم في انتظار آمرهم الكولونيل بتراكوف الذي ذهب في مهمة استكشافية قصيرة. فهو أراد تعيين النقطة التي كان الالمان يحاولون الانقضاض منها، ومشى مع اثنين من معاونيه حتى ساحة ٩ يناير (كانون الثاني). وعلى رغم سماعهم قصفاً بعيداً، إلا أنهم لم يروا أي جندي الماني. وكانت الساحة خالية. ووقف بتراكوف قرب سيارة مهجورة لفحص الوضع.

وفجأة انطلقت قذائف الرشاشات عبر نوافذ السيارة، مجبرة بتراكوف على الانبطاح أرضاً. ثم انهالت القذائف المدفعية على الساحة وفقد بتراكوف الوعي. وأنقذه معاوناه، ولم يصحُ إلا وهو في خندق على حافة الفولغا. وكان الالمان هرعوا الى النهر واحتلوا عدداً من المباني على الشاطىء. ومن مراكزهم في بناية المهندسين السكنية والمصرف الحكومي المؤلف من خمس طبقات ومصنع الجعة، راح الالمان يصيحون: "الروس سيغرقون في الفولغا."

وشاهد بتراكوف فتى روسياً يسير في الخندق. وأوقفه وسأله عن اسمه، فقال: "كوليا". وأخبره أن العدو أرسله لتقدير القوة الروسية. فابتسم الكولونيل وطلب الى الصبي أن يخبره عن الالمان. وكان كوليا يعرف جيداً هوية العدو، فأخبر بتراكوف أن الكابتن غيندرلينغ يحاول دعم كتيبة

المشاة التي يقودها غيرهارد مونك عند الميسرة، ويريد السيطرة كلياً على الميناء قبل الظلام.

وعند الغسق أرسل غيندرلينغ عناصره من مصنع الجعة الى رصيف الميناء الذي يبعد ٧٠٠ متر. وشكل رجال بتراكوف الستون خط مصادمة حول الالمان، وراحوا يحاربونهم بضراوة على رغم النقص الكبير في ذخيرتهم. وفجأة برز زورق بخاري عند الضفة وأنزل صناديق من الذخيرة والقنابل. وارتفعت معنويات بتراكوف ورجاله بعد وصول الامدادات. وكان الكولونيل عثر على بندقية من عيار ٧٦ مليمتراً في شارع جانبي ووقف يدرس أجزاءها. وأمر رجاله بأن يهجموا لدى سماعهم الطلقة الخامسة من البندقية الجديدة.

وصوب بتراكوف بندقيته نحو مبنى المصرف وحشاها بتؤدة قبل أن يطلق النار. ولما وضع الطلقة الثانية سمع زورقاً بخارياً يقف في محاذاته وهو يحمل عناصر جديدة من فرقة الحرس الثالثة عشرة. لكن الالمان شاهدوا الزورق أيضاً، وأحاطوه سريعاً بالقنابل.

وقفز آمر الفصيلة الجديدة الكولونيل ييلين الى الماء وركض نحو الخندق. وأدرك الروس أن الوضع ما زال محفوفاً بالاخطار، من غير أن يعرفوا أن الالمان على حافة الانهيار.

وبالقرب من محطة السكة الحديد وقف الكابتن مونك يحصي عناصره. ووجد أن معظمهم قضوا في يوم واحد في ستالينغراد. فهناك نحو مئتين من رجاله تمددوا، بين قتلى وجرحى، في الشوارع المؤدية الى الساحة الحمراء. وقدر مونك أن محطة القطار هي الاخرى مكان خطير لرجاله، إذ انها ملأى بالحافلات التي يمكن أن يختبىء فيها القناصة الروس ويقضوا على قوته المتضائلة.

وهكذا ارتأى ألا يدخل المحطة، وطلب نجدة جوية غير أن الطائرات اخطأت اهدافها وألقت قنابلها على رجال مونك. ومع حلول الظلام جمع الكابتن عناصره الباقية في بناء المجلس الحكومي غير الناجز. ومن شرفة ذلك البناء أمكنه أن يرى الفولغا للمرة الاولى. وأحصى رجاله من جديد، فوجد أن لديه أقل من خمسين عنصراً لاحتلال الضفة.

مهمة عسيرة

على بعد ٤٥٠ متراً من معسكر مونك الموقت، كان أفراد فرقة الحرس الثالثة عشرة يتلقون التعزيزات على الشاطىء، وقد عبرت عناصر كثيرة من الضفة المقابلة وسط القصف. وفي الظلام تعثر الروس قليلا فوق خرائب اليوم السابق، لكنهم ما لبثوا أن شكلوا خطاً دفاعياً قبل الفجر.

وكانت الفرقة الالمانية الـ٢٩٥ سيطرت على تلة مماييف، واتخذت مقراً لها في برجين للماء محميين. إلا أن القوات الروسية حافظت على بعض مواقع حول التلة حيث راحت تحفر الخنادق. وكان الصوت مخيفاً، وشبهه جندي روسي بإبرتين من فولاذ تخترقان طبلتي اذنيه وتحفران نحو الدماغ.

ومن مقره في سرداب القيصرة حاول تشويكوف تقدير الوضع على

ما هو الشيء المشترك بين هؤلاء الأشخاص ؟



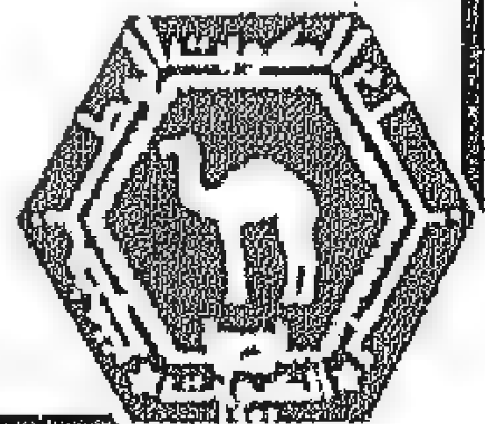
بنك الكويت الوطني طبعاً.

لكل منهم إحتياجات مالية ومصرفية مختلفة ، لهذا فهم يتعاملون مع بنك الكويت الوطني .

الجميع ، من أطباء ومدراء شركات ورجال أعمال وحتى الأطفال ، كلهم يجدون لدى بنك الكويت الوطني خدمات شاملة تناسب كافة المتطلبات والأعمار .

حسابات إدخار ، حسابات جارية ، حسابات أمانات ، قروض شخصية ، حسابات إيداع ، شيكات سياحية وشهادات إدخار ، جميع فروع بنك الكويت الوطني تقدم شيئاً مشتركاً : الخدمة التي تحتاجها .

لكافة احتياجاتكم المالية ، اتصلوا بأي فرع من فروعنا الأربعين المنتشرة في كافة أنحاء الكويت .



بنك الكويت الوطني ش.م.ك.

شارع عبد الله السالم . ص.ب ٩٥ صفاة ، كويت - تلفون : ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً) - برقياً : ناشيونال - تلكس : ٢٢٤٥١ .

التلة، لكنه عجز عن ذلك بسبب المعلومات المتناقضة. وكانت الحرارة في الداخل لا تطاق. وخرج تشويكوف مراراً الى الهواء الطلق وهو غارق في عرقه. ولم يخشَ نار الرشاشات الالمانية التي كادت أن تصيبه، إذ انه فضل الهواء المنعش في الخطر على الجحيم الخانق ضمن السرداب.

ومن الارض المعشبة على ضفة الفولغا المقابلة كان آمر الفرقة الثالثة عشرة على وشك العبور الى ستالينغراد. والجنرال الكسندر روديمتسيف (٣٦ سنة)، لم يكن غريباً عن ساحات القتال. ففي العام ١٩٣٦ ذهب الى اسبانيا تحت اسم "بافليتو غيشوس" وحارب قوات فرنكو مع الملكيين. ولما وقف على الضفة المقابلة هاماً بالعبور لم يصدق ما رآه. فالقصف المدفعي على ستالينغراد صبيحة الخامس عشر من سبتمبر (أيلول) طغى على نور الشمس. والقوارب التي حملت رجاله الى المدينة مزقها القصف. وفيما وقف روديمتسيف ينظر الى ذلك المشهد، تصاعد الدخان حول أحد المراكب، ثم انفجر هذا وغار في الماء بركابه الخمسة والستين جميعاً.

وركب روديمتسيف ومعاونوه قاربهم وأنزلوا رؤوسهم تحت حافته السليا اتقاء للشظايا. وتمكن الزورق من بلوغ الضفة الاخرى. ونزل روديمتسيف وركض نحو نصف كيلومتر شمالا الى مقره، وهو حجرة خفيضة رديئة التهوئة جُعل لها سقف من ألواح الخشب الثقيلة.

وشاء الجنرال أن يعلم تشويكوف سريعاً بوصوله. فهرع نحو رصيف الميناء، ومن هناك اتجه غرباً وسار مسافة كيلومتر الى سرداب خط القيصرة، يرافقه خمسة من معاونيه. وفي تلك الرحلة القصيرة قتل ثلاثة من رجاله.

ولما رآه تشويكوف وقد غطاه الغبار، طوقه وسأله ان يوجز له الموقف. وقال روديمتسيف ان معظم عناصره عبروا النهر، ولكن ينقصهم نحو ألفي بندقية. وبعدما وعده تشويكوف بتلبية حاجته سريعاً، سأله عن انطباعه حيال تلك المهمة العسيرة، فأجاب روديمتسيف: "لا نيّة لدي بمغادرة المدينة."

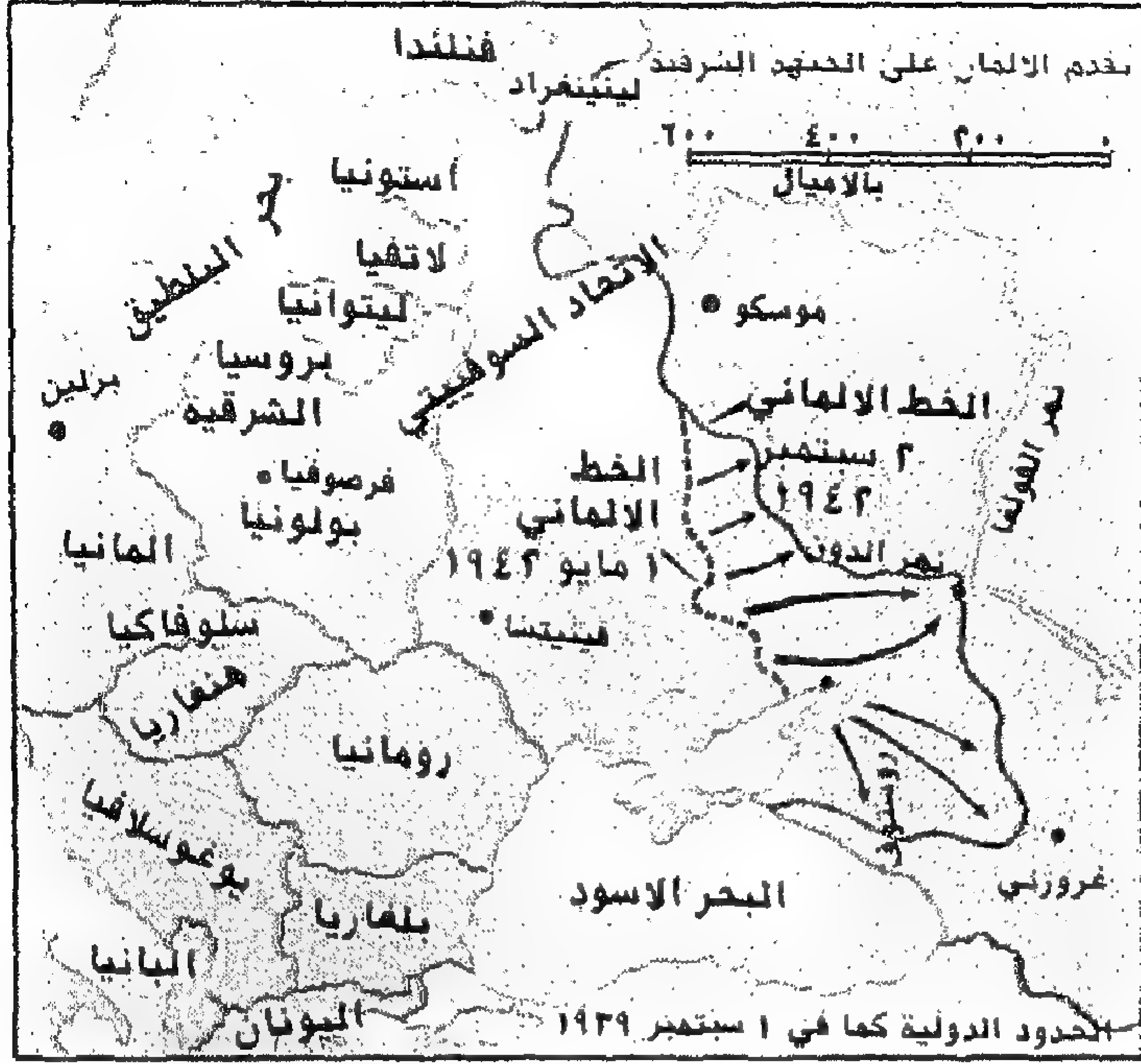
مهمة الدم

في ١٧ سبتمبر (أيلول) دخل رجال الصحافة الألمان مقر الجيش السادس في غولوبينكا، على بعد ٦٥ كيلومتراً غرب ستالينغراد، وألحوا على الجنرال باولوس كي يسمح لهم بإرسال خبر الى صحفهم مؤداه أن المدينة سقطت.

وقابلهم باولوس بابتسامة مرحة. وقال وهو يتفادى الرد على طلبهم: "في أي لحظة الآن، في أي لحظة."

إلا أن الجنرال راح يستمع داخل غرفته الى الموسيقى ويدخن السجائر واحدة بعد اخرى ويحاول تهدئة معدته التي فتك بها داء الديزنطاريا. والحق أنه فقد أمله في النصر السريع.

ومن خط القيصرة حتى سفح تلة مماييف، كان الألمان تحت رحمة القوة الروسية المتجددة. وعلى رغم أن فرقة الحرس الثالثة عشرة فقدت نحو ستة آلاف من عناصرها، إلا أنها أكسبت الروس أياماً ثمينة جداً.



وتدفقت تعزيزات اخرى من الاورال. ومن سيبيريا نفسها وصلت وحدة بقيادة الكولونيل نيقولاي باتيوك، وكان معظم رجالها شرقيين من جوار منغوليا وأعمارهم تراوح بين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. وهم لم يروا ألمانياً من قبل. وقد قطعوا نحو ١١٢٥ كيلومتراً الى الغرب وهم يمصون نبتة السوس. وباشروا قطع النهر صباح الثاني والعشرين من سبتمبر (أيلول) الغارق في الضباب.

وعبر السارجنت الكسي بتروف النهر وعُهدت اليه قيادة القطاع الشمالي قرب لاتشنكا. وطوال عشرة أيام أعطي دروساً سريعة في استخدام المدفع من عيار ١٢٢ مليمتراً. ولكن مع ضيق الوقت وعدم قابليته للتعلم سريعاً، طلب اليه مدربه الساخط أن يعلم نفسه.

وكانت معمعة الدم التي خاضها بتروف قاسية جداً. وقضى نحو نصف رجاله وهم يعبرون النهر. وبعد بلوغهم الشاطىء، سير بتروف ثلاثة كشافة لتقدير قوة العدو، فعاد اثنان منهم. ورفع بتروف منظاره لكشف مصير الفتى الثالث. ووجده ممدداً على الارض وقد زرع الالمان في بطنه حربة بندقية.

وانطلق بتروف وفرقته وهم يصرخون باهتياج. واقتحموا البيوت وكانوا يقتلون كل شخص يصادفونه. وعندما كان الالمان يرفعون الايدي استسلاماً، كان بتروف يطلق نار رشاشه عليهم جميعاً.

ومن رواق أحد المنازل سمع بتروف جندياً المانياً في الطبقة السفلية يتضرع قائلا: "يا ألله، دعني أعيش بعد هذه الحرب". لكن بتروف اسرع

طبعاً تي. دي. كي.

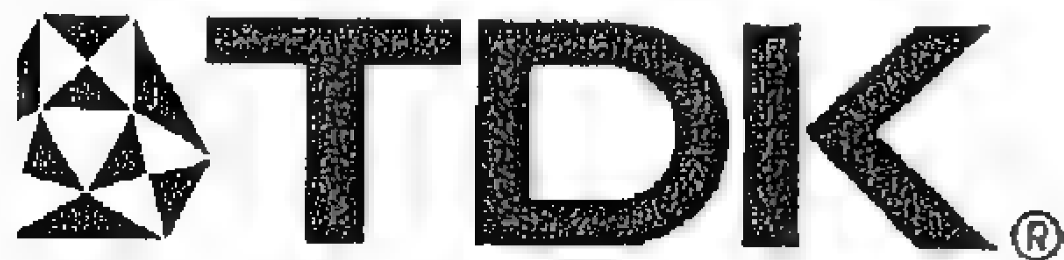
طبعاً ترغبون في أحسن الالوان الممكنة على جهازكم الفيديو كاسيت الوان حية، صور واضحة ونقاوة متناهية.

لهذه الاسباب يتحول أكثر الناس الى تي. دي. كي.

ليس فقط لان شرائط تسجيل "افيلين" هي الاكثر شعبية في العالم، بل لانها فريدة في نوعها. فهي تمثل ما طالما رغبت فيه في عالم تسجيل الفيديو.

تذكر أن "سوبر افيلين" المقياس العالمي في آلات التسجيل السمعية والبصرية، هي من تي. دي. كي.

he Future in Sound and Pictures.



K ELECTRONICS CO., LTD.

تي دي كي

الى مصدر الصوت ورفس باب الغرفة وأطلق النار على الرجل، ثم انطلق كالمسعور بين أقبية المنازل يصرع كل من يراه.

مفتاح المدينة

تابعت فرقة المشاة الالمانية تقدمها البطيء نحو الميناء. وواجهت جيوباً عدة للمقاومة، لكنها مسحتها كلها من طريقها وإن تكن دفعت الثمن غالياً. وفي الساحة الحمراء، قلب المدينة، تناثرت الجثث فوق العشب والارصفة.

وكان مخزن "يونيفرماغ" الكبير مهجوراً وقد تحطمت نوافذه وتناثرت الشخوص التي تعلق عليها الملابس بعدما اخترقها الرصاص. وفي الداخل تشابك الروس والألمان حتى الموت، واستحال المخزن مستودعاً للجثث.

وخلت أبنية مجلس السوفييت المحلي ونادي الجيش الأحمر ومسرح غوركي، وحطم الرصاص زجاجها وثقب جدرانها. أما المحلات القائمة على جوانب الطرق فقد حطمها الرصاص شر تحطيم، وسالت عصارة البندورة (الطماطم) العفنة والبطيخ الأحمر مختلطة بالدماء وبأشلاء الضحايا.

وفي مكان كان يؤوي مطعماً فخماً شرق الفتحة المؤدية الى خط القيصرة، بذل الاطباء والممرضات جهدهم لتفريغ الشاحنات من الجرحى الذين بلغ عددهم نحو ٦٠٠ جندي، بعدما تجاوز عدد ضحايا اليوم السابق السبعمئة.

وواصل الالمان زحفهم نحو الميناء. وظلت رشاشاتهم تقصف الحشود على الشاطىء، فيما الجنود الروس في خط دفاعي ريثما يتم نقل الجرحى الى المراكب. وتابع الالمان تقدمهم حتى سيطروا على الميناء. وباستثناء بعض جيوب للمقاومة، احتل الجيش الالماني السادس بضعة كيلومترات من شاطىء الفولغا شمال خط القيصرة وجنوبه. وبقي عليه احتلال منطقة المصانع شمال ستالينغراد.

إلا أن هذه الاخبار الطيبة لم تحرك ساكناً لدى ادولف هتلر الذي جلس في غرفته الخشبية في فينيتسا مقطباً يرفض الكلام. وكان قبل اسبوعين احتدم نقاش بينه وبين الجنرال البرت جودل حول سير المعركة. ومنذ ذلك الوقت رفض الفوهرر الاختلاط بمعاونيه. وفي ٢٤ سبتمبر (أيلول) استدعى فرانز هالدر وصرفه من الخدمة، بعدما أغاظه عصيان رجاله وعدم تسجيل تقدم على جبهتي القوقاز والفولغا. وذهب هالدر الى مقره وحزم أمتعته. ولكن قبل أن يغادر كتب رسالة الى صديقه وتلميذه فردريك باولوس يقول فيها أنه "استقال" ويشكره على "الولاء والصداقة" اللذين أظهرهما نحوه.

وتسلم باولوس رسالة هالدر فيما كان رجاله يعلقون الصليب المعقوف، شارة الحزب النازي والرايش الثالث، فوق مدخل محل "يونيفرماغ" الذي ثقبه الرصاص.

لكن باولوس لم يكن شديد الابتهاج، ولم يشأ اقامة احتفال خاص للمناسبة. ذلك أن العبور من الدون الى الفولغا كلفه نحو ثمانية آلاف قتيل و٣١ ألف جريح من الالمان.

وهذا يعني أنه فقد عشرة في المئة من الجيش السادس. كما انه كان يدرك جيداً أن المعركة الحاسمة خلف الابواب. فالى الشمال من الميناء، أي شمال تلة مماييف المحاطة برجال المقاومة الروس، يقوم مفتاح المدينة، ألا وهو المصانع. هناك كان الجيش السادس يواجه التحدي الأخير وهو يعاني نقصاً في العدة والعدد.

وعاد باولوس الى مقره المنعزل في غولوبينكا على ضفة الدون الغربية العليا حيث راح يستمع الى الموسيقى ويحاول تهدئة نوبات الديزنطاريا. وبلغ تعب أعصابه حداً ظهر معه تقلص لاإرادي في عضلات خده، وهو ما يعرف بالعَرَّة.

رحلات ليلية

في الخندق البدائي الذي اتخذه مقراً، راح فاسيلي تشويكوف يعد لهجوم مضاد وهو يتصبب عرقاً. وكان الجنرال تسلم لتوه رسالة من زوجته فالنتينا التي تقيم في كويبيشيف، على بعد ٦٤٥ كيلومتراً شمال شرق ستالينغراد، تقول فيها انها شاهدته في شريط أخباري قصير في السينما وتطمئنه الى حال أولادهما. وبدا من الرسالة أن معنويات زوجة تشويكوف مرتفعة.

إلا أن معلومات الجنرال كانت مغايرة. فقد أخبره معاونه أن ابنته الصغرى تعاني نوبات ديزنطاريا حادة وان العائلة بالكاد تحصل على ما يكفي من غذاء وكساء وحوائج اخرى. وتلك الاخبار المثبطة أضافت الى العبء النفسي الذي يحمله تشويكوف، وهو مهدد يومياً بالموت.

وأتى المرض عليه هو أيضاً، فظهرت حراشف الاكزيما القرمزية على جلده واضطر الى ربط يديه النازتين.

ومن حسن الحظ ان تعزيزات جديدة بدأت تبلغه عبر الجسور التي أقامها بعد خسارة الميناء، وأهمها المعبر ٦٢ وهو سلسلة من المراسي خلف "ساحة اكتوبر" ومصنع أسلحة "باريكادي". هناك أنزل معظم الجنود والعتاد خلف وقاء من الأوتاد الخشبية.

غير أن الجنود الذين كانوا يعبرون النهر ليلا ارتاعوا لرؤية المدينة تحترق والرصاص يلعلع في أرجائها. وكان المنظرون السياسيون معهم دائماً، يعملون بحماسة منقطعة النظير على تهدئة روعهم، فيوزعون عليهم مناشير عنوانها: "كيف تتصرف في حرب المدن،" ثم يتوزعون على الشاطىء منعاً لعودة بعض من تسول لهم نفوسهم الهرب الى الزوارق، وقد وضع كل منهم اصبعه على زناد مسدسه.

ومن موقعهم على تلة مماييف، كان الالمان يبصرون تلك الزوارق ويوجهون نحوها نار مدفعيتهم. لكن المفوضين السياسيين كانوا يقرأون الصحف بصوت مرتفع أو يوزعون الرسائل الواردة تشتيتاً للانتباه. وكان اذا أصيب بعض الجنود ونزل آخرون الى النهر للفرار، أفرغ المفوضون السياسيون رصاص مسدساتهم في أجساد الهاربين.

وعلى هذا النحو تم انزال نحو مئة ألف عنصر جديد على ضفة الفولغا في اكتوبر (تشرين الاول). لكن العديد منهم لقي حتفه سريعاً، ولم يبقَ لدى

تشويكوف إلا ٥٣ ألف جندي يمكنهم حمل السلاح· وفي أقل من شهر خسر الجيش الروسي الثاني والستون أكثر من ٨٠ ألفاً·

مبارزة عند الخط الفاصل

وسط استعداد الجيشين للمكاشفة الاخيرة، اندلعت معركة شخصية حامية عند الخط الفاصل· وكان المتحاربان قناصين متمرسين يعرف أحدهما شهرة الآخر· وهما الالماني الميجور كونينغز والروسي فاسيلي زايتسيف الذي تدرب على صيد الغزلان في جبال الاورال· وقد أغدقت الصحف الروسية على زايتسيف لقب "بطل قومي" بعدما قتل في الأيام العشرة الماضية أربعين ألمانياً· ولما عمت شهرة زايتسيف الآفاق، استدعت قيادة الجيش السادس القناص كونينغ من برلين للقضاء عليه·

وعرف الروس بوجود كونينغز منأسير الماني قال ان القناص يتجول في الصفوف الامامية لاكتشاف طبيعة الأرض· وبما أن زايتسيف كان يجهل خطط غريمه، كان عليه أن يدعه يقوم بالحركة الاولى·

ولم يحصل أي شيء خارق في الايام القليلة اللاحقة، الى أن خر قناصات سوفييتيان، كل بطلقة بندقية واحدة· وزحف زايتسيف الى حافة الخط الفاصل بين تلة ممايبف ومصنع "اكتوبر الأحمر" لفحص ساحة المعركة· وبقي طوال بعد الظهر مع صديقه نيقولاي كوليكوف يراقبان الجهة الاخرى بالمنظار بحثاً عن علامة· وهكذا تغافلا عن المعركة الكبيرة التي تدور حولهما وراحا يبحثان عن رجل واحد· ثم أطبق الظلام وليس لدى زايتسيف اشارة واحدة عن مكان وجود كونينغز·

وعاد القناصان السوفييتيان الى خندقهما فجر اليوم التالي يراقبان أرض المعركة، من غير أن يعثرا على أثر لنقطة كونينغز· وفي صبيحة اليوم الثالث جاء مفوض سياسي اسمه دانيلوف الى زايتسيف وكوليكوف· ووقف الثلاثة يجيلون أنظارهم في المسافة علهم يدركون مصدر الرصاص المنهمر فوق رؤوسهم·

وفجأة اطل دانيلوف من الخندق وصاح: "هذا هو! سأدلكم على مكانه حالاً·" وما كاد ان ينهي كلامه حتى عاجله كونينغز بطلقة في كتفه· وعاد زايتسيف الى الخندق فيما حُمل دانيلوف على نقالة الى المستشفى·

ثم رفع زايتسيف منظاره من جديد، فرأى الى اليسار دبابة معطلة والى اليمين معقلا صغيراً· ولم يكترث للدبابة، علماً منه أن القناص الخبير لا يتخذ من هذا الموقع المعرض مركزاً· ووجد أن فتحة اطلاق النار في المعقل مسدودة·

وظل زايتسيف يدير منظاره، فوجد قطعة حديد وكومة حجار بين الدبابة والمعقل· وحاول قراءة أفكار كونينغز، فقرر أن ذلك الركام في الوسط هو خير مخبأ·

وعلق قفازاً على قضيب ورفعه على مهل، فأتت عليه طلقة سريعة· وأنزل زايتسيف القفاز وقد تأكد ظنه: ان كونينغز مختبىء تحت قطعة الحديد·

ووافقه كوليكوف قائلا: "لا شك في أن الافعى الماكرة هناك·"

ووجد الاثنان نقطة تكون فيها شمس العصر خلفهما، بحيث تعمي بصر القناص الالماني. وفي الصباح التالي توجها الى مركزهما الجديد، وأطلق كوليكوف رصاصة في الهواء للفت كونينغز. ثم اختبأ الاثنان في الخندق. ومع العصر أتـى عليهـما الظل. وركز زايتسيف نظره على مخبأ القناص الالماني.

وفجأة التمعت قطعة زجاج على الحديد الواقي. ورفع كوليكوف خوذته بتؤدة فوق الخندق، فأطلق كونينغز النار عليها. ونهض كوليكوف وهو يصيح كما لو أصيب. ورفع كونينغز رأسه قليلا ليرى ضحيته، فعالجه فاسيلي زايتسيف بطلقة بين عينيه.

خطر من الشمال

طوال شهر اكتوبر (تشرين الاول) حارب الالمان بعناد من المصانع الرئيسية الثلاثة على تلة ممايف محاولين سحق المقاومة الروسية. وفي العشرين من ذلك الشهر تمت لهم السيطرة على مـصـنـع الجرارات الزراعية ومصنع "باريكادي" الضخم للاسلحة. وعند نقطة أبعد الى الجنوب احتلوا الطرف الغربي من مـصـنـع "اكتوبر الاحمر".

حرب الشوارع في ستالينغراد، اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٢.



ودارت المعركة من بناء الى بناء ومن سرداب الى سرداب ومن مخبأ الى مخبأ. وفي ثلاثة أيام فقط خسر تشويكوف ١٣ ألفاً من رجاله، أي ثلث القوة الباقية لديه. وفي ليلة ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) حُمل ٣٥٠٠ جريح الى مراسي الفولفا. وخلال انتظارهم عند المعابر كان النهر يرغي ويزبد بفعل القذائف. ولما وصلت الزوارق أخيراً، لم يبقَ في بعضها أي بحار ليرفع الجرحى.

أما خسائر الالمان فكانت كبيرة هي الاخرى. وفي أيام قليلة خسرت كتائب "الرواد" الباسلة، وعدد أفرادها ٣٠٠٠ رجل، ثلث هذا العدد. واعترف آمر الكتائب الخمس، الكولونيل هيربرت سيلي، بالخسارة في رسالة كتبها الى عائلته جاء فيها: "ان دموعاً كثيرة ستنهمر في المانيا... طوبى لمن ليس مسؤولا عن هذه التضحيات غير المبررة." وكان سيلي يرى أن ستالينغراد لم تعد تستحق الثمن المبذول من أجلها، وان الحرب انحطت الى معركة شخصية بين عناد ستالين وعناد هتلر.

وعلى رغم الانتصارات التي سجلوها، بقي الالمان عاجزين عن اجلاء الروس كلياً عن المدينة. وظلت الجبهة مجمدة أياماً.

ولكن برزت حركة مفاجئة من شمال نهر الدون. ووصل أكثر من ٤٠٠ ألف جندي روسي في قطارات ليلية من جوار موسكو وجبال الاورال، معززين بمدافع ثقيلة ونحو عشرة آلاف حصان جمعت عند نقاط تبعد ١٦٠ كيلومتراً شمال غرب ستالينغراد. وعمل المفوضون السياسيون بلا كلل على بث الحماسة في نفوس المقاتلين. وكان كل من الجنود الجدد يقف أمام علم فرقته ويتسلم سلاحه في احتفال رسمي وسط الاناشيد العسكرية والخطب الداعية الى الدفاع عن تراب الوطن.

ولم تكن تلك الاستعدادات خافية على الالمان. وفي ٢٧ اكتوبر (تشرين الأول) تلقى باولوس تقريراً عن الوضع مبنياً على اعترافات أدلى بها الهاربون الروس حول وصول تعزيزات جديدة ليس الى ضفاف الدون وحدها، بل الى جنوب ستالينغراد أيضاً في مواجهة جيش المدرعات الالماني الرابع. ويبدو أن الروس كانوا يستعدون للهجوم على جناحي الجيش الالماني.

وطالما قلق باولوس لامكان قيام هجوم كهذا. وكانت خطة استيلائه على ستالينغراد تعتمد على اقامة خط رديف عند الميسرة من شأنه ابقاء طريق الامدادات مفتوحة وصد أي اعتداء يأتي من الشمال. ومن سوء حظ باولوس أن ذلك الخط الرديف كانت تملأه عناصر من الدول التابعة.

ففي الطرف الشمالي الغربي انتشر أفراد من الجيش المجري الثاني عند أعلى نهر الدون. والنقطة التالية من النهر احتلها رجال من الجيش الايطالي الثامن. وأخيراً جاء الجيش الروماني الثالث. وقد وضع الالمان المتطوعين الايطاليين في الوسط ليفصلوا بين عدوين قديمين كان محتملا أن يتجاهلا الروس ويعتركا في ما بينهما.

وقد استقدمت الجيوش الثلاثة على نحو يعوزه النظام. فالجيشان المجري

والروماني كانا، في معظمهما، من المحازبين السياسيين غير المتمرسين في الشؤون الحربية. وفضلا عن عدم كفاية هذين الجيشين، فقد تسرب الفساد الى صفوفهما واجداً طريقه خصوصاً الى الانفار الصغار الذين كان ينقصهم الغذاء الكافي والقيادة الحسنة. وكان الضباط يسوطونهم عند أقل نزوة أو خطأ. ولدى احتدام المعركة فر عدد كبير من الضباط الى أوطانهم. والأسوأ من هذا أنهم كانوا مزودين بأسلحة من الحرب العالمية الاولى تخطاها الزمن.

ولم تكن حال الجيش الايطالي بأفضل من حال هذين. فأفراده الذين جُروا الى الخدمة من مكان قصي لم يرقهم التحالف بين المانيا النازية وايطاليا الفاشية، وهم لم يأتوا الى روسيا لأي قضية حيوية تعني ايطاليا مباشرة، وانما اقتيدوا الى هناك لأن بنيتو موسوليني اشترى ودّ هتلر بسواعد الجند الايطالي.

وفي لقائه الفوهرر في سبتمبر (ايلول) طلب اليه باولوس أن يمده ببعض دعم للعناصر الرديفة. فوعد هتلر خيراً. وكرر باولوس مخاوفه أمام هالدر الذي وعد بملاحقة هتلر حول الأمر. لكن هالدر سُرّح من منصبه من غير أن يحصل شيء.

"إنه الجنون بعينه!"

في المساحة الممتدة بين الدون والفولغا غرب ستالينغراد، ركز باولوس كامل قواته الهجومية للاستيلاء على المدينة، متخذاً من طرف الدون البعيد مستودعاً لمعظم ذخيرته. ووجد الروس في تلك البقعة غير الحصينة هدفاً للمرحلة الاولى من عمليتهم الدفاعية التي أطلقوا عليها اسم "اورانوس".

وفي السادسة والنصف من صباح ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) الباكر، استحال ظلام الضحى بين مدينتي سيرافيموفيتش وكلتسكايا لهباً برتقالياً عندما انطلقت النار من ٣٥٠٠ بندقية روسية. ووقف الجنود الرومانيون في خنادقهم يراقبون الانفجارات المدفعية تخترق صفوفهم وتقضي على المئات خنقاً. وغطى الرجال آذانهم التي أصمها دوي المدافع.

وما أن توقف القصف حتى انطلقت الدبابات الضخمة من نوع "ت - ٣٤" عبر الضباب والجليد الى صفوف القوة الرومانية المشتتة. وفر معظم الرومانيين وهم يزعقون باعلى اصواتهم وقد روعهم زحف الدبابات، وكانوا من غير سلاح.

وفي غولوبينكا، على بعد ٨٠ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي، تلقى باولوس ورئيس أركانه الجنرال آرثر شميت نبأ الهجوم بهدوء. وبعد تحليل الوضع قال شميت: "في امكاننا الصمود." ووافق باولوس وأمر الفرقة المدرعة الثامنة والاربعين، وهي في قيادة الجنرال فرديناند هايم، بالزحف شمالا نحو ثغرة الدون.

في تلك الاثناء كان هتلر يضيع الوقت سدى في منتجعه الصيفي بيرغهوف على بعد ٢٠٩٠ كيلومتر غرباً وسط جبال الالب البافارية. ثم دخل قاعة اجتماعات هادئة وأكب

على آخر خرائط المعركة متفحصاً الموقع على ميسرة الجيش السادس. وقارن الامكانات برباطة جأش، ثم أصدر أمراً كان أول الاوامر المهلكة خلال الاسابيع القليلة اللاحقة.

وكان ذلك الأمر يقضي بأن يسرع الجنرال هايم جنوباً الى بلينوف حيث اخترق الروس الخطوط الالمانية أيضاً. وقاد هايم، وقد أغاظه الأمر، طوابيره على نحو الهدف الجديد على زاوية تكاد تبلغ ١٨٠ درجة عكس الوجهة التي كان باولوس اختارها قبل تبلغ أوامر الفوهرر.

ولم تدخل القوات الجوية تلك المأساة السهلية لأن عوامل الطبيعة من ثلج وصقيع كبلتها على الأرض. وكانت الدبابات الروسية، طوال النهار، تعبر السهوب البيضاء وتضرب التعزيزات الالمانية في أماكن تجمعها ومراكز اتصالاتها ثم تختفي في الضباب لتضرب تجمعات اخرى على بعد كيلومترات. وأربكت تلك الخطة الالمان وأفقدتهم معنوياتهم. وأفادت المعلومات المرسلة الى غولوبينكا أن الروس في كل مكان، وانهم على بعد ٦٤ كيلومتراً جنوب الدون و٨٠ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي منه. وكان الجنون ظاهراً في نبرات الضباط الذين خابروا قيادة الجيش السادس طلباً للنصيحة.

ودبت الفوضى في الصفوف الالمانية. واتخذ آمرو الفرق قرارات افرادية بنقل رجالهم شرقاً نحو ستالينغراد. وتحرك الرجال ببطء وهم يؤثرون العصيان، إلا أن الضباط أخافوهم بالاحكام العسكرية.

والى الناحية الجنوبية من ستالينغراد، تجمعت ثلاثة جيوش تحت إمرة يرمنكو على جبهة طولها ٢٠٠ كيلومتر، استعداداً للمرحلة الثانية من الهجوم المضاد. وفي العاشرة من صباح ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) فتحت مدفعية يرمنكو النار على الجيش الروماني الرابع قبالتها وأرغمته على الفرار. وبعد ساعات ابلغ يرمنكو موسكو، وهو لا يصدق ما حصل، أن لديه عشرة آلاف اسير. وأمرته القيادة بأن يعيد احصاءهم فجاء الرقم مطابقاً للأول.

أما الجنرال باولوس الذي روعه سقوط الجناحين، فارتأى انسحاب الجيش السادس من الفولغا في اتجاه الجنوب الغربي حيث يسهل عليه الدفاع.

غير أن الفوهرر كان له رأي آخر، وعارض توصية باولوس بقوله: "الجيش السادس سيبقى مكانه، على رغم انه مهدد وقتياً بالتطويق. وسنصدر أمراً لاحقاً حول الدعم الجوي."

وكان باولوس وشميت يمحصان رسالة هتلر حين وردتهما مخابرة هاتفية من الجنرال مارتن فايبغ قائد سلاح الطيران الثامن. ولما علم فايبغ بعزم الفوهرر على ارسال قوة جواً، خابر رئيسه الجنرال ريشتهوفن. وهذا بدوره خابر أحد المسؤولين عن الطيران في القيادة العليا وبادره بغيظ: "يجب أن توقفوا مسعاكم هذا. فالطقس الرديء هنا يمنع انزال ٢٥٠ ألف عنصر جواً. إنه الجنون بعينه!"

ذلك الليل هبت رياح لا ترحم عبر السهوب وأحالت الثلوج جبالاً.



القتال في ستالينغراد من بيت الى بيت.

وهبطت الحرارة درجات تحت الصفر والجو ينذر سوءاً.

وفي الثانية عصر ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني)، فيما باولوس وشميت عائدان جواً الى مطار غومراك في طرف المدينة بعد رحلة الى مركز للاتصالات غرب ستالينغراد، عبرا فوق الارض الممتدة بين الدون والفولغا وشاهدا النار تتصاعد من مخيمات الجيش السادس الذي كان أفراده يحرقون كل ما لا يحتاجون اليه تحسباً لأي طارىء.

في اليوم نفسه سيطر الروس على جسر كلش، وهو طريق هروب الالمان عبر الدون. وفي اليوم التالي انضمت الدبابات الروسية من الجنوب الى المشاة في الشمال.

وراح الجنود الروس يرقصون فرحاً فوق الجليد وقد أخذتهم نشوة النصر. ففي أقل من ٩٦ ساعة ضربوا حصاراً تاماً حول الجيش الالماني السادس. وأصبح لديهم، داخل ذلك "الجيب" الضخم، ٢٥٠ ألف أسير عُزلوا وسط السهوب الجليدية.

إلا أن الخطوط الروسية ما برحت ضئيلة، وكان الجنرال باولوس على استعداد لاختراق ذلك "المرجل." وجمع عدداً من الجنود بأسلحتهم

ومدافعهم وخيولهم، وأعد العدة لاختراق الصفوف الروسية الى الجنوب الغربي.

وانقضت ساعات من غير أن يأمر باولوس جنوده بالتقدم. ذلك أن هتلر لم يكن اظهر "رضاه" على الهجوم. وأرسل اليه باولوس برقية اخرى تقول: "يا زعيمي! الذخيرة والعتاد يكادان ينفدان، ولا يمكن سد النقص سريعاً. وفي ضوء هذا الوضع أطلب اليكم اطلاق يدي للتصرف بما أراه ملائماً. ليحيَ الزعيم. باولوس."

وكانت تلك الرسالة في طريقها الى هتلر حين أصدر أحد معاوني باولوس الجنرال ولتر فون سيدليتز - كورزباخ أمراً الى فرقة المشاة الرابعة والتسعين باخلاء موقعها في الطرف الشمالي الشرقي، أملا أن يؤدي قراره الفردي الى التعجيل في انسحاب الفرق الاخرى وبالتالي اتخاذ باولوس قراراً بالانسحاب الجماعي من "المرجل."

ولكن ما كادت فرقة المشاة الرابعة والتسعين ان تغادر موقعها حتى أجهز عليها الجيش الروسي الثاني والستون. ومع الفجر غدت الفرقة الالمانية أثراً بعد عين اذ أطبقت عليها جحافل الجيش الأحمر.

ولما بلغت تلك الانباء هتلر جن جنونه. وفي برقية تحمل صفة الأمر الاعلى، أنب باولوس على عصيانه وأصر على "الاحتفاظ بجبهة الفولغا الحالية والجبهة الشمالية بأي ثمن،" مضيفاً أن "التعزيزات الجوية هي في الطريق."

والحق أن هتلر لم يكن على يقين من قدرة سلاحه الجوي على دعم الجيش السادس. وكان ينتظر الكلمة الاخيرة حول هذا الأمر من هيرمان غورينغ. وجدير بالذكر أن غورينغ كان سقط في نظر القيادة العسكرية الالمانية لعجزه عن اخضاع بريطانيا ووقف قصف الحلفاء لالمانيا نفسها. وهكذا وجد في طلب الفوهرر ظرفاً كي يعيد الاعتبار الى نفسه. وعلى رغم ما قيل له من أن الجيش السادس تلزمه خمسة أطنان من الامدادات يومياً، أجاب بثقة وكبرياء: "اني أستطيع تأمين هذا."

وهكذا ضاعت الساعات الثمينة. وفي بضعة أيام تحلقت ستون فرقة سوفييتية حول "المرجل". والى الجنوب والغرب وقفت ثمانون فرقة اخرى من الجيش الأحمر على أهبة الاستعداد لصد وصول أي تعزيزات الى باولوس.

في تلك الاثناء كان الطيارون الالمان في القواعد الجوية القريبة من ستالينغراد يبذلون ما في وسعهم لانجاح مهمة الدعم الجوي. وأرسلت طائرات "جو - ٥٢" من أماكن قصية، وكان بعضها قديماً لا يمكن الاعتماد عليه والبعض الآخر تنقصه الرشاشات وأجهزة الارسال. أما الملاحون على تلك الطائرات فكانوا خليطاً من قدامى المحاربين والمتخرجين الجدد.

وفي ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) توجهت الدفعة الاولى من الطائرات الى قاعدة بيتومنيك الجوية داخل "المرجل." وظلت يومين تقلع وتهبط حاملة الوقود والعتاد. وفي اليوم الثالث، وهو السابع والعشرون من نوفمبر (تشرين الثاني)، أوقفت الاحوال الجوية جميع العمليات. وراح

الجنرال فايبغ يحصي ما تم انجازه، فوجد أنه، في الساعات الثماني والاربعين الاولى ، نقل ١٣٠ طناً الى "المرجل." ثم دوّن في مفكرته الآتي: "الطقس رديء جداً. نحاول التحليق، لكن هذا مستحيل. العواصف الثلجية تلحق احداها الاخرى. الوضع مروع."

ووافق الجنرال فون ريشتهوفن كلياً على هذا الوصف. وبعد يأسه من الامدادات الجوية، خابر معاوني هتلر ليعلمهم ان على الجيش السادس أن يشق طريق الفرار قبل أن تشل حركته نهائياً. ورجا ريشتهوفن المعاونين أن يوصلوا رأيه الى هتلر، ففعلوا. لكن الفوهرر رفض تغيير خطته بحجة أن انسحاب الجيش السادس من ستالينغراد يعني "أننا لن ندخلها البتة بعد الآن."

ولما سمع ريشتهوفن هذا القرار، أدرك أنه وزملاءه القادة الآخرين ليسوا أكثر من دمى في يدي هتلر.

وفي ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) أرسلت أربعون طائرة مقاتلة من نوع "هي - ١١١" لتعزيز القوة الجوية "جو - ٥٢" المرابطة في ستالينغراد. وما أن حطت تلك الطائرات داخل "المرجل" حتى أنزل رجالها العتاد والذخيرة،وأفرغوا الوقود الاضافي من أجنحة طائراتهم لسد حاجة الجيش السادس الى الوقود. وفي ذلك اليوم وحده أنزل نحو مئة طن من الامدادات الحيوية. وذلك بث الشجاعة في باولوس وأقنعه بأن سلاح الطيران الالماني على وشك أن يفي بتعهده. لكن ذلك لم يتحقق. وعاد الطقس شنيعاً كما كان، ولم تتمكن الطائرات من شق طريقها الى الجيش المحاصر في اليومين التاليين.

ولكن على رغم الحصار بقي الجيش السادس محافظاً على نظامه وتنظيمه الممتازين. فالثلج كان يجرف دائماً عن الطرق الرئيسية، ومستودعات الوقود والطعام توزع المؤن المقننةعلى نحو بارع، والمستشفيات تؤدي عملها بأقل ما يمكن من فوضى، على رغم معالجتها ١٥٠٠ اصابة يومياً. ومن قاعدة بيتومنيك الجوية كانت طائرات "جو - ٥٢" و"هي - ١١١" تنقل ٢٠٠ جريح يومياً تحت أعين الاطباء اليقظة منعاً لفرار المتمارضين.

هذا كله يعني أن الجيش السادس كان يؤدي مهماته على نحو غير متوقع في تلك الظروف العصيبة. إلا أن علامات التهافت الوشيك كانت غير خافية. وفي ٩ ديسمبر (كانون الأول) سقط جنديان وماتا بسبب المجاعة.

"بعدالشتاء،ربيع آخر"

إن هتلر لم يترك الجيش السادس وشأنه نهائياً. ففي ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) أرسل الفيلد مارشال اريك فون مانشتاين، الذي أحرز الانتصار على فرنسا، لمعاونة باولوس، موكلا اليه فتح منفذ جنوبي تصل منه الامدادات الى الجيش السادس. لكن الفوهرر لم يطلب الى مانشتاين، في مراحل مهمته جميعاً، اخراج الجيش السادس من مكانه.

غير أن مانشتاين لم يباشر مساعيه العقيمة قبل ١٢ ديسمبر (كانون الأول). ذلك أن هجومه الى الجنوب

اوقف بأمر من هتلر وهو على وشك تحقيق غايته. وكانت ذريعة هتلر أن قوات مانشتاين ينبغي أن تهب لنجدة الجيش الايطالي المتراجع في الشمال.

وفي ذلك الوقت تحولت السهوب مدرجات للطائرات المتحطمة والمعطوبة. وكان عدد الطائرات المرسلة يومياً كبيراً، إلا أن معظمها لم يصل الى "المرجل" ليس بفعل رداءة الطقس فحسب، بل لأن الطائرات الروسية والمدفعية المضادة للطائرات ما انفكت تعترض الطائرات الالمانية على نحو متكرر، فترغمها على الانسحاب أو السقوط.

وأدى الخطأ البشري الى سلسلة اخرى من الاحداث المؤسفة. ومن تلك الاحداث ما نجم عن عدم سماح قيادة سلاح الطيران الالماني لضباطها بالاشراف على تحميل الطائرات. فقد كان الجنود الذين هدتهم المجاعة يفتحون الصناديق في قاعدة بيتومنيك الجوية فيعثرون فيها على مواد لا علاقة لهم بها. وذات يوم وجدوا الوفاً من أغطية السيلوفان التي تقذف بها القنابل اليدوية، لكنهم لم يعثروا على أي قنبلة. وفي يوم آخر تلقوا أربعة أطنان من المردقوش والفلفل وقت كانوا يأكلون الفئران حفاظاً على حياتهم. حتى لقد بلغتهم شحنة من ملايين الاصابع العازلة لمنع الحمل.

في تلك الاثناء كان الالمان في ستالينغراد يعانون نقصاً رهيباً في البروتيين. وذات يوم صادف الكابتن هاينز نايست (٣١ عاماً) ضابطاً ابتسم بمكر وقال: "أتريد شيئاً تأكله؟" فقبل نايست الدعوة بسرور، وجلس أمام صحن مليء بالبطاطا واللحم والمرق. ونظر الى الصحن وهو لا يصدق ما يراه، فبادره زميله بالآتي: "صدقني أنه ليس لحم انسان." وازدرد نايست كل ما يحتويه الصحن. وبدا من طعم اللحم أنه عجل. ولم يستفسر نايست عنه إلا بعدما أتى عليه. فأجابه زميله أنه آخر كلب دوبرمان لديه.

وفي ١٨ ديسمبر (كانون الأول) تفقد باولوس الجبهة. وشعر بالغم إذ شاهد جنوده يعانون ضعفاً جسدياً بيناً. وكانوا يمشون بمشقة ولا يكترثون للاوامر. وضمرت وجوههم وغارت العيون في محاجرها، وكانوا يحدقون أمامهم كما في فراغ. وعاد باولوس الى مقره مثبط العزم وجلس يكتب الى زوجته كوكا. ولم يكن باولوس بالرجل الذي يلقي همومه على الآخرين. لذلك اكتفى بالاسئلة العادية عن حالها وحال الاولاد، وختم الرسالة بعبارات متفائلة: "صحيح أننا نعاني بعض عسر الآن، لكننا سنتغلب عليه. وبعد الشتاء سيأتي ربيع آخر."

وجبة صارمة

تحمل أفراد الجيش السادس التقنين الغذائي والصقيع على نحو بطولي، يحدوهم الأمل بأن مانشتاين آت اليهم سريعاً. إلا أن عيد الميلاد جاء وقد أدركوا أن "المرجل" قد يكون ضريحاً لهم.

وأمضى الجنود الالمان ساعات العيد الاخيرة في وحدتهم الموحشة وهم ينقلون ابرة الراديو من موضع

الى آخر علهم يلتقطون خبراً من بلادهم على الموجة القصيرة. وأخيراً عثروا على اذاعة وزير الدعاية الالماني جوزف غوبلز، التي قيل انها تبث من حدود الرايش الثالث.

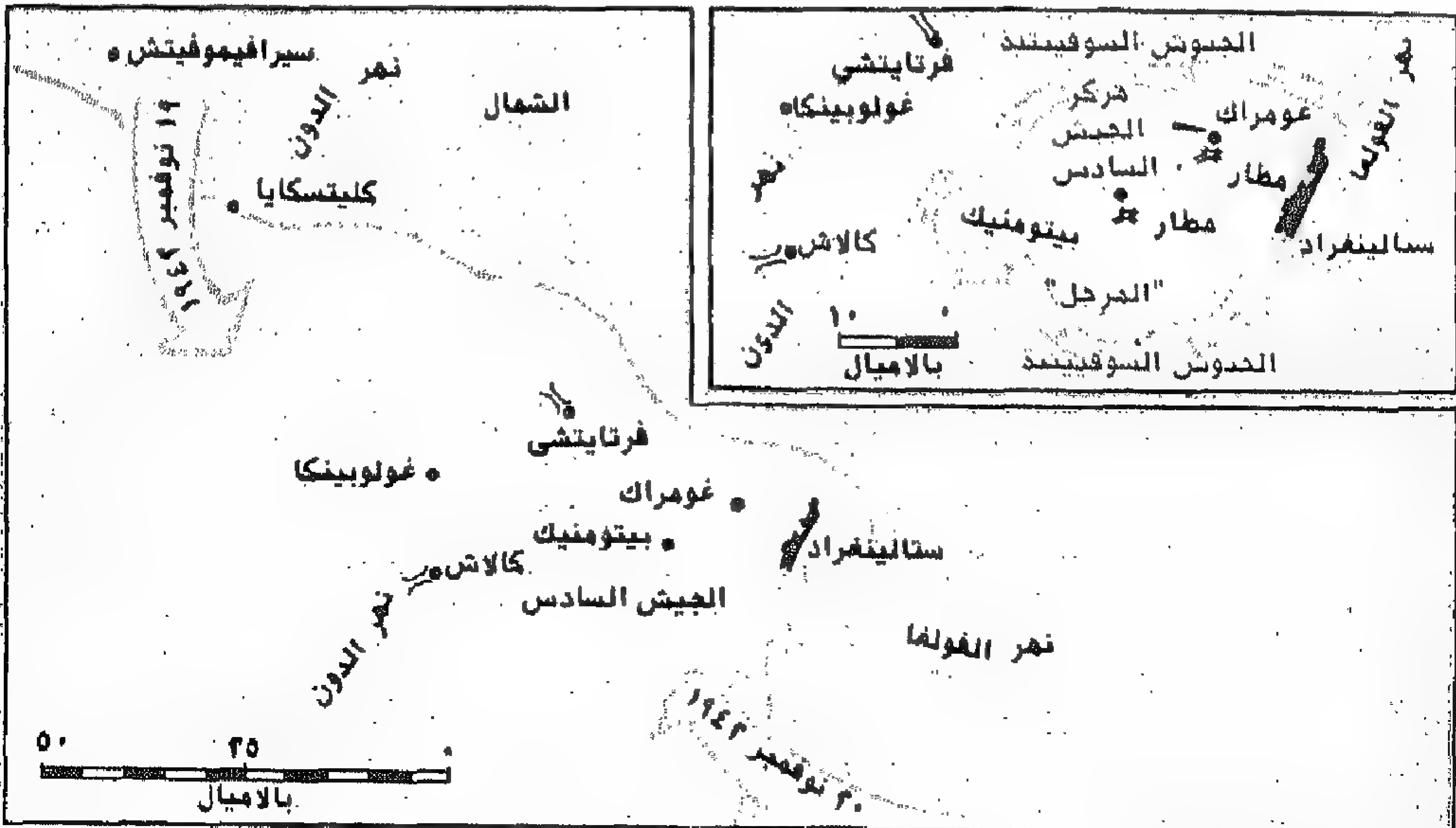
وانطلق صوت الراديو عبر الاثير: "ها نحن نتكلم من نارفيك." وتبع ذلك غناء لبعض الجنود المرابطين في ذلك المرفأ النروجي، وأضاف الصوت: "والآن، نحن في تونس." وتلا ذلك هتاف محلي ثم غناء. وفجأة قال غوبلز: "والآن، من ستالينغراد." وفيما نظر آلاف الجنود داخل "المرجل" بعضهم الى بعض مذهولين، سمعوا من الراديو موسيقى مبهجة تؤكد للمواطنين الالمان أن الامور تجري كما يرام على ضفاف الفولغا.

والواقع أن قوة الجيش السادس الجسدية والنفسية بدأت تنهار، وجاء التقنين الصارم الذي فرضه باولوس على وجبات الطعام ليفاقم الوضع.

ولم يكن أمام الجنرال المحاصر خيار آخر، لكنه انتظر مرور عيد الميلاد قبل أن يعلن القانون الجديد: "خبز: ٥٦ غراماً يومياً. للغداء: حساء من غير مواد دهنية. للعشاء: علبة لحم اذا أمكن. وفي حال عدم وجودها، المزيد من الحساء."

وكان هذا التقنين الصارم بمثابة رصاصة الرحمة توجه الى قوة الجنود المتضائلة. وكان باولوس يعي ذلك، وذكر قادته مرة اخرى بأن الجيش السادس على وشك الانهيار: "اطالب بتدابير فعالة للخلاص السريع من هذه الورطة... إلا إذا كانت المسألة تستحق التضحية بجيش كامل."

وذلك كان الاعتراف الأول من جانب باولوس بأن الجيش السادس ربما كان كبش فداء في يد هتلر. وبلغ عدد الجنود الذين ماتوا داخل "المرجل" يوم عيد الميلاد وحده ١٢٨٠ رجلا. ومع اقتراب رأس السنة سدت الطريق الى بيتومنيك بالثلج.



ومن الزوار الذين كانوا يترددون على القاعدة الجوية ضابط الاتصال لدى هتلر الميجور كولتسين فون زيتزيفيتز. وهو لم يكن ممن يسترون الوقائع، بل كتب تقارير يصف فيها الكارثة التي عاينها. وتجول من مكان الى آخر على طول الجبهة وعرضها، فدخل الخنادق الامامية والمستشفيات والمستودعات والغرف الرطبة تحت الارض، حيث تفشت أمراض كثيرة بين الجنود. وهناك رأى الجرذان والفئران تعض الاصابع الميتة في اقدام الجنود التي شلها الصقيع.

ولم يترك الميجور شاردة أو واردة إلا جاء عليها كي ينبه هتلر الى حقيقة ما يجري داخل روسيا. إلا أن تقاريره كان لها أثر غير متوقع في مقر قيادة الفوهرر في بروسيا. وأعلن الماريشال هيرمان غورينغ لدى الاطلاع عليها: "لا يعقل أن يكون أي ضابط الماني مسؤولا عن تقارير انهزامية من هذا القبيل. والتفسير الوحيد الممكن أن العدو صادر جهاز الارسال ووجه التقرير بنفسه." وهكذا أغفلت تقارير زيتزيفيتز على أنها دعاية روسية مضادة.

وفي العاشرة من ليلة ٣١ ديسمبر (كانون الأول) انطلقت المدافع الروسية حول "المرجل" تحية لرأس السنة. وكان سطح الفولغا استحال جليداً وراحت مئات الشاحنات تعبره يومياً محملة بالجنود والطعام. وامتلأت الخنادق الروسية على طول خط القيصرة الدفاعي بالمعلبات الامريكية. وتدفقت الذخيرة بحيث بات الروس يطلقون المدافع المضادة على كل الماني يشاهدونه.

وفي يوم رأس السنة عاد الانضباط الى الجيش الروسي الثاني والستين وقد أنعشته التعزيزات. ونظم الضباط حفلات من التمثيل والموسيقى والباليه، أحياها الفنانون الذين قصدوا الى ستالينغراد تكريماً لجيشهم. وبلغت الحماسة من عازف الكمان ميخائيل غولدشتاين حداً جعله يترك فرقته ويذهب الى الخنادق الامامية ويعزف منفرداً امام الجنود.

ولم يكن غولدشتاين رأى ساحة معركة مثل ستالينغراد التي مزقتها القنابل وملأتها الهياكل العظمية للجياد التي التهمها العدو بعدما نفقت. ودفعته الصدمة الى العزف ساعة بعد ساعة على مسامع اناس شنفت آذانهم الموسيقى. وعلى رغم أن الحكومة السوفييتية حظرت جميع الاعمال الموسيقية الالمانية، إلا أن غولدشتاين عرف أن المفوضين السياسيين من شأنهم غض النظر عن ذلك التدبير ليلة رأس السنة. ووصلت الانغام عبر مكبرات الصوت الى الناحية الاخرى، فتوقف القصف فوراً.

ولما فرغ غولدشتاين من أدائه، ران صمت عميق على الجنود الروس، ما لبث أن قطعه صوت آت عبر المذياع من الجانب الالماني. وقال الصوت بالروسية: "نرجوك أن تعطينا المزيد من باخ، ولن نطلق النار." وتناول غولدشتاين الكمان من جديد، وراح يعزف قطعة غافوتية راقصة.

عالم الأموات

في مطلع يناير (كانون الثاني) وجهت مراكز المراقبة الالمانية في الناحيتين الغربية والجنوبية من

"المرجل" رسائل انذار حول القوة الروسية المتزايدة. غير أن الالمان لم يستطيعوا امداد الجيش السادس بالمؤن والرجال قبل حدوث هجوم فعلي.

وعلماً منهم بعجز العدو التام، أقام الروس مطابخ كبيرة في الجبهة تنبعث منها روائح الطعام الشهية الى الجانب الالماني. وكان في ذلك عذاب للالمان أسوأ مما انطوت عليه رؤية الدبابات والمدافع.

وبدأ الهجوم عند الثامنة من صباح ١٠ يناير (كانون الثاني)، وهو اليوم الثامن والاربعون الذي مر على الالمان داخل "المرجل". وانطلق سبعة آلاف مدفع معاً. وبعد ساعتين طوق القصف الجبهة الالمانية من كل ناحية. وفي آخر النهار كان الجيش السادس يشق طريقه نحو ستالينغراد وقد انهارت معنويات جنوده بعد إبادة ثماني فرق كاملة. الا أن الفرقة المصفحة التاسعة والعشرين وحدها حافظت على القوة الكافية لضرب العدو في الناحية الغربية من الجيب. وبعد أيام سيطر الروس على قاعدة بيتومنيك الجوية وباتت النهاية وشيكة.

وبفقدان قاعدة بيتومنيك، استخدم الألمان مطار غومراك في طرف ستالينغراد الذي غص بآلاف الجرحى. وهبت الشاحنات تنقل الرجال المصابين الى المستشفيات التي عجزت عن استقبالهم جميعاً. فقضى بعضهم في الخارج، على بعد أمتار من غرف العمليات، حيث هبطت الحرارة الى ٣٠ درجة تحت الصفر.

وعندما حط طيار أرسلته القيادة من المانيا في مطار غومراك صبيحة ١٩ يناير (كانون الثاني)، استدعي فوراً الى قيادة الموقع حيث بادره باولوس صائحاً: "لماذا وعدتنا قيادة الطيران بارسال تعزيزات دائمة؟ لو قالوا لي ان هذا مستحيل، لكنت اخترقت جبهة العدو عندما كان وضع جيشي يسمح بذلك."

وأضاف باولوس بعدما أسكت الضابط الذي حاول ايضاح الأمر: "اننا نتكلم من عالم آخر غير عالمكم، من عالم الأموات. وإن وجودنا، منذ الآن، سيكون في كتب التاريخ فقط."

وفي ٢٢ يناير (كانون الثاني) حاول باولوس اقناع هتلر بأن الاستسلام هو المهرب الوحيد. لكن الفوهرر رفض قائلاً: "الاستسلام مستحيل. والجنود سيدافعون عن مواقعهم حتى النهاية." وللحال غادر غومراك، متجهاً الى قبو في ستالينغراد.

في اليوم نفسه شاهد الكابتن غيرهارد مونك الذي كان أول من شق الطريق قبل أشهر الى ستالينغراد، منظراً لم يبارح مخيلته. فقد تلقى أمراً بمغادرة "المرجل" وتسليم مكانه لعناصر جديدة مختصة. وما أن حطت ثلاث طائرات "جو - ٥٢" في مطار غومراك حتى تدافعت اليها حشود من الجرحى سدت أبوابها. وراح قويهم يرفس الضعيف حتى غصت بهم الطائرات.

وصعد مونك الى طائرته فيما كانت شظايا المدافع الروسية ترجم الجنود. وتأهب الطيار للاقلاع، لكنه لم يستطع. ونظر مونك خارجاً ليرى نحو خمسين رجلا تعلقوا بجناحي الطائرة. ثم زادت الطائرة سرعتها،

فسقط الجنود واحداً بعد آخر، وارتفعت الطائرة مبتعدة عن الفولغا٠

وفي صباح ٢٤ يناير (كانون الثاني) غدت الطريق الى ستالينغراد "معبراً للموت" كما دعاها سائقو الشاحنات الذي اجتازوا تلك الكيلومترات الثمانية المغطاة بالثلوج والدماء التي خلفها أفراد الجيش السادس الهاربون الى نقطتهم الاخيرة٠ وكانت سراديب المدينة القاتمة آنذاك تحوي أكثر من مئة ألف جندي الماني٠

وراح الالمان ينصتون بخوف من أقبيتهم، علهم يسمعون وقع خطى الجنود الروس٠ لكن هؤلاء راحوا يصرفون الوقت بهدوء وهم يتنقلون بحذر في متاريسهم المغطاة بالثلج٠ وفي معارك جانبية كثيرة في أزقة المدينة استسلم عدد من الجنود الالمان٠

وثمة من الالمان من نسي خوف الحرب وهو في صراعه ضد القمل٠ فقد ملأت تلك الحشرات الرمادية السراديب وأخذت تتكاثر بفعل القذارة، وغطت الجنود من رؤوسهم حتى أقدامهم وجرتهم الى شفير الجنون٠

وانتقلت قيادة الجيش السادس الى مخزن "يونيفرماغ" الضخم في الساحة الحمراء٠ وكانت المباني حول الساحة كلها خربة من داخل٠ وتسلل باولوس بين تلك الابنية حتى بلغ سرداب المحل٠ وبينما كان معاونوه يقيمون مكاناً للاتصالات، أوى الجنرال الى مهجع تلفه الستائر ويحوي سريراً نقالا ويدخله نور ضئيل من نافذة مقطعة٠

وفي الحامية العسكرية الرئيسية التي حولت مستشفى يبعد نحو ١٦٠٠ متر شمال "يونيفرماغ"، اضطجع ثلاثة آلاف جريح الماني تحت رحمة ريح جليدية اخترقت شقوق الجدران٠ وفي غياب العقاقير الكافية، وضع الاطباء المرضى الاسوأ حالا في أمكنة معرضة للصقيع كي يموتوا أولا٠

وكانت جثث القتلى تطوق المبنى وترتفع نحو مترين٠ وكلما توقف الجنود خارجاً طالبين الطعام، كانوا يحصلون عليه في مقابل حمل الجثث بعيداً ورصفها بعضاً فوق بعض٠

وفي ليل ٢٨ يناير (كانون الثاني) انصبت مدافع الروس على المبنى وأشعلت فيه النار٠ واستحال المستشفى جحيماً وسقطت أجزاء كاملة منه الى الشارع٠ ووصف بعض الشهود لاحقاً كيف عاينوا الجرحى وهم ينتزعون الضمادات الملتهبة بجنون٠

وفي سراديب كثيرة سعى الجنود الى مسدساتهم وأفرغوا رصاصها في صدوغهم٠ وانتقل القمل الذي عاش على أجسادهم أسابيع الى أجساد اخرى دافئة ما زالت الحياة تسري في عروقها٠

وأخيراً، في ٣٠ يناير (كانون الثاني)، ذهب آمر الفرقة الحادية والسبعين الى باولوس قائلا: "فرقتي لا تستطيع المقاومة أكثر٠ الدبابات الروسية تقترب من المخزن، والنهاية وشيكة٠"

وتوجه باولوس نحو سريره وقد جلس على طرفه معاونه الكولونيل فيلهلم آدم٠ ومرت دقائق من غير أن يتفوه أحدهما بكلمة، الى أن قال

آدم: "سيدي، يحسن أن تنام الآن استعداداً للمثول أمام المحكمة غداً."

وبعيد منتصف الليل تمدد باولوس على سريره وغفا، فيما خرج آدم ليسأل آمر الفرقة الحادية والسبعين عن الامور المستجدة. وأجابه هذا: "هناك دبابة حمراء مرابطة في شارع مجاور وقد صوبت مدفعها نحونا. وأطلعت الجنرال شميت على المسألة، فقال ان الدبابة يجب ألا تطلق النار مهما كان الثمن. وهذا يعني أن على المترجم أن يذهب الى آمر الدبابة وهو يحمل علماً أبيض، ويطلب اليه التفاوض."

وعاد آدم الى غرفته ووقف يحدق الى قائده النائم. وقد تطورت العلاقة بينه وبين باولوس بحيث بات يجله ولا يرى هفواته. وراح آدم يعرض المراحل المشرقة التي حفلت بها حياة سيده العسكرية الرائعة. وكان باولوس شخصاً شريفاً أخضع ارادته كلياً لاوامر هتلر مما أفقده السيطرة على مصيره.

"هذا ينهي الأمر"

بذل الفوهرر جهداً أخيراً لمحو بعض معالم الكارثة، وهو اغداق الترقيات على كبار ضباط الجيش السادس، وأهمها الترقية التي نالها باولوس وهي لقب "فيلدمارشال" أي مشير. ومعروف أن أياً من الضباط الالمان الذين يحملون هذا اللقب لم يستسلموا في المعارك. وكان ذلك ايعازاً الى باولوس بالانتحار.

إلا أنه لم يقدم على الانتحار. وقبل الفجر خرج مترجمه الى الساحة القاتمة واتجه نحو الدبابة الروسية التي وقف في برجها ضابط سوفييتي شاب هو الملازم فيودور يلشنكو. وبادره الالماني: "قائدنا يود الكلام مع قائدكم."

فأجابه يلشنكو وهو يهز رأسه: "قائدنا لديه امور اخرى، وهو ليس هنا. وعليكم البحث معي."

وبعد الاتفاق على ثلاثة ممثلين روس، سارت الجماعة الى سرداب "يونيفرماغ". وطلب شميت الى الروس أن يعاملوا باولوس كأسير مميز ويرافقوه في سيارة لحمايته من غضب جنودهم. ووافق يلشنكو. وبعد ذلك أخذوه الى حيث باولوس. ودخل عليه وهو غير حليق، لكنه كان في بزته العسكرية الكاملة.

ولم يضيع الضابط الروسي وقتاً على الشكليات، لكنه بادر باولوس بقوله: "حسناً، هذا ينهي الأمر." وبعد ذلك حياه. ونظر المشير الالماني المهزوم الى عيني الضابط الروسي وهز رأسه ببؤس.

وهكذا انتهت معركة ستالينغراد.

وفي خمسة أشهر من القتال تحول ٩٩ في المئة من المدينة ركاماً. وهدم ٤١ ألف منزل و٣٠٠ مصنع و١١٣ مستشفى ومدرسة. إلا أن الضريبة البشرية كانت أعظم. فهذه المعركة، بضحاياها الذين بلغ عددهم المليونين من رجال ونساء، هي أكبر معركة دموية سجلها التاريخ.

وقد بلغت ضحايا الجيش الأحمر ٧٥٠ ألفاً بين قتيل وجريح ومفقود. وخسر الالمان نحو ٤٠٠ ألف جندي، والايطاليون أكثر من ١٣٠ ألفاً، والمجريون والرومان قرابة ٣٢٠ ألفاً.

أما بالنسبة الى المدنيين، فقد



المارشال فردريك باولوس بعد استسلامه، والى اقصى اليمين الكولونيل فيلهلم آدم.

أجري احصاء سريع تبين فيه أن ١٥٠٠ شخص بقوا في ستالينغراد من أصل نصف مليون نسمة. ومعظم الذين فقدوا ماتوا في أيام المعركة الاولى أو غادروا المدينة متخذين منازل وقتية في آسيا. ولا أحد يعرف عدد القتلى المدنيين بالضبط، لكن الرقم صاعق بلا ريب.

وتجدر الاشارة الى أن النسبة الكبرى من قوات المحور لم تقض في ساحة الحرب. وعندما استسلم الجيش السادس، أخذ الروس ما يزيد على ٥٠٠ ألف أسير من ألمان وايطاليين ومجريين ورومان. وخلال فبراير (شباط) ومارس (آذار) وابريل (نيسان) من العام ١٩٤٣ قضى ٤٠٠ ألف أو أكثر من هؤلاء، وقد لقي معظمهم حتفهم بعدما تركهم الروس يعانون المجاعة.

وبعد حسم معركة ستالينغراد، اتجه الروس غرباً بتصميم ودخلوا برلين مباشرة. ولا تزال قصة عبورهم الملحمية الى قلب المانيا حديث الاجيال. والحق أن الطريق التي قطعها الاتحاد السوفييتي نحو العظمة، أي نحو كونه قوة عالمية، بدأت على ضفاف الفولغا.

وعلى تلك الضفاف عينها شهدت المانيا النازية بداية نهايتها الفاجعة. وأخذ اليأس طريقه الى قلوب الكثيرين الذين طالما هتفوا بحياة الفوهرر في الاجتماعات الحزبية الحاشدة.

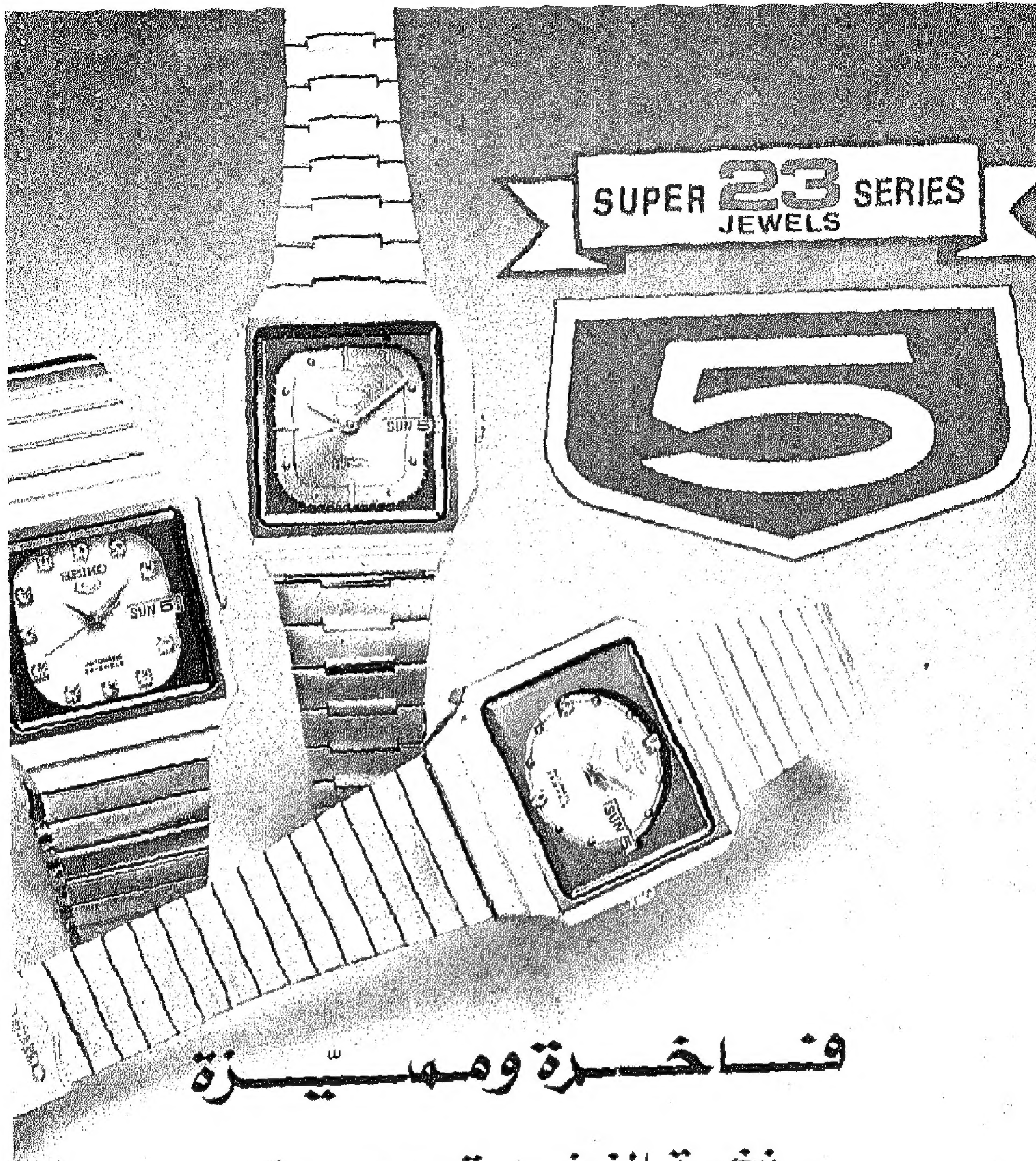
ولكن، في عبارات عسكرية صرفة وبسيطة، لا بد من القول ان سلوك الالمان، جنوداً وضباطاً، كان خارقاً.

وفي العام ١٩٤٤ تجول الجنرال شارل ديغول بين حطام المدينة الذي لم يرفع كله، ثم توجه الى موسكو لحضور استقبال. وهناك سأله مراسل صحافي عن الانطباع الذي خلفه المشهد لديه، فأجاب: ستالينغراد؟ انه شعب عظيم! عظيم حقاً."

ووافق المراسل وأضاف: "أجل، الروس..."

غير أن ديغول قاطعه فوراً بقوله: "اني لا أتكلم عن الروس، بل أعني الالمان. أليس عظيماً أن يكونوا تقدموا الى هناك؟"

■ وليم كريغ



فـــاخـــرة وممـــيّـــزة

نخبة النخبة ، مجموعة
سيكو"٥" الرجالية الممتازة ذات الـ٢٣ حجرًا

فاخرة بأحجارها الثلاثة والعشرين ودقة حركتها . مميزة بتصميمها الانيق وقيمتها الفريدة . تلك هي مجموعة سيكو"٥" الممتازة للرجل الذي يحسن الاختيار .

• أوتوماتيكية • ضد الماء • روزنامة باليوم والتاريخ
• مقاومة للصدمات • تصميم متفوق

سيكو

SEIKO

